تشجيعُ الزواجِ
و ردعُ الطلاق

دراسات علمية معاصرة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية



الدكتور جوهر مشتاق

تشجيعُ الزواجِ و ردعُ الطلاق
الدكتور جوهر مشتاق

تشجيعُ الزواجِ و ردعُ الطلاق

دراسات علمية معاصرة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

الدكتور جوهر مشتاق

المراجعة العلمية واللغوية:

الشيخ ياسر الحُمَيدي

الكتاب: تشجيعُ الزواجِ و ردعُ الطلاق
المؤلف: الدكتور جوهر مشتاق
عدد صفحات: 298
إخراج و تصميم: فريق التصميم في دار النقش
الناشر: دار النقش للطباعة والنشر و التوزيع

أسماء المترجمين:

- عبد الحميد بيطار
- حاتم الجرك
- حسين حجازي
- أسعد قوصرة
- أمجد فاخورجي
- فهد درباس
- فاطمة كيالي
- رهف الحميد
- ديمة سليمان
- سدرة عز الدين

أهدي هذا الكتاب إلى نبينا الحبيب محمد ﷺ لأنه في سنته المباركة نجد الهداية لإنقاذ الأسر والبيوت المسلمة من الطلاق والدمار.

المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يُركز هذا الكتاب، كما يوحي عنوانه، على تشجيع الزواج والحد من الطلاق. وبما أن الزواج يبني الأسرة بينما يُدمرها الطلاق، فإن هدفه هو تقديم حجج لصالح مؤسسة الزواج، وإظهار أن المتزوجين أكثر سعادةً وصحةً وثراءً، كما أثبتته الأبحاث العلمية الاجتماعية الحديثة. في المقابل، عرض هذا الكتاب الأضرار والمخاطر المُرعبة للطلاق، استنادًا إلى دراسات علمية.

لا يُدرك الآباء المسلمون هذا، لكنهم يُعرّضون شبابهم قصدًا للخطر بتأخير زواجهم دون داعٍ. ومع ظهور الأجهزة الإلكترونية الذكية المحمولة، أصبح من الصعب على الشباب المسلم الحفاظ على عفتهم دون زواج بعد بلوغهم سن البلوغ. هناك ما يكفي من البيانات العلمية الاجتماعية لإثبات وجود صلة

بين الرجال العُزّاب وارتفاع معدلات الجريمة والاكتئاب النفسي والوفيات المبكرة، وهو ما عُرض في هذا الكتاب.

نعيش اليوم في عصر الدجل (الخداع). ثقافة الدجل الحالية مُعاديةٌ بطبيعتها لنظام الأسرة. في العصر الحديث، سهّلت التغييرات القانونية الطلاق، واختفت وصمة العار المرتبطة به إلى حد كبير من معظم المجتمعات الحديثة. و يُلحق انهيار الزواج والطلاق الضرر بالأفراد والمجتمع ككل. وعلى حد تعبير باتريك فاجان، الخبير الثقافي والمستشار الأسري السابق من أيرلندا:

> **"إن آثار انهيار الزواج على الرخاء الوطني ورفاهية الأطفال تُشبه تأثير النمل الأبيض على عوارض أساسات المنزل. إنها تُضعف، بهدوء ولكن بجِدّية، الأسس الهيكلية للمجتمع."** [1]

أثبتت الدراسات الاجتماعية أن أطفال الوالدين المُطلقين يُعانون جسديًا وعقليًا وعاطفيًا. يواجه هؤلاء الأطفال الحرمان والإدمان والإخفاقات في

---

[1] Feulner, Edwin J. (June 30, 1999) “Divorced from Reality” The Heritage Foundation, Washington DC. http://www.heritage.org/research/commentary/1999/06/divorced-from-reality

حياتهم. ويزيد الطلاق من مستوى فقر الأسر. ويترك طلاق الوالدين ندبةً نفسيةً عميقةً في شخصيات الأطفال تدوم طوال حياتهم. يرتكب أطفال الأسر التي يفصل بينها طلاق الوالدين جرائمَ أكثر من أطفال الأسر التي لا يفصل بينها طلاق. ففي الولايات المتحدة وحدها، على سبيل المثال، ينتمي أكثر من نصف نزلاء السجون إلى أسرٍ مفككة. كما يؤدي طلاق الوالدين إلى زيادة إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم والوفيات المبكرة وزيادة معدلات انتحارهم. ويعاني أطفال الآباء المطلقين من ضعف التحصيل الدراسي في المدارس والجامعات، كما تنخفض معدلات تخرجهم مقارنةً بأطفال الأسر التي لا يفصل بينها طلاق، كما هو موضح في هذا الكتاب.

من المعلوم أن الإسلام لا يحرم الطلاق تمامًا. وذلك لِحكمةٍ عظيمة، فقد شرَعَهُ الإسلامُ كحلٍّ أخيرٍ لما قد يطرأ من خلافاتٍ مستعصية. ففي الإسلام، يُعد الطلاق الملاذ الأخير للزوجين لإنهاء مشاكلهما.

الطلاق بالتأكيد أهون الشرين مقارنةً بالعنف الجسدي أو زنا الشريك الزوجي. ومع ذلك، فإن عواقب الطلاق الوخيمة مروعة ومرعبة، ويحتاج

المسلمون إلى التوعية بأضرار الطلاق حتى يتمكنوا من اتخاذ قرار حكيم في حالات الخلاف الزوجي. نسأل الله أن يحفظ كل أسرة مسلمة من ألم انفصال الوالدين وطلاقهما، آمين!

دكتور جوهر مشتاق

الفصل الأول

الزواج في ضوء القرآن والسنة

يُعدُّ الزواج من أعظم السُننِ في الإسلام، وهو من هَدْيِ الأنبياء والمرسلين، كما أخبرنا القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ﴾ (سورة الرعد: 38)

وقد ذهب فقهاء الإسلام إلى أن حكم الزواج يتغير بحسب حال الشخص وقصده، فهو يخضع للأحكام التكليفية الخمسة:

- **فيكون واجبًا** على مَنْ خَافَ على نفسه الوقوع في الحرام إنْ لَمْ يتزوج، وكان قادرًا على النفقة.
- **وسنة مؤكدة** لمن لديه القدرة والرغبة في إعفاف نفسه وإنجاب الذرية الصالحة.
- **ومباحًا** لمن لا رغبة له فيه ولا خوف عليه من الوقوع في المعصية.

- **ومكروهًا** لمن لا يقدر على تلبية متطلبات الزواج وحقوقه.
- **وحرامًا** على مَنْ قصد الإضرار بزوجته أو يعلم يقينًا أنه لن يؤدي حقوقها.

ويدل على فضله ومكانته أن القرآن علمنا أن ندعو الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (سورة الفرقان: 74)

وفي أحاديث نبوية شريفة، حثَّ النبي محمد ﷺ على الزواج وتجنب تأخيره لمن يجد القدرة عليه. ففي حديث قال:

يا مَعْشَرَ الشَّبابِ، من استطاعَ منكم البَاءَةَ فليتزوَّجْ، فإنَّه أَغَضُّ للبَصَرِ، وأحصَنُ للفَرْجِ (البخاري ومسلم)[2]

[2] صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن الكريم، باب سورة الفلق، حديث رقم 4705. صحيح مسلم. كتاب النكاح، باب استحباب الزواج لمن استطاع إليه سبيلًا، حديث رقم 2493.

وكذلك روى الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

جاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النَّبيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أَمَا واللهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي. (صحيح البخاري)[3]

وفي حديثٍ آخرَ قال النبيُّ ﷺ لرجلٍ: **تَزَوَّجْ ولو بخَاتَمٍ مِن حَدِيدٍ**. (صحيح البخاري)[4]

في الواقع، أمرنا الله في القرآن بما يلي:

---

[3] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في الزواج، حديث رقم 4776

[4] صحيح البخاري، كتاب النكاح، حديث رقم 4855.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: 32)[5]

نزلت الآية المذكورة آنفًا في زمن واقعة القذف على عائشة رضي الله عنها، زوجة النبي محمد ﷺ. وقد كشف الله براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في هذه السورة (سورة النور) من القرآن. وفي شرحه لهذه الآيات من سورة النور، ذكر الإمام ابن أبي حاتم (ت. 327 هـ) في "تفسير القرآن العظيم" عن مجاهد بن جبر (ت. 104 هـ) – وهو من كبار تابعي التفسير – أن هذه الآية نزلت بعد آيات حد القذف والعفة مباشرة. فبعد أن شرع الله الحدود لقطع دابر الفاحشة، أمر بالأسباب التي تقي من الوقوع فيها أصلاً، وهو إشاعة الزواج وتيسيره.[6] يعني التطهير أي مجتمع مسلم من هذا الشر، يحث القرآن الكريم الرجال والنساء على عدم

---

[5] الأيامى: لفظ شامل للعزاب من الرجال والنساء، والأرامل والمطلقات، كما فسره المفسرون. والمراد هنا الحث على تزويجهم لتحقيق العفّة والاستقرار الاجتماعي.

[6] ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط. 3 (رياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419 هـ)، ج 8، ص 2672.

البقاء غير متزوجين لفترة طويلة، وعلى ترتيب زيجات للعزاب أو غير المتزوجين في المجتمع.

للزواج في ضوء التعاليم الإسلامية مقاصد وفوائد متعددة، منها:

1. **حفظ النسل وتكاثره** (حماية النوع البشري واستمراره).
2. **تطهير المجتمع من الرذيلة والفجور** (تحقيق العفّة العامة).
3. **تحقيق السكينة الروحية والنفسية** (لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: 21]).
4. **التعاون بين الزوجين على بناء الأسرة** (شراكة في الحياة الدينية والدنيوية).
5. **تربية الأبناء الصالحين** (امتداد للأجر بعد الموت كما في الحديث الصحيح).

6. **بناء علاقة إنسانية متكاملة،** حيث لا يقتصر الزواج في الإسلام على اللذة الجسدية، بل يشمل: الحب المتبادل (لقوله ﷺ: « لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ» رواه مسلم). والالتزام الأسري والاجتماعي.

وقد شرح ساشيكو موراتا (Sachiko Murata) وويليام سي. تشيتيك (William C. Chittick) في كتابهما "رؤية الإسلام" أهمية نظام الأسرة في المجتمع، وكتبا:

> **"لا يمكن للمجتمع السليم أن يزدهر إلا بصحة أعضائه. إن الأفراد الذين يشكلون المجتمع هم محور الاهتمام الرئيسي. لكن رفاههم الديني يتطلب منهم تحمل قدر من المسؤولية الاجتماعية". إذا كان النبي ﷺ يقول: "مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، (مسند أحمد)"، فذلك لأن الأسرة هي اللبنة الأساسية للمجتمع."**(7)

[7] Murata, Sachiko & Chittick, William C. (1994). The Vision of Islam. St. Paul, Minnesota, Paragon House.

وبالتالي، فإن الغرض الرئيسي من الزواج هو الأبوة والحفاظ على الجنس البشري من خلال بناء الأسرة. جورج جيلدر (George Gilder) هو اقتصادي وكاتب وعالم اجتماعي أمريكي يدرس تداخل التكنولوجيا مع الأسرة والثقافة. وقد قال جيلدر:

"الزواج ليس مجرد تصديق على حب قائم، بل هو تحويل هذا الحب إلى استمرارية بيولوجية واجتماعية. وجوهر هذه الاستمرارية هو الأطفال – الذين أصبح عددهم أقل من ذي قبل، لكنهم يُحتفظ بهم لفترة أطول داخل حدود الأسرة".[8]

إن الرغبة في إنجاب ذرية أمر متأصل ومتأصل في الطبيعة البشرية ذاتها. من الطبيعة البشرية الرغبة في الخلود. ولهذا السبب، يواصل العديد من البشر إنكار الموت طوال حياتهم. يرى البشر خلودهم يتجلى في ذريتهم. وقد لخّص

---

[8] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

الدكتور محمد إقبال، الشاعر والفيلسوف المسلم، هذه النظرة ببراعة في كتابه الرائد "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام"، إذ كتب:

"كائن دنيوي، يخشى انتهاء حياته بالموت، فإن السبيل الوحيد المتاح له هو تحقيق نوع من الخلود الجماعي من خلال التكاثر الذاتي. إن أكل الثمرة المحرمة من شجرة الخلود هو لجوء الحياة إلى التمييز بين الجنسين الذي تتكاثر به بهدف تجنب الفناء التام. وكأن الحياة تقول للموت: "إذا اجتاحتَ جيلاً من الكائنات الحية، فسأُنجِبُ جيلاً آخر". (9)

ومن ثم، فإن ولادة الأطفال تُؤدّي إلى علاقة أعمق وأقوى بين الزوج والزوجة، وذلك لأنها تحقّق الغاية الوجودية من الزواج. فالأطفال ليسوا مجرد ثمرة للحب، بل هم تجسيدٌ عملي لانتصار الحياة على الموت، وتعزيزٌ للرابطة الزوجية عبر مسؤولية مشتركة تتجاوز الذات الفردية.

---

[9] Iqbal, Dr. Mohammad (Allama) (1994). The Reconstruction of Religious Thought in Islam. New Delhi, Kitaab Bhavan.

الفصل الثاني

الشباب المسلم: ضحايا تأخر الزواج

من المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المسلمون في عصرنا هذا تأخر الزواج دون مبرر. ومن الآثار السلبية المترتبة على ذلك:

1) الوقوع في التعارف العاطفي المحرَّم
2) المواعدة
3) المشاركة في احتفالات عيد الحب
4) الميل إلى الاستمناء
5) الإدمان على الأفلام الإباحية

يميل كثير من الآباء المسلمين إلى تأجيل زواج أبنائهم أو بناتهم دون داعٍ، أحيانًا لأسباب وظيفية، وأحيانًا أخرى لرغبتهم في تزويج ابنهم أو ابنتهم من

داخل العائلة فقط أو من "خارج البلاد" فقط. بل قد يقول بعض الآباء لابنتهم: **"يا ابنتي، سأزوجك من أي رجل مسلم مناسب في العالم أجمع طالما أنه ابن عمك!!"**.

الزواج ضمانة أخلاقية، ويساعد الرجل والمرأة على غض البصر. هناك عوامل عديدة تساهم في هذه المشكلة الاجتماعية، لكن العامل الأكبر هو إهمال الوالدين المسلمين أنفسهم. يجب ألا نقلل من شأن مشكلة تأخر زواج شبابنا المسلم، فلهذه المشكلة آثار بعيدة المدى تفوق تصور معظم الناس. يذكر عالم الاجتماع المسيحي كارل دبليو ويلسون (Carl W. Wilson) في كتابه الصادر عام 1979 بعنوان "رقصتنا تحولت إلى الموت" أن بدء مجتمع ما في التقليل من قيمة الزواج التقليدي ونظام الأسرة يُعدّ دليلاً قاطعاً على الدمار والانهيار.[10] وأشار كارل ويلسون إلى أن التاريخ يُظهر أن الأمم

---

[10] Wilson, Carl (1981). Our Dance has Turned to Death. Illinois, Tyndale House Publishers.

تتدهور وتموت في النهاية عندما تُقلّل قيمة الرابطة الزوجية وتُهمل الأسرة التقليدية لصالح أنماط حياة أخرى.

وبالمثل، درس عالم الأنثروبولوجيا البريطاني جوزيف دانيال أونوين (Joseph Daniel Unwin)، في كتابه الرائع "الجنس والثقافة"، تراجع وسقوط 86 ثقافة مختلفة عبر التاريخ. واكتشف دكتور أونوين حقيقةً مُفاجئةً من خلال كل هذه الدراسات: لم تدمّر أي أمة رفضت الزواج والعفة الجنسية قبل الزواج أكثر من جيل بعد اعتناقها مبدأ اللذة الجنسية. بكلماته الخاصة، صرّح أونوين:

"لم تحافظ أيّ أُمّة في تاريخ البشر على حيويّتها بعد أن تبنَّى جيلٌ جديدُ عاداتٍ لا تُلزم الامتناع قبل الزواج أو الوفاء بعده." (11)

وجد دكتور أونوين أن الأمم التي تُقدّر الزواج التقليدي والامتناع عن ممارسة الجنس كانت مبدعة ومزدهرة. ووصف ذلك بأنه "طاقة ثقافية" لا يمكن

[11] Unwin, Joseph Daniel (1934). Sex and Culture. U.K., Oxford University Press.

الحفاظ عليها إلا عندما تظل الأنشطة الجنسية مقيدة في إطار الزواج.[12] يربط جورج جيلدر الزواج بالصحة الاجتماعية للمجتمع، ويعتبر المجتمع المختلط "مُصابًا بحمى شديدة":

"كمؤسسة اجتماعية، يتجاوز الزواج جميع الأفراد. تكمن صحة المجتمع وحيويته الجماعية في نهاية المطاف في اهتمامه بالمستقبل، وشعوره بالارتباط بالأجيال القادمة. ربما لا يوجد مؤشر أكثر أهمية للحالة الاجتماعية. إنه درجة حرارة المجتمع ذاتها. مجتمع منشغل بالحاضر، مهووس بتهديد أو شهوة عابرة، في حالة حمى... [و] إذا وجد نفسه في حالة حمى دائمة، فإنه يبدأ في الانهيار ولا يعود قادرًا على توفير المستقبل.

---

12 Sheldon, Rev. Louis P. “Destruction of Marriage Precedes the Death of a Culture”. Traditional Values Coalition Education and Legal Institute. Anaheim, California.

قد تفشل برامجها الاجتماعية، وقد تفشل أعمالها في الإنتاج، وقد تصبح قوانينها غير قابلة للتنفيذ."[13]

بما أن الزواج ركن أساسي في بناء الأسرة، وقد أمر به القرآن والسنة، فإن الغرض من هذا الكتاب هو عرض قضية مؤسسة الزواج، وإظهار أن المتزوجين أكثر سعادة وصحة وثراءً، كما أظهرته الأبحاث العلمية الاجتماعية الحديثة.

أوَّلًا: فوائد الزواج ومضار العزوبية

العلاقة الزوجية، وفقًا لتشريعات الإسلام، هي رباط حميم لا ينفصل. يأمر الإسلام أتباعه بترتيب الزيجات في أسرع وقت ممكن (سورة النور: 32). يؤكد القرآن بوضوح أن الله خلق الزوجين ليمنح كل منهما الآخر المودة والرحمة والسكينة. في الواقع، يُعدّ الزواج من آيات الله:

[13] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾
(سورة الروم: 21)

ومن هنا، ووفقًا للقرآن الكريم، تكمن حكمة بالغة في العلاقة الزوجية. هذه الحقيقة المذكورة في القرآن الكريم لم يكتشفها إلا علماء الاجتماع المعاصرون. يشير عالم الاجتماع الأمريكي جورج جيلدر في كتابه "الرجال والزواج" إلى أن الرجال الناجحين والمشهورين في أي مجتمع هم أولئك المتزوجون. وذلك لأنه فقط بعد أن يُخضع الرجل إمكاناته الهائلة وغير المحددة لطاقات المرأة الإبداعية وأمومتها، تُوجّه هذه المرأة قدراته في الاتجاه الصحيح ويصعد سلم النجاح.[14] فإذا فقد الرجل هدفه في الإنجاب، فإن جميع إمكاناته تذهب أدراج الرياح. الرجال بطبيعتهم مُتَعَدِّدون، ومؤسسة الزواج وحدها هي التي تُحوِّل شهواتهم الجامحة وسلوكهم الجنسي غير المسؤول إلى حبٍّ بنّاء والتزامٍ طويل الأمد. الزواج يُولِّد شعورًا بالمسؤولية

---

[14] المرجع نفسه.

والمحاسبة لدى الرجال تجاه أسرهم. حبُّ الزوجة هو ما يُروِّض الهمجية في الرجل ليُحوِّله إلى شخصٍ مُتحضِّر.[15]

ليس من المُستغرب أن تُظهِر الأبحاث والإحصاءات العلمية الاجتماعية الحديثة أنَّ هناك الكثير من الأضرار البيولوجية والنفسية المُرتبطة بتأخير الزواج. يجب على الآباء المسلمين الذين يُؤجِّلون زواج أبنائهم أو بناتهم أن يُدركوا أنَّ أطفالهم قد يكونون ضحايا لهذه الأضرار. لذلك، يجب عليهم إصلاح ذات البين قبل فوات الأوان. عادةً ما يكون آباء الرجال العُزَّاب هم من يُهمِلون عمدًا أو عن غير قصد.

وتأخير زواج أبنائهم. وتشير الإحصائيات إلى أن تأخير الزواج والبقاء عازبًا لفترات طويلة هو الأكثر ضررًا على الرجال العُزّاب (مع أن النساء العازبات يعانين أيضًا بدرجة أقل). يلخص الجدول 1 مشاكل الرجال غير المتزوجين،

---

15 المرجع نفسه.

بما في ذلك العُزّاب والمطلقين والأرامل. لنبدأ حديثنا بالأضرار النفسية لتأخير الزواج:

ثانِيًا: الرجال العُزّاب والأمراض النفسية

تتمثل المشكلة الرئيسية للرجال العُزّاب (العُزّاب والمطلقون والأرامل) في حالتهم الصحية النفسية والجسدية الناتجة عن الوحدة وانعدام التواصل الجسدي مع الزوج/ الزوجة. ورغم أن الرجال عمومًا يعانون من أمراض نفسية أكثر من النساء، إلا أن الرجال العُزّاب يعانون من أكثر المشاكل النفسية.

تُظهِر دراسات حديثة أن غير المتزوّجين لديهم قرابة ضعف احتمال الإبلاغ عن أعراض اكتئابية مقارنة بالمتزوّجين، والفجوة أوضح لدى الرجال.[(16)] كما تشير الأبحاث إلى أن حالة العزوبة ترتبط بزيادة تقارب 50٪ في احتمال القبول

16 Zhai X, Tong HHY, Lam CK, et al. Association and causal mediation between marital status and depression in seven countries. Nat Hum Behav. 2024 Dec;8(12):2392-2405.

الإجباري بالمستشفى النفسي، وترتبط لدى الرجال الذين يعيشون منفصلين عن زوجاتهم بـنومٍ أسوأ ونعاسٍ نهاري أكثر من العيش مع الزوجة.(17)

قام عالم النفس بجامعة شيكاغو، جون ت. كاسيوبو (John T. Cacioppo)، بقياس نشاط الدماغ لدى الأشخاص الوحيدين وغير الوحيدين أثناء نومهم. واكتشف كاسيوبو أن أدمغة الأشخاص الوحيدين تمر بفترات استيقاظ قصيرة أكثر بكثير من أدمغة غير الوحيدين، مما يشير إلى أن أدمغة الأشخاص الوحيدين كانت في حالة تأهب طوال الليل. وخلص كاسيوبو في دراسته إلى أن الوحدة تُحفز آليات البقاء الأساسية لدينا، مما يؤدي إلى استيقاظ دماغنا أكثر.(18) وتأتي بيانات أكثر حسمًا حول هذا الموضوع من دراسة بحثية أجراها عالم الاجتماع ليو سرول وزملاؤه، ونشروها في كتابهم "الصحة العقلية في المدينة: دراسة وسط مانهاتن". وفقًا للإحصاءات الواردة

---

[17] Lee J, Kim H, Woo J, et al. Impacts of Remaining Single above the Mean Marriage Age on Mental Disorders and Suicidality: a Nationwide Study in Korea. J Korean Med Sci. 2020 Sep; 35(37): e319.
[18] Cacioppo, John T. and Patrick , William (2008) Loneliness: Human Nature and the Need for Social Connection. New York, W. W. Norton & Company.

في تقرير سرول، اتضح أن الفرق بين الرجال والنساء المتزوجين في صحتهم النفسية ضئيل، إذ يعاني حوالي خُمسهم من إعاقة. ومع ذلك، ووفقًا للتقرير، يبدو أن الرجال العُزّاب هم الأسوأ حالًا، وهم الأكثر تدهورًا مع التقدم في السن. فقد عانى ما مجموعه 46٪ من جميع الرجال العُزّاب الذين تتراوح أعمارهم بين 50 و59 عامًا في مسح مانهاتن من "إعاقة في الصحة النفسية".[19]

وهناك مثل سويدي قديم يقول: "الفرح المشترك فرح مضاعف، والحزن المشترك نصف حزن". يمنحنا الزواج فرصة لمشاركة أفراحنا وأحزاننا في حياتنا. يعني الزواج وجود صديق دائم ورفيق درب. فزوجة الرجل تكون إلى جانبه في منتصف الليل عندما تُرهقه همومه، وتكون إلى جانبه عندما يحتاج إلى التنفيس عن إحباطات اليوم. الزوجة هي شخصٌ التزم الرجل اجتماعيًا

---

[19] Srole, Leo, Thomas S. Langner, Stanley T. Michael, Marvin K. Opler, Thomas A. C, Rennie. (1978). Mental Health in the Metropolis: The Midtown Manhattan Study. (Vol.1) New York, New York University Press.

بالبقاء معها في تقلبات الحياة. بالنسبة للرجل، تُعدّ زوجته أكبر درعٍ يحميه من الوحدة.

جدول 1 : الارتباطات الإحصائية بين الحالة الزوجية ومؤشرات الرفاه (غير المتزوجين مقابل المتزوجين)

المؤشر (النتيجة)	ماذا تقول الدراسات الحديثة (بلغة مبسطة)	اسم المؤلف الأول للدراسة / سنة الدراسة
أعراض الاكتئاب	غير المتزوّجين قرابة ضعفي احتمال الإبلاغ عن أعراض اكتئابية مقارنة بالمتزوّجين؛ والفجوة أوضح لدى الرجال.	تشاي إكس وآخرون/ 2024 [20]
اضطرابات القلق/المزاج	من يبقون غير متزوّجين بعد سنّ الزواج المعتاد يكونون أكثر عرضة لاضطرابات القلق أو المزاج، وللتفكير الانتحاري.	لي جيه وآخرون / 2020 [21]

[20] Zhai X, Tong HHY, Lam CK, et al. Association and causal mediation between marital status and depression in seven countries. Nat Hum Behav. 2024 Dec;8(12):2392-2405.

[21] Lee J, Kim H, Woo J, et al. Impacts of Remaining Single above the Mean Marriage Age on Mental Disorders and Suicidality: a Nationwide Study in Korea. J Korean Med Sci. 2020 Sep; 35(37): e319.

المؤشر (النتيجة)	ماذا تقول الدراسات الحديثة (بلغة مبسطة)	اسم المؤلف الأول للدراسة / سنة الدراسة
الدخول القسري للمستشفى النفسي	العُزّاب أكثر بنحو 50 %في احتمال القبول الإجباري بالمستشفى النفسي مقارنة بغيرهم.	ووكر وآخرون / 2019 [22]
مشاكل النوم	الحالة الزوجية مرتبطة بالأرق. لدى الرجال، العيش منفصلًا عن الزوجة يرتبط بـ نوم أسوأ ونعاس نهاري أكثر مقارنة بالعيش مع الزوجة.	كاواتا، يومي وآخرون/2020[23] جو إكس وآخرون / 2023[24]
الجريمة/العود الإجرامي	لدى الرجال الذين ارتكبوا جريمة، الزواج يرتبط بانخفاض يقارب النصف في احتمال التكرار. كما أن التعايش/الزواج طويل الأمد	كيندلر وآخرون / 2017 [25]

22 Walker, S., Mackay, E., Barnett, P., et al. Clinical and social factors associated with increased risk for involuntary psychiatric hospitalisation: a systematic review, meta-analysis, and narrative synthesis. *The Lancet. Psychiatry*, 2019; *6* (12): 1039–1053.

23 Kawata, Yumi et al. “Association between marital status and insomnia-related symptoms: findings from a population-based survey in Japan.” *European journal of public health* 2020; 30,1: 144-149.

24 Guo X, Meng Y, Lian H, et al. Marital status and living apart affect sleep quality in male military personnel: a study of the China's Navy during COVID-19. *Front Psychiatry*. 2023;14:1178235.

25 Kendler KS, Lönn SL, Sundquist J, Sundquist K. The role of marriage in criminal recidivism: a longitudinal and co-relative analysis. *Epidemiol Psychiatr Sci*. 2017;26(6):655-663.

المؤشر (النتيجة)	ماذا تقول الدراسات الحديثة (بلغة مبسطة)	اسم المؤلف الأول للدراسة / سنة الدراسة
	يرتبط بـ انخفاض 20–40 %في خطر الجرائم العنيفة.	
الدخل/الرواتب	يميل الرجال المتزوّجون إلى كسب نحو 10–13% أكثر من نظرائهم غير المتزوّجين في الولايات المتحدة؛ وعبر دول عديدة الفارق يقارب 7.%.	دي ليندي ليونارد وآخرون / 2015 [26]
الوفيات	إجمالًا، غير المتزوّجين لديهم زيادة بنحو 15 %في خطر الوفاة خلال المتابعة مقارنة بالمتزوّجين. والفارق أكبر لدى الرجال؛ فالعُزّاب (غير المتزوّجين أبدًا) لديهم زيادة بنحو 60 %مقارنة بالمتزوّجين.	ليونج سي واي وآخرون / 2022 [27]

[26] de Linde Leonard M, Stanley TD. Married with children: what remains when observable biases are removed from the reported male marriage wage premium. *Labour Econ*. 2015;33:72-80.

[27] Leung CY, Huang HL, Abe SK, et al. Association of Marital Status With Total and Cause-Specific Mortality in Asia. *JAMA Netw Open*. 2022;5(5):e2214181.

ثَالِثًا: الرجال العُزّاب ومعدلات الجرائم

تُهذّب الحياة الزوجية ووجود زوجة وأطفال الشخص. ويبدو أن الزواج يُساعد الرجال على الامتناع عن مختلف أشكال انتهاك القانون. ووفقًا للإحصاءات الواردة في تقارير الجريمة الموحدة الصادرة عن مكتب التحقيقات الفيدرالي (واشنطن العاصمة، 1980)، فإن 90٪ من جميع جرائم العنف يرتكبها رجالٌ عزاب، على الرغم من أنهم لا يُشكّلون سوى حوالي 13٪ من السكان فوق سن الرابعة عشرة. وحتى في مرحلة البلوغ، يرتكب الرجال العُزّاب جرائم عنفٍ أكثر بخمس مرات من الرجال المتزوجين. والأسوأ من ذلك كله، وفقًا لتقارير الجريمة الموحدة (1980)، أن الرجال العُزّاب يُدانون عادةً بالاغتصاب، وهو أبشع الجرائم، بنسبة تزيد بخمس مرات عن الرجال المتزوجين.[28] وتُظهر متابعات أحدث (بحث نُشر في العام 2017 م) أنَّ الزواج يرتبط لدى الرجال الذين سبق أن ارتكبوا جريمة

[28] *Uniform Crime Reports* (1980) Federal Bureau of Investigation (Washington, D.C.)

بـانخفاضٍ يقارب النصف في احتمال التكرار، وأن التعايش/ الزواج طويل الأمد يرتبط بانخفاض خطر الجرائم العنيفة بنحو 20–40٪.[29]

وبالمثل نُشرت دراسة أكثر حسمًا حول هذا الموضوع في المجلة American Sociological Review للباحثين لوب وناجين وسامبسون. كان عنوان بحثهم "مسارات التغيير في الجرائم الجنائية: الزيجات الناجحة وعملية الإقلاع عنها". أجرى الباحثون هذه الدراسة على خمسمائة من الأحداث الجانحين المزمنين لمعرفة سبب توقف بعض الشباب عن الأنشطة الإجرامية بينما يستمر اعتقال آخرين حتى الثلاثينيات من العمر. ووجدوا أن الزواج الناجح يُحدث فرقًا كبيرًا. لوحظ في الدراسة أن الرجال الذين أصلحوا سلوكهم كانوا مشابهين إلى حد كبير للرجال الذين لم يفعلوا ذلك فيما يتعلق بطفولتهم وبيئتهم الأسرية. كما كان لديهم معدل ذكاء متشابه، وكانوا في نفس مستويات الفقر، وكانوا يُعتقلون في سن المراهقة بنفس الوتيرة تقريبًا. ومع

---

[29] Kendler KS, Lönn SL, Sundquist J, Sundquist K. The role of marriage in criminal recidivism: a longitudinal and co-relative analysis. *Epidemiol Psychiatr Sci*. 2017;26(6):655-663.

ذلك، انخفض النشاط الإجرامي بشكل ملحوظ مع مرور الوقت لدى الذين تزوجوا زواجًا ناجحًا. قدّر الباحثون أن الزواج الناجح يُخفّض معدل جرائم المجرمين المتشددين بنحو الثلثين، مقارنةً بالمجرمين الذين لم يتزوجوا.(30)

وفي ختام دراستهم، أشار الباحثون إلى أنه في بعض الأحيان:

> "يدخل بعض المجرمين ذوي المعدلات العالية في ظروف كالزواج تُتيح لهم إمكانية السيطرة الاجتماعية غير الرسمية. وعندما يفعلون ذلك، وفي حالتنا عندما تكون الزيجات متماسكة، يكون للاستثمار تأثير وقائي كبير على الإجرام .... أدت الزيجات المبكرة التي تتميز بالتماسك الاجتماعي إلى تأثير وقائي متزايد [على السلوك

30 Laud, John H., Daniel S. Nagin & Robert J. Sampson. (1998), "Trajectories of Change in Criminal Offending: Good Marriages and the Desistance Process" *American Sociological Review*. Vol. 63, p. 225-238.

الإجرامي]... وتدعم البيانات الطابع الاستثماري للزواج الناجح". (31)

يُظهر هذا البحث بوضوح أن الزواج لديه القدرة على تغيير حتى المجرمين المتشددين. وبالتالي، يمكن للزواج أن يُغير الشباب المدلل بمنحهم الشعور بالمسؤولية والترابط الاجتماعي.

تكمن حكمة عظيمة في كل وصية من وصايا الإسلام. قبل أربعة عشر قرنًا، أمر القرآن الكريم أفراد المجتمع الإسلامي بالمساعدة في ترتيب زواج العُزّاب في المجتمع لإصلاح العُزّاب المتورطين في الجرائم أو الذين قد يميلون إلى السلوكيات المرفوضة اجتماعيًا. ولكن من المفارقات أن يُعتبر القرآن الكريم اليوم كتابًا شعائريًا لا كتابًا عمليًا. إن الإحصائيات المذكورة أعلاه ليست مجرد سبب للتعاطف مع الرجل الأعزب، بل هي سبب للقلق أيضًا.

---

[31] المرجع نفسه.

يجب على الآباء المسلمين أن يدركوا هذا الأمر. يجب أن يفهموا أن تزويج أبنائهم الصغار مفيدٌ للغاية لشبابهم، وسيساعد على تهذيبهم.

مع أن معظم الأبحاث الاجتماعية العلمية التي أُجريت على الرجال العُزّاب مقابل المتزوجين، والمعروضة هنا، أُجريت في دول غربية لا إسلامية، إلا أنه يجب أن نضع في اعتبارنا أن عواقب تأخير الزواج متشابهة إلى حد كبير في أي مجتمع، وذلك لسبب بسيط هو أن الغرائز الإنسانية الأساسية لا تتغير باختلاف المجتمعات. وقد ورد ذلك بوضوح في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الروم: 30)

رَابِعًا: الرجال العُزّاب والأجور المتدنية

وعد الله تعالى المؤمنين المتزوجين في القرآن الكريم بزيادة رزقهم:

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

(سورة النور: 32)

إن وعد الله حق، فهناك فرقٌ شاسعٌ بين رواتب الرجال العُزّاب والمتزوجين، فوفقًا لتقريرٍ صادرٍ عن مكتب الإحصاء الأمريكي، يمكن للرجال المتزوجين أن يكسبوا ما يصل إلى 70٪ أكثر من الرجال العُزّاب أو النساء العازبات.[32] وبحسب تلخيص دراسات أحدث (في العام 2015م)، يميل الرجال المتزوّجون إلى كسب نحو 10–13٪ أكثر من نظرائهم غير المتزوّجين في الولايات المتحدة، ويبلغ الفارق عبر عدة دول في المتوسط قرابة 7٪.[33]

علاوةً على ذلك، واستنادًا إلى بيانات مكتب الإحصاء، فإن فرص خريجي المدارس الثانوية المتزوجين في الحصول على دخلٍ يزيد عن 30,000 دولار أمريكي في نهاية المطاف أفضل بأربع مرات من فرص أقرانهم العُزّاب، تُثبت

---

32 U.S. Bureau of the Census, Current Population Reports, Series P-60, No. 146, "Money Income of Households, Families, and Persons in the United States, 1983" Washington, D.C., U.S. Government Printing Office, 1985, Table 45, pp. 145-152.

33 de Linde Leonard M, Stanley TD. Married with children: what remains when observable biases are removed from the reported male marriage wage premium. *Labour Econ*. 2015;33:72-80.

هذه الإحصائيات بما لا يدع مجالًا للشك أن المتزوجين هم دائمًا الأكثر ثراءً ودخلًا من العُزّاب في المجتمع، يجمع الرجال المتزوجون ثروةً أكبر من العُزّاب أو المنفصلين، ولهذا السبب، ينصح جورج جيلدر العُزّاب قائلاً: " قد يكون الزواج أهم بكثير بالنسبة للشاب الطموح من الالتحاق بالجامعة. فالرجال المتزوجون هم الوحيدون في المجتمع الذين يميلون عمومًا إلى الوصول إلى أعلى مستويات الدخل " (34)

في دراسة حديثة نُشرت في عدد عام 1991 من مجلة " مراجعة علاقات العمل الصناعية "، بحثت الباحثة جوني هيرش (Joni Hersch) في إمكانية تفسير الفروق في رواتب الأزواج والعُزّاب بأنواع الوظائف التي يشغلونها، وبعد مراعاة المسؤوليات الأسرية، وُجد أن الرجال المتزوجين ما زالوا يكسبون أكثر بنسبة 17٪ من الرجال العُزّاب ذوي الوظائف المماثلة، (35)

[34] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.
[35] Hersch, Joni. (1991), "Male-Female Differences in Hourly Wages: The Role of Human Capital, Working Conditions, and Housework," *Industrial Labor Relations Review*. Vol. 44, p. 749-759.

وفي تعليقهما على نتائج دراسات مماثلة أخرى، أشار الباحثان وايت (Linda Waite) و غالاغر (Marrie Gallagher) إلى ما يلي:

"تأتي غالبية أجور الأزواج المرتفعة من زيادة إنتاجية الرجل التي يُحدثها الزواج نفسه... بالنسبة للرجل العامل، تُعتبر الزوجة سلاحًا سريًا يمنحه بمرور الوقت ميزة تنافسية قوية على زملائه غير المتزوجين" (36)

تجدر الإشارة أيضًا إلى أن ظاهرة الرجال المتزوجين الذين يكسبون أكثر من الرجال العُزّاب لا تقتصر على أمريكا، ففي دراسة حديثة نُشرت في عدد عام 1995 من مجلة اقتصاد السكان، أجرى الخبير الاقتصادي روبرت ف. شويني (Robert F. Schoeni) مقارنة بين دخل الرجال في 14 دولة متقدمة حول العالم، ووجد شويني أنه في جميع الدول التي خضعت للدراسة تقريبًا يكسب الرجال المتزوجون أكثر بكثير من الرجال غير المتزوجين، ففي الولايات

[36] Waite, Linda and Gallagher, Marrie (2000) The Case for Marriage: Whey Married People are Happier, Healthier, and Better Off Financially. New York, Doubleday.

المتحدة، وبناءً على نتائج شويني، يكسب الرجال المتزوجون أكثر بنسبة 30٪ من الرجال الذين لم يتزوجوا أبدًا.(37)

بالإضافة إلى ذلك، لوحظ في دراسات مختلفة أنه كلما طالت مدة زواج الرجال، زادت علاوة الأجر التي يتلقونها مقارنةً بقدرة الرجل العزب على الكسب، إن كون ظاهرة الرجال المتزوجين الذين يكسبون أكثر من الرجال غير المتزوجين تبدو عالمية، يدل على وجود أسباب عميقة لحدوثها، أحد الأسباب هو أن الرجال المتزوجين عمومًا، يعيشون حياة أكثر استقرارًا، فهم يدركون أن عليهم رعاية أسرهم ماليًا، مما يزيد من احتمالية ادخارهم للمال، كما أن معدلات تغيبهم عن العمل أقل، بالإضافة إلى ذلك، هناك سبب آخر أشار إليه ميري جولدشايدر (Frances Goldscheider) و ليندا ويت (Linda Waite) في كتابهما " أسر جديدة، لا أسر؟: تحول المنزل الأمريكي"، وهو أن الرجال المتزوجين لديهم وقت أطول للعمل، لأن

[37] Schoeni, Robert F. (1995), “Marital Status and Earnings in Developed Countries,” *Journal of Population Economics*. Vol. 8, pp. 351-359.

زوجاتهم قادرات على القيام بمعظم الأعمال المنزلية، مثل إعداد العشاء، وغسل الملابس، ورعاية الأطفال، ومساعدتهم في أداء واجباتهم المنزلية، وما إلى ذلك. وبهذا التقسيم للعمل، يمكن للأزواج التركيز بشكل أفضل على العمل، وبالتالي التخصص في كسب المال.[38]

في ضوء هذه النتائج البحثية التي تُظهر بوضوح الفارق الاقتصادي بين الرجال المتزوجين والعُزّاب، يتجلّى لك المقصود من مقولة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﵁ حين عبّر عن حكمةٍ بالغة في شأن الزواج والرزق:

"عَجِبْتُ لِمَنْ أَبْطَأَ بِهِ الْغِنَى عَنِ النِّكَاحِ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: «إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ»"(المصنف لابن أبي شيبة)[39]

---

[38] Goldscheider, Frances K. and Waite, Linda (1991) New Families, No Families? The Transformation of the American Home. Berkeley, Univ. of California Press.

[39] عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت. 235 هـ)، ا المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت (الرياض: مكتبة الرشد، 1409 هـ)، ج 3، ص 435، رقم 15920.

.

فكما أوضح عمرٌ ﵁، فإنّ تجديد النسل واستمرار بناء الأسرة لا يزيدان المردود المادي فحسب، بل يحقّقان استقراراً ينطلق من تعاون الزوجين وتقسيم الأدوار، مما يفتح المجال للرجل للتركيز على كسب الرزق، ويعزّز من قدرة الأسرة على الادخار والازدهار.

خَامِسًا: الرجال العُزّاب والوفيات المبكرة

من بين جميع فئات المجتمع، يُسجّل الرجال العُزّاب أعلى معدل وفيات، ويُعزى سبب هذه الوفاة في معظم الحالات إلى الانتحار. تشير بيانات حديثة (نُشر في العام 2022م) إلى أن غير المتزوّجين لديهم، إجمالًا، زيادة بنحو 15٪ في خطر الوفاة خلال المتابعة مقارنة بالمتزوّجين، مع فارقٍ أكبر لدى الرجال؛ كما أن غير المتزوّجين أبدًا لديهم زيادة تقارب 60٪ مقارنة بالمتزوّجين.[40]

[40] Leung CY, Huang HL, Abe SK, et al. Association of Marital Status With Total and Cause-Specific Mortality in Asia. *JAMA Netw Open*. 2022;5(5):e2214181.

في شهادةٍ أُعدّت للإدلاء بها أمام مجلس النواب الأمريكي، اللجنة المختارة لشؤون الأطفال والشباب والأسر، في 20 يوليو/ تموز 1983، بعنوان " اتجاهات انتحار الشباب، وجرائم القتل، والاعتقالات، وتعاطي المخدرات "، أشار الباحث إدوارد أ. وين من جامعة إلينوي (شيكاغو) إلى أن معدل انتحار الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 19 عامًا ارتفع بنسبة 154٪ بين عامي 1960 و1977. وللأسف، لا يقتصر الانتحار على الشباب العُزّاب فقط، الحقيقة هي أنه كلما تقدم الرجل في السن دون زواج، زادت احتمالية انتحاره.[41]

درس عالم الاجتماع الشهير إميل دوركهايم (Emile Durkheim) في كتابه "الانتحار: دراسة في علم الاجتماع" معدلات الانتحار المرتفعة للرجال العُزّاب في القرن التاسع عشر في جميع أنحاء أوروبا، في مناطق تشمل فرنسا وسويسرا وإيطاليا وبروسيا وساكسونيا وبادن ومناطق أخرى. وصرح

---

[41] *Quoted in*: Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

دوركهايم بشأن ارتفاع معدلات انتحار الرجال العُزّاب: " إن الرابطة التي تربط الرجل [الأعزب] بالحياة تضعف لأن رابطه بالمجتمع نفسه يضعف".[42]

عندما يرتبط الرجل والمرأة في علاقة زوجية، فإن ذلك يمنحهما شعورًا بالقيمة الشخصية، هذا الشعور بالأهمية في نظر الآخرين يقلل من احتمالية انتحار هؤلاء الرجال والنساء، بالإضافة إلى ذلك، يكون الرجال العُزّاب أكثر عرضة للاكتئاب بسبب أي مشكلة، ويرجع ذلك أساسًا إلى شعورهم بالوحدة، تناول الطبيب الدكتور جيمس جيه لينش (James J. Lynch, M.D.) هذا الموضوع بالتفصيل في كتابه "القلب المكسور: العواقب الطبية للوحدة ".

لا تقتصر معدلات وفيات الرجال العُزّاب المرتفعة مقارنةً بالرجال المتزوجين في المجتمع على حالات الانتحار، رغم أنها السبب الرئيسي، فوفقًا للإحصاءات التي قدمتها دكتورة كاثرين روس (Catherine Ross) وزملاؤها والمنشورة في عدد عام 1990 من مجلة "الزواج والأسرة"، فإن معدلات

---

42 Durkheim, Emile (1966). Suicide, A Study in Sociology. (trans. by John A. Spaulding and George Simpson, ed. George Simpson). New York, The Free Press.

وفيات الرجال غير المتزوجين مرتفعة بشكل خاص فيما يتعلق بأسباب الوفاة "التي لها علاقة سلوكية كبيرة، مثل سرطان الرئة وتليف الكبد، أو التي تقتل الشباب والبالغين في منتصف العمر، مثل الانتحار".[43]

ووفقًا للإحصاءات التي قدمتها هذه الدراسة، فإن معدلات وفيات الرجال العُزّاب أعلى بنسبة 250٪ من الرجال المتزوجين، بينما أعلى بنسبة 50٪ لدى النساء العازبات من النساء المتزوجات، وبالمثل، يقضي المتزوجون وقتًا أقل بكثير في المستشفيات مقارنة بنظرائهم غير المتزوجين، وعندما يُدخل المتزوجون إلى المستشفيات، تكون معدلات تعافيهم أعلى، هناك أدلة علمية تُشير إلى أن الدعم الاجتماعي يُعزز جهاز المناعة لدى الشخص، مما يُؤدي إلى تعافيه/ ـها بشكل أسرع من المرض.[44]

[43] Catherine, E. Ross, John Mirowsky, Karen Goldsteen. (1998), “The Impact of the Family on Health: Decade in Review ” *Journal of Marriage and the Family*. Vol. 52, p. 1061.

[44] المرجع نفسه.

ومن النقاط الجديرة بالملاحظة هنا أيضًا أن النساء غير المتزوجات يُعانين أيضًا من معدلات وفيات مرتفعة مُقارنةً بنظيراتهن المتزوجات، إلا أن أسباب وفاتهن ليست بنفس خطورة الرجال.

يُعتبر الورم الميلانيني الجلدي الخبيث (Cutaneous malignant melanoma) شكلًا مميتًا من سرطان الجلد، على الرغم من أن 3 إلى 5٪ فقط من جميع سرطانات الجلد تُشكل هذا النوع، إلا أنه مسؤول عن ما يقرب من 75٪ من جميع الوفيات الناجمة عن سرطانات الجلد.[(45،46)]

في دراسة حديثة نُشرت في عدد عام 2014 من مجلة علم الأورام السريري، كُشف أن الرجال غير المتزوجين (عزاب أو مطلقين) يُصابون بسرطان الجلد الخبيث، ويتعرضون للوفاة المبكرة بسببه بمعدل أعلى بكثير مقارنةً بالرجال المتزوجين الذين يعيشون مع زوجاتهم، كما أظهرت هذه الدراسة أن النساء

---

[45] Sladden, Michael J., Balch C, Barzilai DA, Berg D, et al. (2009) "Surgical excision margins for primary cutaneous melanoma". *Cochrane Database Syst Rev*. Vol. 4: CD004835.

[46] American Cancer Society. Cancer facts and figures 2010. http://www.cancer.org/Research/CancerFactsFigures/CancerFactsFigures/cancer-facts-and-figures-2010.

اللواتي يعشن بمفردهن يُصبن بهذا النوع من سرطان الجلد بمعدل أعلى مقارنةً بالنساء اللواتي يعشن مع أزواجهن، على الرغم من أن خطر الإصابة لم يكن بنفس ارتفاع خطر الإصابة لدى الرجال.

أجرت هذا البحث الشامل الدكتورة هانا إريكسون (Hanna Eriksson, MD, PhD)، الحاصلة على درجة الدكتوراه في الطب، من قسم الأورام وعلم الأمراض في مستشفى جامعة كارولينسكا في سولنا، السويد، أجرت الدكتورة إريكسون وزملاؤها هذه الدراسة السكانية على 27,235 مريضًا من السويد بين عامي 1990 و2007. **أظهرت نتائج هذه الدراسة أن الرجال الذين يعيشون بمفردهم لديهم خطر متزايد بنسبة 42٪ للإصابة بسرطان الجلد الخبيث من المرحلة الثانية مقارنةً بالرجال الذين يعيشون مع زوجاتهم، علاوة على ذلك، زاد خطر الإصابة بسرطان الجلد الخبيث من المرحلة الثالثة/ الرابعة بنسبة 43٪ مقارنةً بالرجال الذين يعيشون مع زوجاتهم.**[47]

---

47 Eriksson, Hanna, Lyth J, Månsson-Brahme E, Frohm-Nilsson M, et al. (March 31, 2014) “Later Stage at Diagnosis and Worse Survival in Cutaneous Malignant Melanoma Among Men Living Alone: A Nationwide Population-Based Study From Sweden”

وعلقت الدكتورة إريكسون على نتائج دراستها قائلةً:

> "وجدنا أن الرجال الذين يعيشون بمفردهم لديهم معدل بقاء منخفض في حالة الإصابة بسرطان الجلد الخبيث مقارنةً بالرجال الذين يعيشون مع زوجاتهم حتى بعد إجراء تعديلات شاملة، بما في ذلك العمر ومستوى التعليم وعوامل التشخيص النسيجي المرضي."(48)

الأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أن علماء الاجتماع لاحظوا علاقة قوية بين الزواج والوفاة في العديد من المجتمعات والمناطق حول العالم، ووفقًا لبحث أجراه عالما الاجتماع يوانرينغ هو (Yuanreng Hu) ونورين غولدمان (Noreen Goldman) ونُشر في عدد عام 1990 من مجلة "الديموغرافيا"،

---

48 Lawrence, Leah. (April 10, 2014) “Living Alone Increased Men’s Risk for Late-Stage Melanoma” Cancer Network (http://www.cancernetwork.com/news/living-alone-increased-mens-risk-late-stage-melanoma?GUID=A3B9460E-ACBA-46A4-B95B-F595128D85CD&rememberme=1&ts=16042014)

وُجد أنه في دول متنوعة كاليابان وهولندا، يموت الرجال والنساء غير المتزوجين أسرع من المتزوجين.

وعلاوة على ذلك، وجد وانرينغ هو و نورين غولدمان أنه في معظم الدول المتقدمة، يكون الرجال من أي عمر، سواء كانوا عازبين أو مطلقين أو أرامل، أكثر عرضة للوفاة المبكرة بنحو الضعف مقارنةً بالرجال المتزوجين، أما بالنسبة للنساء غير المتزوجات، فإن معدل الوفيات أعلى بمرة ونصف من النساء المتزوجات.(49)

وتُظهر هذه الإحصائيات من دول مختلفة حول العالم أن الدول الإسلامية ليست بمنأى عن الآثار السلبية لتأخير الزواج، في جميع هذه الأبحاث، قد يُعزى ارتفاع معدلات وفيات الرجال العُزّاب أو المطلقين بسبب الأمراض في نهاية المطاف إلى الاكتئاب أو ضغوط الوحدة، لا تتاح للرجل أو المرأة العزباء أو الأرمل أو المطلق فرصة مشاركة همومه مع زوجته لتخفيف ضغوطه،

[49] Hu, Yuanreng & Goldman, Noreen (1990), “Mortality Differentials by Marital Status: An International Comparison” *Demography*. Vol. 27(2), pp. 233-250.

فالبشر، في نهاية المطاف، كائنات اجتماعية، فلا عجب أن تُعتبر الرابطة الزوجية بين الزوج والزوجة من آيات الله في القرآن الكريم كما سبق بيانه (سورة الروم: 21).

سَادِسًا: نصائح علماء المسلمين للشباب المسلم

أدرك علماء المسلمين حكمة الزواج قبل ظهور الأبحاث العلمية الاجتماعية في عصرنا هذا بزمن طويل، ويعود ذلك إلى أن القرآن الكريم يُشَجِّعُ المسلمين على تجنب تأخير الزواج دون داعٍ، ويدرك الإسلام أن الشباب فترة عصيبة على كل من الفتيان والفتيات، فعند الوصول لسن البلوغ، تتدفق الهرمونات الجنسية في أجسامهم، وفي حال تأخير زواج الشباب والشابات، تُهدر الكثير من طاقاتهم الإبداعية، وينصرف تركيزهم إلى محاربة رغباتهم الجنسية، والحل الأمثل هو تزويج هؤلاء الشباب، لأن ذلك يوجه طاقاتهم الإبداعية بالاتجاه الصحيح، ويجب ألا نلتفت إلى الخرافة الحديثة القائلة بأن الزواج يمنع الشباب والشابات من بلوغ أعلى مستويات التعليم، في الواقع، يُنمّي

الزواج شعورًا بالمسؤولية لدى الشباب، ويُتيح لهم التركيز الذهني اللازم لنيل أعلى درجات التعليم أو العمل في مجتمعهم.

كان علي بن عثمان الجُلابي الهجويري (توفي عام465 هـ/ 1077 م) عالمًا إسلاميًا بارزًا في شبه القارة الهندية الباكستانية، في كتابه الشهير " كشف المحجوب "، يذكر أنه قضى حياته كلها في السفر ونشر رسالة الإسلام، ولذلك لم يستطع الزواج، ومع ذلك، وبناءً على تجاربه ومعرفته، نصح الشباب المسلم بأهمية الزواج قائلاً:

" في العزوبية خطران: الأول: ترك سنة النبي محمد ﷺ، والثاني: تغذية الشهوة في الجسد التي قد تضعك في محنة في أي وقت... وقد كنت أنا (علي بن عثمان الجلابي الهجويري) ضحية لذلك. ومن ثم، أعرف العواقب الوخيمة للوحدة، لم أتزوج لمدة أحد عشر عامًا، ولكن في النهاية وقعت في محنة ووقعت في حب امرأة دون أن أرى وجهها. وظل عقلي مشغولًا بها لمدة عام كامل، كنت على وشك أن يُدمر إيماني،

ولكن في النهاية أنقذني الله من هذه المحنة وعافاني برحمته. لذلك، لا تبقَ عازبًا أبدًا، تزوج في أقرب وقت ممكن " [50]

يذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ / 1201م) في كتابه "تلبيس إبليس" أن الشيطان يغوي بعض المسلمين ليتبعوا أسلوب حياة الرهبنة ويتركوا الزواج، ظنًا منهم أن الزواج يصرفهم عن ذكر الله ويميلهم إلى حب الدنيا، يوضح ابن الجوزي أن مفهوم الرهبنة قد تسلل إلى الإسلام من المسيحية، ولا مجال له في الإسلام كما يقول القرآن: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة الحديد: 27). ثم يكتب:

"ومن مكر إبليس أنه يصور للعبد الفقرَ ويخوّفه من عيالٍ لا وجود لهم، فيُحجم عن النكاح، ويترك هذه السُّنَّة، مع قول الله تعالى: ﴿إِن

[50] الهجويري، علي بن عثمان الجلابي (1970). كشف المحجوب (ترجمة: ميان طفيل محمد). لاهور: المطبوعات الإسلامية. ص 157.

يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: 32)، ولو تزوج لرزقه الله الأجر في كسبه وعياله." (51)

كتب شاب رسالةً إلى السيد أبو الأعلى المودودي(52) يستفتيه فيها إن كان يجوز له البقاء أعزبًا دون زواج، ولدعم قراره، ضرب الشاب أمثلةً لعلماء مسلمين، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728 هـ) والشيخ نظام الدين أولياء الدهلوي (ت 725 هـ)، اللذين لم يتزوجا طوال حياتهما، ردّ السيد مودودي على الشابّ بالنصيحة التالية:

---

[51] ابن الجوزي، الإمام عبد الرحمن (2003). تلبيس إبليس (مكر الشيطان). دار الكتب العلمية، بيروت، ج. 1، ص. 196.

[52] سيد أبو الأعلى المودودي (1903 – 1979 م) هو مفكر إسلامي وإصلاحي بارز من شبه القارة الهندية. وُلد في أورنگ آباد بالهند و توفى في لاهور، باكستان، وهو مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان، وأحد أبرز رواد الفكر الإسلامي في العصر الحديث. من أشهر مؤلفاته التي كان لها تأثير واسع: "تفهيم القرآن" (تفسير عصري للقرآن)، و"الجهاد في الإسلام"، و"المصطلحات الأربعة في القرآن".

"لا سبيل لنا لمعرفة سبب عدم زواج الشيخ ابن تيمية أو الشيخ نظام الدين أولياء، لا أستطيع أن أؤوِّل أفعالهما تفسيرًا مُختلقًا، وأُضلّ المسلمين بسبب تفسيري، إن لم تتزوج، فقد تنجح في كفّ جوارحك وعيونك عن ارتكاب المعصية، لكنك بالتأكيد لن تتمكن من حماية عقلك من آثار الشهوة، أفضل مثال لنا هو النبي محمد ﷺ في اتباع من تزوج وأنجب". (53)

ألقى الدكتور بلال فيليبس (Bilal Philips)، وهو عالم مسلم معاصر، محاضرة في تورنتو بعنوان " في ظل العرش الرحمن"، نصح فيها المسلمين بأنه لحماية الشباب من آفات الهرمونات، نصح النبي محمد ﷺ الشباب بالزواج، وإن لم يتمكنوا من ذلك، نصحهم بالصيام لأنه يقطع شهواتهم (رواه البخاري). ولذلك، يُشجع الشباب على الزواج في سن مبكرة. وأعرب الدكتور فيليبس عن أسفه لأن المسلمين في العالم الإسلامي اليوم، للأسف، لا يشجعون شبابهم على الزواج في سن مبكرة. ويُقال لهم إنه يجب عليهم

[53] مودودي، سيد أبو الأعلى (1990) الرسائل والقضايا، لاهور: منشورات إسلامية.

إكمال تعليمهم أولًا، ثم إكمال دراستهم الجامعية، والحصول على شهاداتهم، ثم الزواج، ومما يزيد الطين بلة، أن الآباء المسلمين قد يضيفون أنه من الأفضل للشاب أن يحصل على منزل وكل هذه الأمور أولًا، وأن يُجهّز كل شيء ثم يتزوج، ما عواقب وضع كل هذه العراقيل في زواج الشباب المسلم؟ أبلغ الدكتور فيليبس جمهوره:

"يتسبب هذا في مرور العديد من الشباب بأصعب فترات حياتهم دون زواج، وعندما يصلون أخيرًا إلى أواخر العشرينات أو أوائل الثلاثينات، يتزوجون. فماذا حدث في تلك السنوات العشرين تقريبًا بين الثالثة عشرة والثلاثين؟ ماذا حدث لذلك؟ ومن المسؤول عن ذلك؟ في المقام الأول، إنه خطأ الوالدين.

وبالطبع، عندما يصل الأطفال إلى سن الرشد في سن البلوغ، يُحاسبون على أفعالهم، لكن الآباء يتحملون أيضًا إثمًا أكبر لعدم مساعدتهم أطفالهم في هذا الوضع الصعب... ثم نجد فتيات وفتيانًا متورطين في الفساد [السلوك الجنسي قبل الزواج] هنا نتيجة عدم زواجهم، هذه

خطيئة عظيمة ترتكبها العائلات المسلمة هنا في هذا الجزء من العالم وفي أماكن أخرى، وعلينا معالجة هذه القضية إذا أردنا بناء مجتمع سليم."[54]

ولذلك، فمن الواجب على الوالدين المسلمين أن يُدبّروا زواج ابنهم أو ابنتهم الصغيرة في أسرع وقت ممكن، ولا ينبغي لهم أن ينتظروا حتى يصبح ابنهم أو ابنتهم صرافًا آليًا (صرافًا آليًا في البنك) لكسب المال قبل تزويجه/ـها حتى لو تقدم في السن.

سَابِعًا: حلٌّ للشباب المسلم

يحث الإسلام على الزواج كرباط مقدس والتزام اجتماعي. إلا أن مجرد التفكير فيه اليوم يستحضر متاعب المراسم وضغوطها وتكاليفها. يفترض كثير من الآباء أن عدم طلب الأبناء الزواج يعني انعدام الحاجة، لكن ليس كل شاب أو شابة يُصرّح لوالديه بهذه الرغبة ليقول: "كفى، ساعدوني على الزواج".،

[54] Philips, Dr. Bilal (n.d.). “In the Shade of the Throne” (audio speech) Toronto, Canada. (http://www.kalamullah.com/bilalphilips.html)

ليس من السهل التغلب على بيولوجيتنا وهرموناتنا الجنسية، في الواقع، في كثير من الأحيان، يكون الشباب الذين لا يضغطون على والديهم للزواج على علاقة غرامية مع شخص ما، وبالتالي، لا يشعرون بالحاجة في الوقت الحالي إلى الضغط على والديهم. يروي إبراهيم بن ميسرة عن طاووس أن عمر بن الخطاب قال لرجلٍ كان يؤخر زواجه بلا داع: **"لا يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور"**.(55)

لقد غرس المجتمع هذا النمط الفكري في أذهان الآباء والشباب على حد سواء، وهو أن على الشباب إكمال تعليمهم الجامعي حتى أعلى الشهادات، ثم عليهم ادخار المال وشراء منزل، وعندها فقط يمكنهم الزواج، أما الشباب في الكليات والجامعات، فيُصادقون زملائهم في الدراسة لأنهم لا يستطيعون الفرار من طبيعتهم، الرغبة في الجنس الآخر موجودة، والطريقة الحلال الوحيدة لغض البصر وإشباع الرغبة الجنسية لدى أي شاب هي الزواج، أولئك

---

[55] ابن أبي شيبة، أبو بكر. المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق: كمال يوسف الحوت. بيروت: دار التاج، 1989. ج. 3، ص. 453، رقم الحديث 16276.

الشباب والفتيات الذين يتورطون في أفعال مشينة وعلاقات محرمة قبل الزواج، يجدون صعوبة في الحماس للزواج لاحقًا، لأن اللذة العابرة التي حصلوا عليها في البداية من التعارف العاطفي أو العلاقات قبل الزواج كانت شديدة لدرجة أنها استنزفت كل طاقاتهم، ويعاني الشباب والشابات المتدينون من ظاهرة مماثلة، وهي انعدام التوقعات الكبيرة من الزواج، ولكن لسبب مختلف، فبحلول الوقت الذي يتزوج فيه هؤلاء المسلمون المتدينون في أواخر العشرينات أو حتى الثلاثينات من العمر، يكونون منهكين للغاية بحيث لا يتبقى لديهم أي طاقة لاستغلالها في زواج ناجح ومثمر، يحدث كل هذا لأن الزواج يتأخر كثيرًا في بعض المجتمعات الإسلامية، بسبب النفقات الباهظة وإهدار المال المرتبط بالزواج ومراسمه، حيث تتجلى هذه العملية الطويلة والمكلفة بوضوح في كلمات الأخت لبابة قاسم على النحو التالي:

"تتضمن الزيجات الإسلامية اليوم حوارًا مطولًا بين العائلات، يشمل الجميع باستثناء الشخصين المعنيين، تُحدد الصفقات والمفاوضات الصعبة قيمة العروس من حيث الأحجار الحمراء والخضراء الزاهية المرصعة في سلاسل

من الذهب، بالإضافة إلى ذلك، تُحدد الكميات الفاحشة وغير المريحة والمسيئة من الضيوف والطعام أجواء يوم الزفاف نفسه... [و] سلسلة الليالي التي لا تنتهي من الحفلات والطبول وتجمعات الحناء، ما أصل الملابس الصفراء والخضراء، والزيت، والشموع، وأوراق العشرة جنيهات، والخواتم الذهبية، والنساء اللواتي يرتدين ملابس غير محتشمة ويرقصن برفقة رجال غرباء؟ هذا لأن التحضير للزواج يُبذل فيه جهد أكبر بكثير من التفكير في بقية حياتهما الزوجية، يصبح من المستحيل تخيل كم من الوقت قد تستغرقه الأسرة للوصول إلى وضع مالي يسمح لها بإقامة مثل هذا الحدث الباهر! "[56]

يُكرر عالم النفس المسلم الدكتور مالك بدري المخاوف نفسها، مُشيرًا إلى أن زواج المسلمين اليوم أصبح مُكلفًا للغاية بسبب تبديد الثروات على مراسم الزواج بغرض التباهي، فضلًا عن اتباع عادات الزواج المُستقاة من المجتمعات الهندوسية أو غيرها من المجتمعات الوثنية،[57] ومن هذه

---

[56] Qasim, Lubaba "Islam's First Tale of Love" Muslimyouth.net Campaign. (http://www.muslimyouth.net/campaigns?id=13&art=118)

[57] Badri, Malik (1997). The AIDS Crisis: An Islamic Socio-cultural Perspective. Kuala Lumpur, IIITC.

العادات دفع مهر العروس، الذي يُثقل كاهل والديها، خلافًا للتعاليم الإسلامية، ويقترح الدكتور بدري أن حل هذه المشكلة في الدول الإسلامية يكمن في إقامة حفلات زفاف جماعية غير مُكلفة مع هدايا رمزية للعروس على المستوى الوطني، كما هو الحال في السودان في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب. في الواقع، وكما ورد في حديث النبي محمد ﷺ، فإن أفضل الزواج هو الزواج غير المُكلف:

"إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة" (مسند أحمد)[58]

ومع ذلك، فإن أفضل وأسرع طريقة لحل هذه المشكلة هي حلها على المستوى الفردي، وقد وضع العديد من الآباء المسلمين اليوم معايير معقدة للبحث عن شريك لزواج أبنائهم، مما يتسبب غالبًا في تأخير الزواج دون داعٍ، و على الوالدين ترتيب الزواج لأولادهم عند بلوغ سنِّ المكلَّفين. وَنَصَحَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّاغِبِينَ فِي الزَّوَاجِ بِاخْتِيَارِ الشَّرِيكِ الصَّالِحِ، فَقَالَ:

---

[58] أحمد بن حنبل (2001). المسند (ج4، ص149). بيروت: مؤسسة الرسالة. ترقيم الحديث: 16519، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

"تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ" (البخاري ومسلم)[59]

لا ينبغي للوالدين المسلمين تأخير زواج أبنائهم إلى حد لا يكون فيه مخرج لابنهم أو ابنتهم الصغيرة إلا الانغماس في المغازلة والمواعدة والتودد عبر الانترنت. ينبغي على الآباء المسلمين ألا يؤخروا زواج أبنائهم إلى حدٍّ يجعل المخرج الوحيد لهم هو الانغماس في المغازلة والمواعدة و التعارف العاطفي قبل العقد الشرعي، أو في ما يُعرف بـ«زيجات الحب»، فقد أظهرت الأبحاث أن الزيجات الناتجة عن المغازلة والمواعدة و التعارف العاطفي مؤقتة، وأثبتت التجربة أن "جَسّ النبض" قبل الزواج لا يُساعد على التوافق، وقد أقرت الناشطة النسوية الشهيرة جيرمين غرير (Germaine Greer) بهذه الحقيقة في كتابها "المرأة الكاملة" عندما كتبت: **"إن من أقصر الزيجات تلك التي تسبقها فترة طويلة من المعيشة المشتركة دون عقد نكاح رسمي."**[60]

---

[59] البخاري (4802)، مسلم (1466)

[60] Greer, Germaine. (1999) The Whole Woman. London, Anchor Publishers.

وفي حديث آخر، روى أبو حاتم المزني أن النبي محمدًا ﷺ قال:

«إذا أتاكم مَن تَرْضَوْنَ دِينَه وخُلُقَه فأنكحوه، إلا تفعلوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ». (الترمذي) [61]

وكذلك، روى علي بن أبي طالب أن النبي محمدًا ﷺ أوصاه:

«يا عليُّ، ثلاثٌ لا تؤخِّرْها: الصَّلاةُ إذا آنتْ والجِنازةُ إذا حضَرَت والأيِّمُ إذا وجدَت لها كُفُؤًا» (الترمذي)[62]

لا شك أن التعليم مهم للبنين والبنات على حد سواء، ولكن لا ينبغي أن يكون التعليم عائقًا عن الزواج بدلًا من أن يكون سببًا للفرج. من المؤسف وجود علاقة عكسية بين التعليم والزواج في الوقت المناس، وخاصةً في الدول

---

[61] أخرجه الترمذي (1085) وحسَّنه، وابن ماجه (1967)، والحاكم في «المستدرك» (2/ 164-165) وصحَّحه على شرط مسلم.

[62] أخرجه الترمذي في "الجامع" كتاب الجنائز، باب ما جاء في تعجيل الجنازة (1075)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ". ورواه الحاكم في "المستدرك" (2/ 162) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ". وقال الشيخ أحمد شاكر في حاشية مسند أحمد (2/ 144): "إسناد هذا الحديث صحيح".

الإسلامية، فبينما يتلقى الشباب تعليمهم، يؤجل آباؤهم زواجهم. فبمجرد أن يكملوا تعليمهم، يأمرهم آباؤهم بقضاء بضع سنوات في " ترسيخ " أنفسهم في مهنة ما، ليصبحوا بمثابة "صراف آلي" لتوليد المال، وعندما يكون هؤلاء الشباب على أهبة الاستعداد للزواج، يكونون قد تجاوزوا الثلاثين من العمر، لكنهم يبحثون عن فتيات أصغر منهم سنًا – على الأقل بست إلى عشر سنوات وهكذا، تجد الفتيات في الفئة العمرية 23–30 عامًا صعوبة في الحصول على عروض زواج جيدة. وبالمثل، أحيانًا، بينما تتلقى الفتيات تعليمهن، يؤجل آباؤهن زواجهن ليتمكنّ من النجاح في حياتهن المهنية، تجدر الإشارة إلى تحذير الناقد الاجتماعي جورج جيلدر (George Gilder) للمرأة العزباء من أنها "**إذا قررت التضحية بعشرينياتها على مذبح العمل، فقد تجد نفسها بسهولة كاهنة عازبة تخدم هذا المذبح لبقية حياتها**"، ودعمًا لوجهة نظره، أفاد جيلدر أن علماءَ اجتماعٍ من جامعتي ييل وهارفارد، بعد تحليل بيانات التعداد

السكاني، توصلوا إلى أن فرصَ المرأة التي تنتظر حتى منتصف الثلاثينيات من عمرها في الزواج لا تتجاوز خمسة في المائة (5٪).[63]

يجب على الآباء المسلمين أن يضعوا مسؤولية ترتيب زيجات أبنائهم وبناتهم البالغين على رأس أولوياتهم، فالزواج في الموعد المحدد يمكن أن ينقذنا من العديد من الأمراض الاجتماعية، وإن تأخير الزواج دون داعٍ يخلق بيئة من الفجور والشهوانية في المجتمع، وخاصة بين الشباب وذلك بتأخير زواجهم دون داعٍ، يضع الآباء المسلمون أبناءهم وبناتهم في مواقف لا يجدون فيها خيارًا سوى أن يأخذوا الأمر بأيديهم وينضموا إلى التيار السائد في البحث عن شريك حياتهم عن طريق التودد والمغازلة أو المواعدة عبر الإنترنت، فيخسرون بذلك وقتهم وطاقاتهم وثرواتهم وحياءهم، وأحيانًا حياتهم، كما سنرى في الفصل التالي.

---

[63] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

الفصل الثالث

التعارف العاطفي والمواعدة والعلاقات قبل الزواج

يأمر الإسلام الشباب المسلم بالزواج، ويحرّم تأخير زواجهم. ومع ذلك، لا يؤمن الإسلام بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة". ولا يشجع الإسلام ممارسات مثل التعارف العاطفي والمواعدة والعلاقات قبل الزواج، حتى وإن كانت هذه الممارسات، في بعض الحالات النادرة، تُسهّل على الشباب المسلم الزواج. وبالمثل، يُنهى الإسلام عن الطلاق لأنه يُؤدي إلى "عُزّاب" في المجتمع، وأي رجل أو امرأة أعزب (سواءً أكان أعزبًا أم مطلقًا) فريسة سهلة للشيطان، كما أن الخروف المنفرد فريسة سهلة للذئب. بالطبع، يُروَّج للتودد والعلاقات قبل الزواج، بل ويُسوَّق لها في وسائل الإعلام والتلفزيون والإنترنت والأفلام

ومقاطع الفيديو الموسيقية والروايات والمجلات، ويُصوَّر على أنه أمرٌ طبيعي في المجتمع. ويُعتبر أسلوب الحياة "الحرية" هذا غريب عن التعاليم الإسلامية وهو أمر طبيعي في المجتمعات الغربية بسبب الثورة الجنسية في الغرب.

أَوَّلًا: تتصاعد الفجور في المجتمعات الغربية

بلغ نمط الحياة الفجور في الغرب ذروته في ستينيات القرن الماضي مع ظهور حركة تحرير المراهقين، إلا أن جذوره تعود إلى الفوضى الجنسية في الحضارتين اليونانية والرومانية. كان الموقف المتطرف للكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى تجاه الجنس – بحد ذاته – رد فعل على الإباحية الجنسية المطلقة التي سادت في المجتمع الروماني. كما وثق المؤرخ ويل ديورانت في قصة الحضارة: **"كانت روما تعج بالدعارة المقدسة قبل أن تفرض الكنيسة قيودها المتشددة."**[(64)] فلمواجهة هذه الحالة الفاسدة، تحوّلت النظرة إلى

[64] Will Durant, Will. (1944) The Story of Civilization, Vol. 3: Caesar and Christ. New York: Simon & Schuster.

العلاقة الجنسية من إفراطٍ إلى تفريط، حيث بدأت الكنيسة تعتبر الجنس – حتى بين الأزواج – شرًا لا بد منه، مقصورًا على غرض الإنجاب فقط. بل وصل الأمر إلى إحراق النساء بتهم ملفقة مثل "ممارسة الجنس مع الشيطان". ثم جاء عصر التنوير والثورة العلمية في أوروبا ليعيد إطلاق العنان للفجور عبر الثورة الجنسية.

القديس بولس (St. Paul) (المعروف أيضًا باسم شاول، وُلد في طرسوس عام 4م؛ وتوفي عام 64م)، ويُعتبر مؤسس المسيحية، عانى هو الآخر من فشل في حبه. في شبابه، عندما كان القديس بولس يهوديًا، وقع في حب امرأة تُدعى بوبيا، ابنة رئيس كهنة اليهود. كانت تتمتع بجمال أخّاذ. أعجبت ببولس، لكنها رفضت عروض الزواج منه وذهبت إلى روما كممثلة. بدأت مسيرتها الفنية على المسرح، وبينما كانت تصعد السلم الوظيفي تدريجيًا، وصلت إلى الإمبراطور الروماني الذي تزوجها في النهاية. أصبحت بوبيا إمبراطورة الإمبراطورية الرومانية. اعتنق بولس المسيحية مباشرةً بعد رفض بوبيا له. ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسية لاستياء بولس من اليهود والرومان على حد

سواء.[65] ولعل هذا أيضًا هو السبب في عدم زواج بولس، بل كان يحث الآخرين على الامتناع عن العلاقات الزوجية. ومن مقولاته الشهيرة في الكتاب المقدس: "فأقول لغير المتزوجين والأرامل: إنه لخير لهم إن استطاعوا أن يثبتوا كما أنا". (كورنثوس الأولى 7: 8). واعترف القديس أوغسطينوس (St. Augustine) (354-430م)، أعظم لاهوتي مسيحي في عصره، في سيرته الذاتية الروحية الشهيرة "الاعترافات"، بأنه في شبابه كان يزور العاهرات بانتظام، وكان يدعو الله في ذلك: "يا رب! امنحني العفة والاعتدال، ولكن ليس بعد". ومع ذلك، عندما اعتنق المسيحية، رأى القديس أوغسطينوس ضرورة التخلي عن الجنس. وكتب ذات مرة: "لا شيء يُنبذ أكثر من العلاقات الجنسية". حتى أن الكنيسة استهجنت حب الزوج لزوجته "المفرط". وقد صرّح القديس جيروم (St. Jerome) بوضوح بأن الرجل الذي يُحب زوجته

---

65 Ata'ur-Rahim, Muhammad and Thomson, Ahmad (1996) Jesus: Prophet of Islam. London, Ta-Ha Publishers.

"بشدة" يُعدّ زانيًا، وهي حجة أقرّها البابا يوحنا بولس الثاني مؤخرًا عام 1980.[66]

ونتيجةً لهذا الجمود غير الطبيعي، ظهرت الثورة الجنسية في الغرب، والتي تُصدّر اليوم إلى العالم أجمع بمساعدة وسائل الإعلام. ومن ثم، يُمكن اعتبار عيد الحب بمثابة ميلاد الثورة الجنسية في الغرب. واليوم، لا تُؤجّج المسلسلات التلفزيونية والأفلام والبرامج الموسيقية ولافتات الإعلانات على الإنترنت والروايات الخليعة والمجلات البراقة الرغبات الجنسية لدى الشباب فحسب، بل تُعلّمهم أيضًا أحدث.

وأكثر الأساليب ابتكارًا في العلاقات العاطفية قبل الزواج. ينخرط الشباب والفتيات في علاقات عاطفية قبل الزواج باستخدام البريد الإلكتروني والدردشة عبر الإنترنت والهواتف المحمولة، وفي عيد الحب يستخدمون هذه الأساليب إلى أقصى حد. وبالمثل، في الدول الإسلامية، تُقام حفلات موسيقية في عيد الحب، وهي بؤر للفساد، ويُنصح الشباب والفتيات الذين يحضرون

---

66 Rathus, Spencer A. (1983) Human Sexuality. New York, Holt, Rhinehart and Winston.

هذه الحفلات بارتداء قمصان حمراء اللون، مما يُثير شغف الجنس الآخر. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن اللون الأحمر في الفن المسيحي يرتبط بالشيطان. وليس من قبيل المصادفة أن يخبرنا القرآن أن الشيطان يحث البشر على الفحشاء:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ (سورة البقرة: 268)

لا عجب أن تُسهم أعيادٌ كعيد الحب[67] في تفاقم الفساد في المجتمعات. على سبيل المثال، أشارت الصحفية أميليا واسرمان (Amelia Wasserman) إلى أن عددًا أكبر من الرجال والنساء المتزوجين بدأوا بالخيانة الزوجية بعد ظهور أعيادٍ كعيد الحب، مما أدى إلى تزايد حالات الزنا وهجر الشريك. كتبت واسرمان:

[67] "عيد الحب (Valentine's Day) "هو احتفال سنوي في الرابع عشر من فبراير، نشأ من تقاليد وثنية رومانية، ثم تحول إلى مناسبة ثقافية وتجارية واسعة الانتشار يُعبّر فيها عن الحب الرومانسي عبر الهدايا والبطاقات والعبارات.

في عام 2010، أفاد موقع آشلي ماديسون الكندي المتخصص في الزنا بارتفاع حاد في عدد التسجيلات الجديدة من الرجال والنساء في اليوم التالي لعيد الحب.(68)

الإسلام دينٌ يتفق تمامًا مع الفطرة البشرية، وقد جعل الله الأمة الإسلامية "أمة وسطًا" ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة: 143). وعلى عكس وجهة نظر القديس جيروم حول حب الرجل لزوجته، قال النبي محمد ﷺ:

"تزوَّجوا الولودَ الودودَ" (سنن أبو داود)(69)

وقد أوضح علماء الحديث أو الأحاديث النبوية أنه يمكن الحكم على هاتين الصفتين في العروس المحتملة بالنظر إلى نساء أخريات من عائلتها. والإسلام،

---

68 Waserman, Amelia (February 14, 2011) "Stats Show Valentine's Day is Bad for Your Relationship" Technorati
(http:/technorati.com/women/article/stats-show-valentines-day-is-bad)

69 أخرجه أبو داود (2050) والنسائي في الكبرى (9146) وأحمد (12336)، وحسَّنه ابن حجر في فتح الباري (9/ 132).

كغيره من الأديان، يحرم بشدة الزنا واللواط وغيرهما من أشكال الزنا. ومع ذلك، وخلافًا للأديان الأخرى، لا ينظر الإسلام إلى الجنس على أنه شر، أو لذة حتمية للإنجاب. اللذة والإنجاب ليسا متناقضين. إنهما وجهان لعملة واحدة من النعمة الإلهية. الإسلام ليس ضد الزواج، بل في الواقع، الإسلام هو الدين الوحيد الذي يأمر الإسلام صراحةً بتسريع الزواج (سورة النور: الآية 32).

ومع ذلك، يُحرّم الإسلام جميع العلاقات غير الطبيعية وغير الشرعية بين الرجال والنساء. ويحرّم الإسلام جميع الوسائل والطرق التي تؤدي إلى الزنا. علاوة على ذلك، فإنّ تأخر الزواج في بعض المجتمعات الإسلامية بسبب النفقات الباهظة وإهدار المال المرتبط به (وما ينتج عنه من أجواء خليعة وآفات أخلاقية متنوعة) لا علاقة له بالتعاليم الإسلامية.

نصح النبي محمد ﷺ الشباب قائلاً:

"يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج". (بخاري و مسلم)[70]

ويؤكد القرآن الكريم بوضوح أن الله خلق الزوجين ليمنحهما المودة والرحمة والسكينة، وهذا من آيات الله. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (سورة الروم: 21). وتكمن حكمة عظيمة في تسمية السور أو السور القرآنية. ففي القرآن الكريم، وُصِفَت علاقة الزوج والزوجة في سورة الروم، لأن الرومان هم الذين أوصلوا ثقافة الفجور إلى ذروتها، والآن بعد قرون، أُحييت هذه الثقافة على يد من يعتبرون أنفسهم من نسل الرومان. هذه هي الثقافة التي تُعارض العلاقات الشرعية بين الزوج والزوجة، لكنها تُشجِّع على المثلية الجنسية وممارسة الجنس قبل الزواج. هذه هي الثقافة التي تُثني عن ربط الرجل والمرأة بعلاقة الزواج المقدسة، ولكنها، من ناحية أخرى، تُقرّ الاختلاط والممارسة الجنسية الحرة في مناسبات كعيد الحب. هذه هي الثقافة التي تدعم تحديد النسل لأن إنجاب الأطفال يُؤمّن علاقة أعمق

[70] صحيح البخاري وصحيح مسلم – كتاب النكاح.

وأقوى بين الزوج والزوجة. هذه هي الثقافة التي تحظى فيها البغايا باحترام أكبر من الأم، لأنها تترك المنزل لكسب المال، بينما الأم ليست كاسبة دخل، بل تبقى في المنزل لتربية أطفالها وتعليمهم.

ثَانِيًا: الشهوة من النظرة الأولى، لا الحب من النظرة الأولى

صحيح أن فكرة الوقوع في حب شخص ما جذابة للغاية للطبيعة البشرية. سواءً في شعر العصور القديمة أو أغاني العصر الحديث، فإن الحب دائمًا ما يُمثَّل ويُجمَّل. نُقصف بفكرة "الحب من النظرة الأولى" من كل حدب وصوب، وخاصةً مع ظهور وسائل الإعلام. في العصر الحديث، يُسوَّق الحب ويُروَّج له بكل الطرق الممكنة. ومع ذلك، خلط الناس بين الجنس والحب، وهما ليسا الشيء نفسه بأي حال من الأحوال. تُروَّج لفكرة "زواج الحب" و"الحب من النظرة الأولى" في المسلسلات التلفزيونية والأفلام والأغاني ووسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت. ومع ذلك، لا يحدث الحب الحقيقي، في معظم الأحيان، من النظرة الأولى. فالنظرات الأولى هي مجرد نظرات. إن

الانجذاب الجسدي هو ما يجذب اهتمام المرء بالجنس الآخر في البداية، وليس الحب. ومن ثم، فإن الأمر في الحقيقة هو "الشهوة من النظرة الأولى"، وليس "الحب من النظرة الأولى".

تُخبرنا التجارب أن الحب والعلاقات الجادة تُبنى بمرور الوقت، من خلال الرعاية المتبادلة والتفاهم. لا يحدث ذلك في بضع تفاعلات. من ناحية أخرى، قد تبدأ الشهوة وتنتهي في لحظة. الحب يدوم طويلًا بينما الشهوة مؤقتة. الحب صبور والشهوة سريعة التأثر. لذلك، يجب عدم الخلط بين الحب والشهوة أبدًا. ولهذا السبب تحديدًا، أُمر المسلمون والمسلمات بغض البصر، حفاظًا على أنفسهم من "الحب من النظرة الأولى". وهذا تطبيق مباشر للقاعدة الفقهية الإسلامية المعروفة "سَدُّ الذَّرَائِع" التي تأمر بعدم مجرد اجتناب الحرام ذاته، بل مجتناب كل الطرق والأسباب المؤدية إليه. وهو ما شرحه الشيخ المعاصر عبد العزيز الطريفي قائلًا:

جعَلَ الله لكل شيءٍ محرمٍ ذرائعَ ووسائلَ توصلُ إليه، وأقربُ الذرائعِ إليه أشدُّهَا تحريمًا؛ فالنظرُ أَخفُّ من الاختلاطِ، والاختلاطُ أَخفُّ من

الخَلْوَة، و الخَلْوَةُ أَخفُّ من اللمس، وكلما قَرُبَتْ وسيلةُ الزنا إليه، كانتْ أعظمَ تحريمًا، وأشدَّ احترازًا في الشرع والسنة، فإن الوسائلَ خُطُواتٌ إلى الحرامِ، وأعظمُهُنَّ إثمـًا آخرُهُنَّ، وأَخَفُّهُنَّ أولُهُنَّ، وهذا لا يُخرِجُ جميعَ الخطواتِ من النهي، ولكن لكل خُطوَةٍ منزلتُها من النهي، وتَعْظُمُ الخطوةُ بمقدارِ معرفةِ خطورةِ ما بعدها.[71]

وبالتالي، فإن عدم كظم الغيظ يؤدي إلى طبع صورة ما يراه الشخص في قلبه، مما قد يؤدي إلى تلوث قلبه. روى الطبراني أن النبي ﷺ قال لأصحابه:

[71] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، الاختلاط: تحرير وتقرير وتعقيب (الرياض: مركز أجيال الثقافي، ب ت).

"إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا من مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ" (الطبراني)[72]

وكذلك، في حديث آخر، قال النبي ﷺ:

"يا علِيُّ، لا تُتبعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فإنَّ لك الأُولى، وليست لك الآخِرةُ." (الترمذي)[73]

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري في شرحه لهذا الحديث: "قوله: "لا تتبع النظرة النظرة" معناه: لا تنظر بعد النظرة الأولى، وقوله: "يغفر لك النظرة الأولى" معناه: يُغفر لك إذا كانت النظرة الأولى غير مقصودة،

---

[72] المعجم الكبير للطبراني (حديث رقم 10363). وهذا الحديث رواه عبد الله بن مسعود ونقله أيضاً في مجمع الزوائد (ج8، ص63) للإمام الهيثمي و في "ميزان الإعتدال" (ج1، ص196) للإمام الذهبي.

[73] أخرجه الترمذي (2701) وحسَّنه، وأحمد (1020)، والحاكم (2/ 348) وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وقوله: "ولا الثانية" معناه: إذا كانت النظرة الثانية اختيارية، فإنها تُحسب عليك." (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي)[74] وقال جرير بن عبد الله في حديث:

"سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن نَظَرِ الفُجَاءَةِ فأمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي." (مسلم)[75]

وفي هذا الحديث أمر بصرف البصر عن النظرة الفجائية، وهو يدل على أن النظرة الأولى التي لا قصد فيها مغفور لها، أما النظر بعمد بعد ذلك فهو ممنوع شرعا، لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ [النور: 30]. والإسلام يسد ذريعة الإثم قبل وقوعه، فيحرم النظر إلى المرأة الأجنبية عمدا أو تأملا. وهكذا، فإن الإسلام لا يسمح للرجال بالتحديق عمدًا في امرأة أجنبية. ويغلق

---

74 المباركفوري، الشيخ محمد بن عبد الرحمن (2009) تحفة الأحوذي بشرح. جامع الترمذي. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزي، بيروت.

75 أخرجه المسلم (رقم 2159).

الإسلام جميع أبواب الحب من النظرة الأولى أو الشهوة من النظرة الأولى. يُحرَّم النظر إلى أي جزء من جسدها، سواءً رأى المرء أنها جميلة أم لا، وسواءً أثار ذلك الرغبة الجنسية أم لا، وسواءً كان مصحوبًا بأفكار شريرة أم لا، وسواءً أدى إلى أعمال فاسدة أم لا.

ثَالِثًا: التعارف العاطفي والمواعدة والحب قبل الزواج

لا مجال في الإسلام للتعارف العاطفي والمواعدة. فإن الإسلام يُحَرِّم جميع أشكال العلاقة الحميمة قبل الزواج، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: 32].". يُوصى بشدة بأن تغطي المرأة المسلمة وجهها أمام الرجال غير المحارم. ولا يُسمح للنساء بكشف وجوههن أمام الرجال إلا في حالات استثنائية (مثل طلب الزواج أو العلاج الطبي أو الشهادة في المحكمة، وما إلى ذلك). وقد روى أبي حميد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال:

"

"إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِلْخِطْبَةِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ." (مسند أحمد)[76]

ينهى الإسلام عن التعارف العاطفي والعلاقات الغرامية قبل الزواج. ووفقًا للشريعة الإسلامية، يُعتبر الرجل والمرأة أجانب لبعضهما البعض حتى يتم عقد نكاحهما (النكاح) وتنتقل العروس من منزل والديها إلى منزل زوجها. ولا تُحلّ الخطوبة وحدها الرجل والمرأة لبعضهما البعض. ويحرم الإسلام على الوالدين إرسال ابنتهما مع خطيبها، ولا يجوز لها الخلوة بخطيبها تحت أي ظرف من الظروف. مثل هذه الحالات ليست نادرة، فعندما تحمل الفتاة بعد الخطوبة مباشرةً، يُبلغ الرجل الفتاة ووالديها بأنه غيّر رأيه ولن يتزوجها. إن مراسم الخطوبة هي مجرد وعد بالزواج وليست زواجًا فعليًا. وقد ورد ذلك بوضوح في حديث النبي محمد ﷺ بشأن الرجال والنساء غير الأقارب:

[76] أخرجه أحمد في "المسند" (23603)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (كتاب النكاح، باب الرجل يريد تزوّج المرأة...)، والبزّار في كشف الأستار (رقم 1418)، والحاكم في "المستدرك" (2/ 165) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

لا يَخلُونَّ رَجُلٌ بِامرَأةٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيطَانُ (الترمذي)[77]

يُبين هذا الحديث أن أي خلوة بين الرجال والنساء غير المحارم دعوة أكيدة للشيطان. ومن البديهي أن هذا يشمل اللقاءات الخاصة وتبادل بطاقات الحب أو البطاقات الإلكترونية في عيد الحب (أو في أي مناسبة أخرى) في غياب أولياء الأمور، وما إلى ذلك.

والأهم من ذلك، يشمل هذا أيضًا غرف الدردشة على الإنترنت، ومواقع المواعدة، والرسائل النصية، والرسائل الفورية، وتبادل الصور عبر البريد الإلكتروني أو فيسبوك أو الرسائل الجنسية. وفي السياق نفسه، تُعتبر الدردشة الخاصة، وخاصةً مع ظهور كاميرات الإنترنت أو الصور، بمثابة خلوة، وهذا من أعظم أسباب الفتن للنساء والرجال على حد سواء. في مثل هذه الظروف، عندما يكون الرجال والنساء غير المحارم معًا في عزلة، يسهل التعرض

77 رواه الترمذي (2165) وقال: "حديث حسن صحيح"، وأحمد (1/ 18، 32)، والحاكم (2/ 187) وصححه، وابن حبان (12/ 308).

للإغراءات، ونتيجة لذلك، قد تشتعل الغرائز الإنسانية الأساسية وقد تحدث أمور محرمة. لذلك، يجب ألا ننفرد أبدًا بامرأة ليست محرمة لنا (حتى لو كانت زوجتنا المستقبلية). عندما يتفاعل الرجال والنساء غير المحارم مع بعضهم البعض على مواقع التواصل الاجتماعي، أو عندما تخرج صور فتاة أو امرأة مسلمة من منزلها من خلال منشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وتيك توك وغيرها، فإن الشيطان ينظر إليهم حتمًا وينشر الفساد في المجتمع. ونتيجة لذلك، تحدث حوادث الحب قبل الزواج وترتفع معدلات الطلاق في مجتمعاتنا الإسلامية. ولهذا السبب تحديدًا، أصدر العالم الإسلامي الشهير الشيخ عبد الحميد الأطرش، الرئيس السابق للجنة الفتوى بجامعة الأزهر الشريف (القاهرة)، في فبراير 2010، فتوى مفادها أن استخدام المسلمين لمواقع التواصل الاجتماعي أدى إلى تزايد الخيانة الزوجية. وجاءت هذه الفتوى بعد دراسة نُشرت في وقت سابق من ذلك الأسبوع، زعمت أن حالة طلاق واحدة من كل خمس حالات في مصر نتجت عن استخدام أحد الزوجين لمواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر

وغيرها. ونصح الشيخ الأطرش المسلمين بالابتعاد عن هذه المنصات الإلكترونية. ورغم أن الشيخ الأطرش أصدر هذه الفتوى في مصر، إلا أنها تنطبق على المسلمين والمسلمات في كل دولة إسلامية. وأوضح الشيخ الأطرش أن هذه المواقع مسؤولة بشكل رئيسي عن تزايد حوادث الخلافات الزوجية في البلاد. قال في الفتوى:

"إنها أداة تهدم الأسرة لأنها تشجع الزوجين على إقامة علاقات مع أشخاص آخرين، وهذا مخالف للشريعة الإسلامية... فبينما يكون أحد الزوجين في العمل، ينشغل الآخر بالدردشة عبر الإنترنت مع شخص آخر، مضيعًا وقته ومخالفًا للشريعة. وهذا يُعرّض الأسرة المسلمة للخطر".[78]

لا عجب أن يتوقع خبراء قانونيون في أوروبا وأمريكا استخدام مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وماي سبيس وبيبو قريبًا في إجراءات محاكم

---

[78] مجلة أردو لينك الأسبوعية، كاليفورنيا (الولايات المتحدة الأمريكية)، (الجمعة 19 فبراير 2010) "فتوى عالم بجامعة الأزهر حول فيسبوك".

الطلاق. ووفقًا لخبراء قانونيين غربيين، فإن العديد من الأشخاص "الذين يستمتعون برسائل البريد الإلكتروني والمحادثات الغزلية مع أشخاص ليسوا شركاء لهم، غالبًا ما يُخدعون بشعور زائف بالأمان بأنهم لا يرتكبون أي خطأ لأنهم المغازلة إلكترونيًا فقط".(79) أشارت أنطونيا لوف (Antonia Love)، رئيسة قسم قانون الأسرة والشريكة في شركة فارليز للمحاماة، في هذا الصدد، إلى أن هذا "سيُسهّل بالتأكيد عمل المحامي، إذ أن الناس أقل حرصًا على ما يكتبونه في رسائل البريد الإلكتروني مما يُدوّنونه على الورق". في دراسة استقصائية حديثة أجرتها الأكاديمية الأمريكية لمحامي الزواج في الولايات المتحدة، اكتُشف أنه مع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي والبريد الإلكتروني والرسائل النصية والدردشة، لوحظت زيادة بنسبة 88٪ في عدد قضايا الطلاق التي استُخدمت فيها "البيانات الإلكترونية" كأدلة. ومما زاد الطين بلة، أن شركات الكمبيوتر والإنترنت "تستعد بالفعل للاستفادة من ذلك من خلال طرح برامج يمكن للزوج أو الزوجة المشبوهين تحميلها على جهاز الكمبيوتر

---

[79] Bell, Jane (March 10, 2008) “Facebook and Flirting: the dangers of divorce” Georgia Family Law Blog. http://www.gafamilylawblog.com/2008/03/facebook-and-fl.html

حتى يتمكنوا من التجسس على جميع رسائل البريد الإلكتروني المرسلة من وإلى الزوج/ الزوجة". إن هذا التجسس الإلكتروني على الأزواج والزوجات سيزيد من معدلات الطلاق في المجتمعات.

قال النبي محمد ﷺ في حديث أن الحياء من أهم سمات السلوك الإسلامي:

"لِكلِّ دينٍ خُلُقٌ، وخُلقُ الإسلامِ الحياءُ " (موطأ الإمام مالك)[80]

كلمة "الحياء" في اللغة العربية تشترك في نفس الجذر مع "الحياة" التي تعني "الحياة". هذا الحديث يعني أن حياة الأمة الإسلامية تكمن في الحياء. عندما يسود بين المسلمين انعدام الحياء والفحش، يؤدي ذلك إلى هلاك الأمة الإسلامية. وقد نبه النبي محمد ﷺ المؤمنين في حديث آخر قائلاً:

---

[80] أخرجه مالك في الموطأ (2/ 904/ 1631) عن أبي سعيد الخدري بإسناد صحيح، وابن ماجه (4181) عن أبي هريرة وفيه لين، وحسنه المنذري في الترغيب (3/ 92)، وصححه النووي في الأذكار (ص243)

" إذا لم تستحْيِ فاصنَعْ ما شئتَ " (صحيح البخاري)[81]

لا يُجيز الإسلام للرجال والنساء إقامة علاقات خارج إطار الزواج. وفي هذا الأمر حكمةٌ عميقة. فخلال فترة التعارف العاطفي قبل الزواج، لا يُظهر الرجل والمرأة لبعضهما البعض إلا الجوانب المشرقة من حياتهما. وبعد الزواج، لا يستطيعان الوفاء بتوقعاتهما السابقة، والتي هي في الواقع توقعات مصطنعة. عندها، تبدأ حقائق الحياة المُرّة بالظهور في علاقاتهما، والتي تنتهي أحيانًا بالطلاق.

تشير الأدلة العلمية التي أجراها علماء النفس والاجتماع إلى أن المواعدة و التعارف العاطفي والعلاقات قبل الزواج لها آثار ضارة طويلة المدى على العلاقات الزوجية. في دراسة نُشرت في مجلة العلوم الاجتماعية الحيوية عام 2000، أظهر عالما الاجتماع نيفيل بروس (Neville Bruce) وكاثرين ساندرز (Katherine Sanders) أن متوسط مدة العلاقة العاطفية في المدرسة

---

[81] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. (حديث رقم 5769)

الثانوية حوالي أحد عشر أسبوعًا.[82] ولا تُمثل هذه العلاقات العاطفية قبل الزواج سوى أسوأ أنواع التحضير لعلاقة حب طويلة الأمد بين الزوج والزوجة للبقاء معًا خلال فترات الشدة في الحياة الزوجية. وهناك دراسة أخرى تدعم هذه الحجة، وهي بحث أجراه عالما النفس ويندول فورمان وإليزابيث وينر اللذان درسا العلاقات العاطفية لسنوات. فبالنسبة لطلاب المدارس المتوسطة والثانوية، وجدا:

"أن المراهقين لا يهتمون كثيرًا بإشباع احتياجات التعلق أو الرعاية.... بدلاً من ذلك، ينصب تركيزهم على من هم، ومدى جاذبيتهم.... وكيف يبدو كل ذلك لأقرانهم."[83]

---

[82] Bruce, Neville & Sanders, Katherine (2001). "Incidence and Duration of Romantic Attraction in Students Progressing from Secondary to Tertiary Education." Journal of Biosocial Science **33**: 173-184.

[83] Furman, Wyndol & Wehner, Elizabeth, " Adolescent Romantic Relationships: A Developmental Perspective" in Shulman, Samuel & Collins, Andrew, eds., (1997). Romantic Relationships in Adolescence: Developmental Perspectives. San Francisco, Wiley.

وبالمثل، يجادل الدكتور ليونارد ساكس بأن العلاقات الرومانسية قبل الزواج والمواعدة غالبًا ما تُنمّي عادات سيئة لدى الشباب. قد يحمل هؤلاء الفتيان والفتيات هذه العادات السيئة (المكتسبة أثناء المواعدة) معهم لبقية حياتهم.[84] على سبيل المثال، قد يتعلمون أنه من السهل جدًا ترك صديقك أو صديقتك لأتفه الأسباب. قد يتعلم الشباب معاملة الفتيات كمجرد أدوات جنسية لإشباع رغباتهم الذكورية دون الشعور بعلاقة عميقة معهم. بحلول الوقت الذي يتزوج فيه هؤلاء الشباب والفتيات، يمكن للعادات السيئة أو التجارب السيئة التي طوروها خلال علاقتهم الرومانسية قبل الزواج أو المواعدة أن تضر بعلاقاتهم الزوجية. كان من الأفضل بكثير لو ابتعدوا عن العلاقات الرومانسية قبل الزواج أو المواعدة منذ البداية.

مؤخرًا، بحثت دراسة استقصائية وطنية أمريكية حول نمو الأسرة في اتجاهات الأزواج الذين يعيشون معًا في الذكرى السنوية الخامسة والعاشرة والخامسة

---

84 Sax, Leonard M.D., Ph.D. (2005). Why Gender Matters: what parents and teachers need to know about the emerging science of sex differences. New York, Broadway.

عشرة والعشرين لزواجهم. في هذه الدراسة الاستقصائية الوطنية التي أجرتها مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية (CDC) منها، لوحظ أن "**الأزواج الذين لا يعيشون معًا قبل الزواج هم أكثر عرضة لزواج طويل الأمد**".(85)

بعبارة أخرى، فإنَّ الرجال والنساء الذين يخوضون التعارف العاطفي ويعيشون معًا بهدف بناء تفاهم قبل العقد الشرعي، إذا تزوجوا لاحقًا، كانت زيجاتهم أقصر مدة. يبدو أنَّ "التفاهم" و"التعارف قبل العقد" لا يساعدان على دوام العلاقة الزوجية، بل إنَّ هذه "التجارب السابقة للزواج" لها أثر معاكس – إذ تزيد فرص الطلاق لاحقًا.

---

85 Centers for Disease Control and Prevention, National Survey of Family Growth, 2006-2010. Quoted in: Kim, Christine and Sheffield, Rachel (March 28, 2012) “Family Fact of the Week: Headlines Mask Cohabitation’s Continued Risks” *The Foundary.* http://blog.heritage.org/2012/03/28/familyfact-of-the-week-headlines-mask-cohabitations-continued-risks/

رَابِعًا: المواعدة عبر الإنترنت وقصة العنكبوت والذبابة

تزداد ظاهرة المواعدة عبر الإنترنت بين مجتمع الرجال والنساء على حد سواء. ويتزايد عدد الأشخاص الذين يستخدمون مواقع المواعدة الإلكترونية للعثور على شريك حياتهم. واعتبارًا من عام 2009، بلغ إجمالي عدد مستخدمي المواعدة عبر الإنترنت في الولايات المتحدة 40 مليونًا، وفي الصين 140 مليونًا، وفي الهند 15 مليونًا. ومن بين الخدمات الأكثر شيوعًا eHarmony الذي يضم 20 مليون عضو، و MATCH.COM الذي يضم 15 مليون عضو. تكشف الإحصائيات أيضًا أن الرجال على مواقع المواعدة عبر الإنترنت يكذبون أكثر بشأن أعمارهم وأطوالهم ودخلهم، بينما تكذب النساء أكثر بشأن أوزانهن وبنيتهن الجسدية وأعمارهن.[86]

[86] McCarthy, Ellen (April 10, 2009) "On Dating: Online Dating and Deception". The Washington Post http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2009/04/09/AR2009040901616.html

واعتبارًا من عام 2009، بلغت قيمة صناعة المواعدة عبر الإنترنت 1.049 مليار دولار سنويًا، مما يعني أنها صناعة أكبر من صناعة المواد الإباحية.[87] ويكتسب سوق المواعدة عبر الهاتف المحمول شعبية سريعة، حيث بلغت قيمته 550 مليون دولار في عام 2008، ومن المتوقع أن يصل إلى 1.3 مليار دولار في عام 2012. ومع ذلك، فقد أكد أحد مواقع مراجعة المواعدة أن "المواعدة عبر الهاتف المحمول تدور حول الإشباع الفوري". يُعتبر هذا الموقع أداةً تكنولوجيةً مُفيدةً للشباب البالغين، الذين لا يبحثون عن علاقة طويلة الأمد، بل عن علاقة عابرة عابرة.[88] لذا، ليس من المُستغرب، كما أشار جوزيف عيسى، نائب رئيس قسم التكنولوجيا في eHarmony.com، أن يشهد موقعهم للمواعدة عبر الإنترنت أعلى طلب من الأشخاص الذين

[87] US B2C Online Paid Content: Five-Year Forecast (2008) Forrester Research Inc. survey of online adults. Quoted in: Mitchell, Robert L. (Feb. 13, 2009) “Online Dating: It’s bigger than porn”. http://blogs.computerworld.com/online_dating_its_bigger_than_porn

[88] November 09, 2009. “The Mobile Dating Market”. http://www.datingsitesreviews.com/article.php?story=The-Mobile-Dating-Market

يبحثون عن شريك حياة قبل عيد الحب مباشرةً. ويقول إنه في عيد الحب، إن "طلباتنا تزداد جداً في عيد الحب، قد تصل إلى أربعة أضعاف".[89]

كما تُثير هذه الظاهرة العالمية للمواعدة عبر الإنترنت (online dating) تحدياتٍ ومشاكل جديدة لمستخدميها. فالطبيعة المجهولة للإنترنت تُسهّل على الناس خداع الآخرين بشأن طبيعتهم وهويتهم الحقيقية. كما تُتيح فرصةً مثاليةً للمُتحرشين عبر الإنترنت ومرتكبي الجرائم الجنسية للبحث عن ضحاياهم عبر الإنترنت. يمكنهم اصطياد الشابات البريئات. يعرف هؤلاء الرجال المُتحرشون عبر الإنترنت العديد من الطرق لجذب النساء. يأسرون النساء اللواتي يقابلونهن عبر الإنترنت بإقناعهن بأنهن "الرجل الذي تبحثين عنه". خلال الدردشة عبر الإنترنت، يتعلمون من النساء أنفسهن احتياجاتهن، سواء كانت عاطفية أو مادية أو كليهما. في كثير من الأحيان، يستهدف هؤلاء الرجال المفترسون النساء المحرومات عاطفيًا أو اقتصاديًا لعلمهم جيدًا أن

---

89 Mitchell, Robert L. (Feb. 19, 2009) “Online Dating: Analyzing the Algorithms of Attraction”. PC World – Web & Communication Software http://www.pcworld.com/article/159884/

التلاعب بهن أسهل. يستخدم هؤلاء الرجال الكلام المعسول والمجاملة عند الدردشة مع النساء عبر الإنترنت أو مراسلتهن أو حتى التحدث إليهن عبر الهاتف المحمول أو كاميرات الويب.

هذا السيناريو مشابه جدًا للموقف الموصوف بدقة في قصيدة أردية بعنوان شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال. في قصيدته "عنكبوت وذبابة"، كتب إقبال، بعد ترجمة هذه القصيدة ، ما يلي:

يَقُولُ العَنْكَبُوتُ لِلذُّبَابَةِ:

يَا أُخْتَاهْ، كُلَّ يَوْمٍ تَمُرِّينَ مِنْ فَوْقِي مَرَّةً أُخْرَاهْ

لَكِنِينِي لِمَاذَا لَمْ تُزِيلِي العَنَا عَنِّي؟

وَلِمَ لَمْ تَدْخُلِي بَيْتِي وَتَرْفَعِي الحُزْنَ عَنِّي؟

هَلْ عَلَيْكِ مَشَقَّاتٌ إِذَا مَا جِئْتِ ضَيْفًا؟

هَذِهِ الخُطُوَاتُ السُّلَّمُ المَنْصُوبُ رَبَّاهْ

ادْخُلِي السُّلَّمَ وَاعْلَمِي بِأَنَّ الأَمْنَ فِيهِ

وَأَنَّ الضَّيْفَ فِي ظِلِّي يَنَالُ المُنَى وَالرَّاحَاهْ

فَأَجَابَتْهُ الذُّبَابَةُ الحَذِرَةُ:

يَا سَادَتِي، اذْهَبْ وَخُذْ غَيْرِي فَإِنَّ الذُّبَابَةَ لَنْ تَصِيدَهْ

إِنَّ الَّذِي يَصْعَدُ عَلَى سُلَّمِكَ المَصْعُودِ لَنْ يَنْجُوَ وَيَرْعَاهْ

لَنْ يَنْزِلَ الحَيَّ مِنْهُ أَبَدًا، بَلْ سَيَبْقَى فِيهِ صَيْدًا

فَاحْذَرِي يَا أُخْتَاهْ مِنْ مَكْرِهِ وَكِيدِهِ

فَالْعَنْكَبُوتُ خَدُوعٌ وَمَكْرُهُ لَنْ يُرْعَاهْ

ثُمَّ يُتْمِمُ العَنْكَبُوتُ مَكْرَهُ بِالمَلَق:

أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ العظِيمَةُ، لَقَدْ مَنَحَكِ اللهُ الجَمَالَ الرَّفِيعَاهْ

لَوْ نَظَرَ البَائِسُ فِيكِ لَوَجَدَ الرَّاحَةَ وَالهَنَاءَ وَالعَافِيَاهْ

عَيْنَاكِ بَهِيَّتَانِ كَاللَّالِئِ فِي الْحُسْنِ وَالِتْتِهَامَاهْ

وَغِنَاؤُكِ وَأَنْتِ طَائِرَةٌ يَمْلَأُ العَالَمَ سَحَرًا وَأَلْحَانَاهْ

فَتَسْقُطُ الذُّبَابَةُ فِي الشَّبَكَةِ بَعْدَ أَنْ أُغْرِيتَ بِالمَدْح:

لَمَّا سَمِعَتْ مَدْحَهُ وَمَلَقَهُ.. رَقَّتْ قَلْبُهَا وَذَابَتْ أَشْوَاقَاهْ

قَالَتْ: حَاشَا لِي أَنْ أُحَطِّمَ القُلُوبَ، وَأَنَا أَرْفُضُ العِنَادَ وَالإِبَاءَاهْ

هَذِهِ العَادَةُ السَّيِّئَةُ لَيْسَتْ مِنْ خُلُقِي.. فَأَنَا قَادِمَةٌ إِلَيْكَ يَا أُخَاهْ

طَارَتْ نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ.. وَفِي الْحَالِ اِنْقَضَّ عَلَيْهَا وَافْتَرَسَهَاهْ

هَكَذَا أَصْبَحَتْ غَدَاءً لِجَائِعٍ.. كَانَ يَنْتَظِرُ الفَرِيسَةَ وَانْتِهَاهْ [90]

ومن هنا، تخبرنا قصة العنكبوت والذبابة أن الإطراء سلاحٌ قويٌّ جدًا. هناك العديد من الرجال المفترسين على شبكة الإنترنت، يشبهون العنكبوت المذكور في قصيدة إقبال هذه. في الواقع، يمكن اعتبار هؤلاء الرجال "رجال عناكب". يستخدم هؤلاء "رجال العناكب" على شبكة الإنترنت الإطراء للإيقاع بالنساء البريئات كالذباب في هذه القصة، وبمجرد أن تقع هؤلاء النساء في شباك هؤلاء "رجال العناكب" الخادعين، يفقدن كل شيء - شرفهن، وعذريتهن، وثروتهن، وفي كثير من الأحيان، حياتهن. علّقت الدكتورة آن موير بدقة على هذا الجانب من علم النفس الذكوري عندما كتبت أن الأمهات في

---

90 محمد إقبال، "العنكبوت والذبابة"، في ديوان: أجنحة جبريل، لاهور: الشيخ غلام علي وأولاده، 2008م، صفحة 170-172.

جميع أنحاء العالم يُحذّرن بناتهن من أن "الرجال لا يسعون إلا لشيء واحد، وعادةً ما يكونون على حق".(91)

خَامِسًا: المخاطر المروّعة للمواعدة عبر الإنترنت

يستغرق الحب وقتًا طويلاً لينشأ. لكن الناس وخاصة الرجال، في المواعدة عبر الإنترنت غالبًا ما يسارعون إلى إخبار النساء اللواتي يلتقون بهن عبر الإنترنت بأنهم يحبونهن، ولكن على النساء أن يتساءلن عن سبب هذا الاندفاع الكبير. إن مقولة "**الحُبّ من النظرة الأولى**" التي تُكرّر كثيرًا ليست سوى خرافة. في الواقع، إنها "**شهوة من النظرة الأولى، وليست حُبًّا**". وفقًا لبحث أجراه موقع thepeeq.com، فإن أكثر 10 أكاذيب يكذبها الناس على حساباتهم الشخصية على مواقع المواعدة الإلكترونية هي كما يلي:(92)

---

[91] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

[92] Top 10 Online Dating Lies (http://www.thepeeq.com/home/article/1829/Virtual-Insanity---Top-10-Online-Dating-Lies) Retrieved on: Nov. 16, 2012.

- أنا نحيف وصغير الحجم
- أنا طويل، أسمر البشرة، ووسيم
- عمري 29 عامًا
- اهتماماتي هي النبيذ الجيد، والموسيقى الحية، والمأكولات الفاخرة
- أنا حسّاس، ذكي، ومرحة
- أتطلع بشوق لمقابلتك!
- لقد خرجت للتو من علاقة طويلة، لذا أبحث عن أصدقاء الآن
- أستمتع بالأشياء الجميلة في الحياة
- أربح أكثر من **250,000** دولار سنويًا
- بصفتي الرئيس التنفيذي لشركة ناشئة ناجحة في مجال الإنترنت، أستمتع بالأشياء الجميلة في الحياة.

يمكن للقراء أيضًا إضافة بعض الأكاذيب الشائعة التي يرويها الرجال للنساء إلى هذه القائمة، مثل:

1) **أحبكِ أكثر من أي شيء آخر في العالم**

أو

2) **هذه صورتي بالتأكيد**

أو

3) **ليس لدي زوجة أو صديقة**

أو

4) **أنتِ أجمل فتاة/ امرأة رأيتها في حياتي**

أو

5) **أنا رومانسي، طيب القلب، عاطفي، ولدي حس فكاهة جيدأو**

6) **أنا شخص مرح ومنفتح**

يسير المسلمون على خطى غير المسلمين في المواعدة عبر الإنترنت خطوة بخطوة. من بين أفضل 10 مواقع مواعدة إسلامية: Muslima.com،

وQiran.com، و SingleMuslim.com، و Muslim4Marriage.com، وNikah.com، وFriends.com، على سبيل المثال لا الحصر. لا تتوفر حاليًا إحصاءات مفصلة عن هذه المواقع الإسلامية، ولكن نظرًا لطبيعة الإنترنت الخادعة، يُتوقع أن تكون نتائجها ومخاطرها لا تقل عن مخاطر مواقع المواعدة الإسلامية الأخرى الأكثر شيوعًا. على أخواتنا وبناتنا المسلمات أن يتذكرن أن مخاطر الحب الرقمي حقيقية. أشار مايكل لارغو (Michael Largo)، مؤلف كتاب "الخروج النهائي: الموسوعة المصورة لكيفية موتنا"، إلى ما يلي:

> **"تزداد شعبية المواعدة عبر الإنترنت، ولكن منذ عام 1995، سُجِّلت [...] أكثر من 400 حالة قتل مرتبطة بالشخص الذي التقاه [الضحية] عبر الإنترنت".** [93]

---

[93] Largo, Michael (9 May 2007). "Loved To Death". *Videojug*. http://www.videojug.com/interview/loved-to-death#how-dangerous-is-internet-dating.

ألقت صناعة المواد الإباحية باللوم على مواقع المواعدة الإلكترونية في تراجع أعمالها في هذا المجال مؤخرًا، والذي بلغ 74 مليون دولار.[94] لماذا تُلقي صناعة المواد الإباحية باللوم على مواقع المواعدة الإلكترونية في تراجع أعمالها؟ هذا يُظهر لنا بالفعل شيئًا عن طبيعة المواعدة الإلكترونية، وعن غالبية الناس الذين ينفقون أموالهم عليها بدلًا من إنفاقها على المواد الإباحية. في الواقع، يُلقي مسؤولو إنفاذ القانون باللوم على الإنترنت في ارتفاع حالات الاغتصاب. فقد ارتفع عدد حالات الاغتصاب المُبلغ عنها للشرطة في الولايات المتحدة بنسبة 30٪ منذ عام 1993، وتربط إدارة الشرطة في شارلوت بولاية كارولاينا الشمالية هذه الزيادة الظاهرة المتزايدة لمواقع المواعدة الإلكترونية. قال الرقيب داريل برايس، رئيس وحدة الاعتداء الجنسي في إدارة شرطة شارلوت–ميكلينبورغ: "في الماضي، كان المغتصبون يطاردون ويلاحقون. أما الآن، فكل ما عليك فعله هو الدخول إلى الإنترنت،

---

94 US B2C Online Paid Content: Five-Year Forecast (2008) Forrester Research Inc. survey of online adults. Quoted in: Mitchell, Robert L. (Feb. 13, 2009) “Online Dating: It’s bigger than porn”. http://blogs.computerworld.com/online_dating_its_bigger_than_porn

وستجدها في انتظارك في غرفة فندق"[95] ويؤكد باري أفتاب (Parry Aftab)، المحامي المتخصص في خصوصية الإنترنت والمدير التنفيذي لمنظمة wiredsafety.org، وهي مجموعة معنية بسلامة الإنترنت ومقرها نيويورك، على نفس الرأي. إذ يؤكد أفتاب أن الجرائم الجنسية المتعلقة بالإنترنت آخذة في الارتفاع. علاوة على ذلك، يجادل خبراء سلامة الإنترنت بأن "حالات الاغتصاب والاعتداءات الجنسية تتزايد نتيجةً للقاءات التعارف عبر غرف الدردشة على الإنترنت والمواعيد التي تُرتّب عبر مواقع المواعدة الإلكترونية الشهيرة".[96]

وبالمثل، نصح مسؤولو إنفاذ القانون في برمنغهام بولاية ألاباما سكان مجتمعهم بتوخي الحذر بسبب مخاطر المواعدة عبر الإنترنت. وقد حدث هذا بعد أن تعرضت امرأة من توسكالوسا للاغتصاب من قبل رجل التقت به

---

95 "Police blame internet for rise in rape cases". http://www.dosomething.org/blog/chatterbox/police-blame-internet-rise-rape-cases. Retrieved 2012-11-09.

96 المرجع نفسه.

عبر موقع مواعدة إلكتروني OkCupid.com. على الرغم من رواج المواعدة عبر الإنترنت، إلا أن خبراء العنف الأسري قلقون بشأن أضرارها الكامنة. وفي نصيحة لمستخدمي الإنترنت، قالت أليسون ديرينغ (Allison Dearing)، من مركز مقاطعة جيفرسون للعنف الأسري: "ربما هناك أمور يجب مراعاتها بشأن عدم مقابلة شخص ما على انفراد في المرة الأولى، أو التأكد من معرفة الكثير عنه. نتحدث عن السلامة في التجمعات، فقد يكون الخروج في مجموعات طريقة أكثر أمانًا للتعرف على شخص ما."[97]

من المهم الإشارة إلى أن نصيحة أليسون ديرينغ للنساء والرجال الذين يستخدمون مواقع المواعدة بشأن "عدم مقابلة شخص ما على انفراد في المرة الأولى" تتماشى مع نصيحة نبينا الحبيب محمد ﷺ التي قدمها لنا قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام عندما قال: "لا يَخلُونَّ رَجُلٌ بِامرَأةٍ فَإنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيطَانُ " (الترمذي)، ومن المثير للاهتمام أن نصيحة ديرينغ حول "السلامة في

---

[97] Melainie, Posey (Oct. 05, 2012). “Officials urge caution for online daters after alleged rape”. http://www.myfoxal.com/story/19750098/officials-urge-caution-for-online-daters-after-alleged-rape.(Retrieved: Nov. 10, 2012)

التجمعات، والخروج في جماعات، قد يكون وسيلة أكثر أمانًا للتعرف على شخص ما" تتطابق في جوهرها مع الوصية الإسلامية التي تُجيز للرجل مقابلة زوجته المحتملة قبل الزواج طالما تم ذلك بحضور ولي أمرها.

العلاقات التي تُبنى على الإنترنت ومواقع المواعدة الإلكترونية سطحية تمامًا مثل هذه الوسيلة **"ذات العين الواحدة"**. وقد أشار أحد طلاب جامعة تكساس، محقًا، إلى ما يلي: "البحث عن شريك الحياة عبر بضع رسائل بريد إلكتروني متبادلة أو الاشتراك في أحدث مواقع المواعدة الإلكترونية لا يُرسي أساسًا لعلاقة متينة وهادفة. هل من الممكن إيجاد الحب عبر الإنترنت؟ أقول لا." (98)

تكمن المشكلة الرئيسية في المواعدة الإلكترونية في أن الناس غالبًا ما يواعدون أكثر من شخص واحد في آن واحد. من المعروف أن الرجال بطبيعتهم أكثر

---

[98] Anonymous (April 14, 2009) “Online dating is deceptive and dangerous”. The University Star, Texas State University, San Marcos http://www.dosomething.org/blog/chatterbox/police-blame-internet-rise-rape-cases. Retrieved 2012-11-09.

تنوعًا في العلاقات من النساء. وقد أشار عالم الاجتماع ألفرد كينسي (Alferd Kinsey) إلى ذلك قائلاً:

> **"لا شك أن الرجل سيكون تنوعًا في اختياره لشركائه الجنسيين طوال حياته لو لم تكن هناك قيود اجتماعية... أما المرأة فهي أقل اهتمامًا بتنوع الشركاء."[99]**

ولذلك، وبسبب تنوعهم في العلاقات، يلجأ العديد من الرجال إلى استخدام الطابع المجهول للمواعدة الإلكترونية، ويحاولون مواعدة العديد من النساء في وقت واحد. فلا عجب إذن، وفقًا لإحصاءات المواعدة الإلكترونية، أن 11٪ من جميع المواعدين متزوجون، وأن 53٪ منهم مرتبطون بالفعل (كما هو موضح في الجدول أدناه). هذا يعني أن أكثر من نصف مستخدمي المواعدة الإلكترونية يواعدون في الواقع أكثر من شخص واحد في الوقت نفسه. يُسمى

---

[99] Kinsey, Alferd C., Pomeroy, Wardell B. & Martin, Clyde E. et al (1948). Sexual Behaviour in the Human Male. Philadelphia, W. B. Saunders.

هذا "غشًا" و"خداعًا" في اللغة الشائعة. علاوة على ذلك، كشف موقع InternetPredatorStatistics.com أن 10٪ من مرتكبي الجرائم الجنسية يستخدمون خدمات المواعدة الإلكترونية للإيقاع بالناس، وأن 10٪ آخرين من أعضاء مواقع المواعدة الإلكترونية محتالون. إذا جمعنا الاثنين، تصبح النسبة 20٪. وإذا جمعنا 53٪ ممن يواعدون أكثر من شخص واحد في الوقت نفسه، تصبح النسبة 73٪. هذا يعني أن فرص العثور على شخص صادق وطبيعي ومتاح عبر مواقع المواعدة الإلكترونية ضئيلة للغاية. هذه الإحصائيات مقلقة بشكل خاص "للنساء اللواتي يبحثن عن رجال" على مواقع المواعدة الإلكترونية.[100]

[100] "Online Dating Statistics" (Source: Reuters, Herald News, PC World, Washington Post). Date Verified: June 20, 2012. http://www.statisticbrain.com/online-dating-statistics/

جدول 2 : إحصاءات عامة لمستخدمي المواعدة عبر الإنترنت	
الفئة / الإحصائية	**النسبة**
من الأشخاص الذين يستخدمون خدمات المواعدة عبر الإنترنت وهم متزوجون	٪ 11
من الأشخاص الذين يواعدون أكثر من شخص واحد في نفس الوقت	٪ 53
من مرتكبي الجرائم الجنسية الذين يستخدمون خدمات المواعدة عبر الإنترنت للإيقاع بالفتيات والنساء	٪ 10
من الذين يقولون إن الاهتمامات المشتركة هي العامل الأهم	٪64
من الأشخاص الذين يؤمنون بالحب من النظرة الأولى	٪71
من النساء اللواتي يمارسن الجنس في أول لقاء مواعدة عبر الإنترنت	٪33
ملخص من : إحصاءات المواعدة عبر الإنترنت" (المصدر: رويترز، هيرالد نيوز، بي سي وورلد، واشنطن بوست). تاريخ التحقق: 20 يونيو 2012. (http://www.statisticbrain.com/online-dating-statistics)	

هناك مشكلة أخرى تتعلق بالمواعدة عبر الإنترنت وهي كثرة الخيارات المتاحة. لاحظ باري شوارتز (Barry Schwartz) في كتابه "مفارقة الاختيار: لماذا القليل أكثر" أن إعطاء الناس خيارات كثيرة جدًا لا يجعلهم أكثر سعادة. بل إن المزيد من الخيارات يجعل حياتهم بائسة ويميل إلى تقليل رضاهم. إن توفر الكثير من الخيارات يجعل عملية الاختيار مرهقة، ويستهلك الكثير من الوقت وغالبًا ما يؤدي إلى شكوك مزعجة في النهاية.(101) مواقع المواعدة عبر الإنترنت هي حالة نموذجية للكثير من الخيارات حيث يميل إعطاء الكثير من الخيارات في اختيار الزوج المحتمل إلى تقليل رضا "الرجل الذي يبحث عن امرأة" أو "المرأة التي تبحث عن رجل". سيؤدي البحث في أي موقع رئيسي عن تطابقات في مدينة ما إلى مئات النتائج. إذن أي منها ستختار؟ بالإضافة إلى ذلك، فإن توفر الكثير من الخيارات يمكن أن يدفع الشخص الباحث إلى عادة "التحقق" دائمًا أو "البحث" دائمًا عن الزوج المثالي حتى بعد حصوله على زوج. أعرب طالب من جامعة ولاية تكساس عن هذا القلق بحق: "قد يكون

---

101 Schwartz, Barry (2005). The Paradox of Choice: Why Less is More. New York, Harper Perennial.

الإنترنت مُسببًا للإدمان. إذا التقى شخصٌ ما بشخصٍ ما في إحدى الليالي، فكيف يعرف أنه ليس متصلًا بالإنترنت يبحث عن شخصٍ آخر في الليلة التالية؟"(102)

ومن المخاطر الحقيقية الأخرى للمواعدة اغتصاب المرأة في موعد غرامي. يمكن أن يحدث اغتصاب المرأة في موعد غرامي في منزلها أو إذا ذهبت طواعيةً إلى منزل شخصٍ آخر. وقد أصبح هذا أسهل الآن مع ظهور مُخدِّرات اغتصاب المواعدة (وتُسمى أيضًا مُخدِّرات المُفترسين). تُؤثِّر مُخدِّرات اغتصاب المواعدة، مثل الكيتامين والروهيبنول أو جي إتش بي، على الذاكرة، ويمكن إضافتها بسهولة إلى الطعام أو الشراب دون علم الضحية. يُمكن أن تُفقد الضحية وعيها وتُقلِّل من ذاكرتها لما حدث لها أثناء أو أثناء...

قبل فترة وجيزة من فقدانهن الوعي. يُعد استخدام هذه المخدرات جريمة في معظم دول العالم. ومع ذلك، تكمن المشكلة في أن الرجال المفترسين، الذين

[102] Anonymous (April 14, 2009) “Online dating is deceptive and dangerous”. The University Star, Texas State University, San Marcos http://www.dosomething.org/blog/chatterbox/police-blame-internet-rise-rape-cases. Retrieved 2012-11-09.

قرروا اغتصاب النساء اللواتي التقوا بهن عبر الإنترنت، لا يكترثون عادةً بالعواقب على الإطلاق.

مؤخرًا، حُكم على رجل يُدعى جيفري مارساليس، يبلغ من العمر 34 عامًا، من فيلادلفيا، بالسجن 20 عامًا بتهمة اغتصاب نساء في مواعيد غرامية عبر الإنترنت، التقى بست من أصل سبع منهن عبر موقع المواعدة Match.com. قال المدعون إن مارساليس كان لبقًا في حديثه، وخلال المواعدة عبر الإنترنت، كذب على النساء بأنه طبيب طوارئ ورائد فضاء وعميل في الخدمة السرية. في الواقع، اعتاد مارساليس اغتصاب النساء اللواتي التقى بهن في المواعيد الغرامية "بدس شيء ما في مشروباتهن لإعاقتهن. روت النساء، ومعظمهن من المهنيات المتعلمات جيدًا، قصصًا متشابهة بشكل لافت للنظر خلال المحاكمة التي استمرت أسبوعين ونصف، حيث التقين بمارساليس ثم شعرن بسكر غير عادي بعد عودتهن من الحمام أو تركه يشتري جولة من

المشروبات من البار".[103] قبل النطق بالحكم على مارساليس، قال له القاضي ستيفن جيروف (Judge Steven Geroff):

"ما كنتَ إلا ذئبًا متنكرًا بلباس خراف. كان عالمك مجرد وهم، وكان أسلوب حياتك خيالًا، أما ما حدث لضحاياك فهو الحقيقة الصارخة."[104]

في الوقت الحاضر، من السهل جدًا على أي شخص شراء مخدرات اغتصاب المواعدة عبر الإنترنت.

لذلك، يجب على النساء المسلمات أن يفهمن أن مواعدة شخص أجنبي عنها ما دون استشارة وحضور أولياء أمور المرأة ليس آمنًا مهما بدا ذلك "الأخ المسلم" بريئًا لهن لأنه في الواقع، قد يكون أيضًا "ذئبًا بلباس خراف" على

---

[103] Walters, Patrick (Oct. 12, 2007) “Man Gets 20 Years in Online Date-Rape Case”. ABC News Local http://abclocal.go.com/wpvi/story?section=news/local&id=5703637.Retrieved Nov. 09, 2012.

[104] المرجع نفسه

غرار ما قاله القاضي ستيفن جيروف لجيفري مارساليس وقت الحكم عليه بالسجن.

يجب على النساء المسلمات توخي الحذر إذا كنّ يقابلن "أخًا مسلمًا" غير محرم على انفراد (في غياب أقارب المرأة الذكور) لأن هذا الرجل الذي يبدو بريئًا قد يضع أيضًا مخدر اغتصاب المواعدة في مشروب تلك المرأة المسلمة ويغتصبها. **احذروا الذئب!!**

الفصل الرابع

مفاسد الطلاق ومخاطره المروعة

لا يُحرّم الإسلام الطلاق تحريمًا قاطعًا. ولكن في حالات الضرورة القصوى، أبقى الإسلام هذا المخرج مفتوحًا. يُعدّ الطلاق في الإسلام العلاج الأخير للزوجين لإنهاء مشاكلهما. وهو بلا شك أهون الشرين مقارنةً بالعنف الجسدي أو الزنا. إلا أن كثيرًا من الناس يجهلون عواقب الطلاق الوخيمة. تهدف الشريعة الإسلامية إلى زيادة نسب الزواج الناجح وتقليل حالات الطلاق. في المجتمعات الغربية، لا تبذل الحكومات جهودًا كبيرة لمنع حالات الطلاق، لكنها تُنفق مبالغ طائلة على برامج حكومية للتدخل ومعالجة آثار تفكك الأسر. تتمثل سياسة الإسلام في اتخاذ خطوات لمنع تفكك الأسرة في

المقام الأول. يؤمن الإسلام بالوقاية أكثر من التدخل، لأن الوقاية خير من العلاج. ولهذا السبب، يُنهى الإسلام عن الطلاق. ورد في حديث:

أبغض الحلال إلى الله الطلاق. (مستدرك الحاكم)[105]

وكذلك، ورد في حديث نبوي تحذير من حرمان المرأة التي تطلب الطلاق من زوجها بغير سبب مشروع:

أيُّما امرأةٍ سألَتْ زوجَها طلاقَها في غيرِ ما بَأْسٍ ؛ فحرامٌ عليها رائِحَةُ الجنةِ (سنن أبو داود)[106]

---

105 أخرجه الحاكم (2/ 196) وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وانظر: أبي داود (2178)، وابن ماجه (2018).

106 أخرجه أبو داود (2226)، والترمذي (1187) وقال: 'حسن غريب'، وابن ماجه (2055) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقد حكم ابن حجر العسقلاني على إسناده بالضعف في 'التلخيص الحبير' لاضطرابه ولضعف راويه سُهيل بن أبي صالح الذي اختلط في آخر عمره.

وينطبق هذا الحديث على الرجال الذين يطلقون زوجاتهم بغير سبب مشروع. ولهذا السبب يعتبر علماء المسلمين الطلاق بلا سبب شرعي من كبائر الذنوب.[107] وذلك لأن سلامة المجتمع تعتمد على قوة الأسرة وضعف معدلات الطلاق.

عندما درس عالم الاجتماع الغربي بيتيريم سوروكين (Pitirim Sorokin) العوامل التي تُسهم في التدهور الثقافي للمجتمع، لاحظ أنه مع بدء أفراد المجتمع في الانخراط في علاقات خارج إطار الزواج، ينخفض معدل المواليد وتبدأ الأمة في التناقص السكاني ببطء. وخلص سوروكين بعد دراسة الثقافات المنحلة إلى أن المجتمع لا يمكن أن يظل سليمًا إلا إذا كانت الأسر قوية، ومعدلات الطلاق منخفضة، والأنشطة الجنسية مقتصرة على إطار الزواج.[108] وفي السياق نفسه، أشار عالم الاجتماع كارل ويلسون (Carl

---

[107] الهيثمي، ابن حجر (2000) الزواجر الاقتراف الكبير. (المجلد 2، ص 100) مصر، المطبعة الخيريه .

[108] Sorokin, Pitirim <u>The American Sex Revolution</u> quoted in: Sheldon, Rev. Louis P. “Destruction of Marriage Precedes the Death of a

Wilson) في كتابه "رقصتنا تحولت إلى الموت" إلى أن الثقافات المنحلة تُظهر سبع سمات نموذجية: يرفض الرجال التطور الروحي والأخلاقي كقادة للأسر؛ ويبدأ الرجال في إهمال أسرهم بحثًا عن الكسب المادي؛ ويبدأ الرجال في الانخراط في علاقات غير شرعية أو علاقات جنسية مثلية؛ وتبدأ النساء في التقليل من قيمة دور الأمومة وربة المنزل؛ ويبدأ الأزواج والزوجات في التنافس مع بعضهم البعض وتتفكك الأسر؛ وتُجزئ الفردية الأنانية المجتمع إلى فصائل متحاربة؛ ويفقد الرجال والنساء إيمانهم بالله ويرفضون كل سلطة على حياتهم.[109] في مثل هذا الجو من الأنانية، حيث لا يهتم كل من الزوج والزوجة بأطفالهما أو الأسرة، يكون الطلاق هو النتيجة الطبيعية. وليس هناك ما هو أكثر تدميراً وفتكـًا بالأسرة من الطلاق. ولهذا السبب، يُعد الطلاق من أكثر الأفعال كراهة في الإسلام.

Culture". Traditional Values Coalition Education and Legal Institute. Anaheim, California.

109 Wilson, Carl (1981). Our Dance Has Turned To Death. Illinois, Tyndale House Publishers.

أوَّلًا: الطلاق وضع خاسر للجميع

يعتقد الكثير من الناس خطأً أن الرجال لا يعانون كثيراً من الطلاق؛ بل إن النساء هن الأكثر معاناة منه. والحقيقة أن الطلاق ليس وضعـًا رابحـًا أو خاسراً للرجال و النساء خاصة. بل هو وضع خاسر للمجتمع عامة. **وعلى عكس الاعتقاد السائد، فإن الرجل يعاني من الطلاق أكثر من النساء.** صحيح أن الرجال لديهم فرص أفضل للعثور على زوجات جديدات بعد الطلاق (بالزواج من نساء أصغر سنـًا بكثير من أعمارهن)، بينما تقضي النساء المطلقات بعد الأربعينيات من العمر، بعد سنوات الإنجاب، بقية حياتهن غير متزوجات. على سبيل المثال، بعد سن الخمسين، لا تتزوج سوى 11.5٪ من النساء المطلقات مرة أخرى.(110)

---

110 Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company. Computed from data in U.S. Bureau of the Census, *Current Population Reports*, Series P-20, No. 380, “Marital Status and Living Arrangements: March 1982” (Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1983)

ومع ذلك، فإن قائمة أضرار الطلاق التي يلحقها بالرجال أطول. ووفقًا لأرقام مكتب الإحصاء، فإن عدد الرجال المطلقين الذين يرقدون في مستشفيات الأمراض النفسية أكبر بكثير من عدد النساء المطلقات.[111] وعلاوة على ذلك، ووفقًا للبيانات الصادرة عن المكتب الوطني لإحصاءات الصحة، فإن معدل وفيات الرجال المطلقين من جميع الفئات العمرية بين 35 و65 عامًا يزيد عن ثلاثة أضعاف معدل وفيات النساء المطلقات.[112]

أسباب الوفيات عديدة، ولكن كما هو الحال بالنسبة للرجال العُزّاب، الأسباب الرئيسية لوفاة الرجال المطلقين هي الانتحار والحوادث. ينتحر الرجال المطلقون أكثر بثلاث مرات ونصف من النساء المطلقات، ويموتون في حريق أو انفجار عرضي أكثر بأربع مرات. علاوة على ذلك، فإن الرجال المطلقين أكثر عرضة للوفاة بتليف الكبد بثلاث مرات من النساء المطلقات،

---

[111] U.S. Bureau of the Census, “Census of Population: 1980” Subject Reports, *Persons in Institutions and Other Group Quarters.* Washington, D.C., U.S. Government Printing Office, 1982.

[112] Carter, Hugh and Glick, Paul C. (1976) *Marriage and Divorce: A Social and Economic Study* Cambridge, Massachusetts, Harvard University Press.

وأكثر بستة أضعاف من النساء المطلقات للوفاة بنوبة قلبية.[113] في الواقع، الطلاق أمرٌ لا يستفيد منه الرجل ولا المرأة. **الشيطان وحده هو المستفيد من طلاق الزوجين**. وقد ورد في حديث أن تفكيك الأسرة وزرع الخلاف بين الزوجين من أجندات الشيطان. عن جابر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: فيقول:

> **إنَّ إبليسَ يضعُ عرشَه على الماءِ ، ثم يبعثُ سراياه ، فأدناهم منه منزلةً أعظمَهم فتنةً ، يجيءُ أحدُهم فيقولُ : فعلتُ كذا وكذا ، فيقولُ ما صنعتَ شيئًا ، ويجيءُ أحدُهم فيقولُ : ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينَه وبين أهلِه ، فيُدْنِيه منه ، ويقولُ : نعم أنتَ !** (صحيح مسلم)[114]

يعلم الشيطان جيدًا أن أضرار الطلاق النفسية تتجاوز الزوجين، فالطلاق يزيد من فقر الأسر، ويترك طلاق الوالدين أثرًا نفسيًا عميقًا في شخصيات الأبناء يدوم مدى الحياة. يرتكب أطفال الأسر المطلقة جرائم أكثر من أطفال الأسر

---

113 المرجع نفسه.

114 رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2812) كِتَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ إِثْبَاتِ عَرْشِ إِبْلِيسَ وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَعْوَانِهِ

السليمة. ففي الولايات المتحدة وحدها، على سبيل المثال، أكثر من نصف نزلاء السجون من أسر مفككة. يؤدي طلاق الوالدين أيضًا إلى زيادة إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم، والوفيات المبكرة، وارتفاع معدلات انتحارهم. يتدنى أداء أطفال الوالدين المطلقين في المدارس والجامعات، وتنخفض معدلات تخرجهم مقارنةً بأطفال الوالدين المتزوجين. سنناقش كل واحد من هذه الأضرار بالتفصيل الآن:

ثَانِيًا: الطلاق يُضعف مستوى معيشة الأسر

يُخبرنا القرآن الكريم أن الرجال قوامون على النساء:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ﴾ (سورة النساء: 34)

ولذلك، أوكل الله إلى الرجال مهمة حماية أسرهم ورعايتها وكسب قوتها.

لذلك، من الطبيعي أن تعاني النساء ماليًا من الطلاق أكثر من الرجال (كما يعاني الرجال نفسيًا من الطلاق أكثر من النساء ويموتون مبكرًا). وبغض النظر عن

أسباب الطلاق، فمن الحقائق الثابتة أن مستويات معيشة الأسر تنخفض بعد الطلاق. فالدخل الذي كان يُنفق على أسرة واحدة يُقسم الآن على أسرتين.

وقد أظهرت أحدث الأبحاث في العلوم الاجتماعية في الولايات المتحدة أن الطلاق يُقلل من دخل الأسر التي لديها أطفال بنسبة 42٪ في المتوسط. وفي عام 1994، كشفت ماري كوركوران (Mary Corcoran)، أستاذة العلوم السياسية في جامعة ميشيغان، في دراسة أن دخل الأسرة ينخفض بشكل ملحوظ بعد الطلاق وأشارت إلى أنه:

"خلال السنوات التي عاش فيها الأطفال مع والديهم، بلغ متوسط دخل أسرهم 43,600 دولار أمريكي، وعندما عاش هؤلاء الأطفال أنفسهم مع أحد الوالدين، بلغ متوسط دخل أسرهم 25,300 دولار أمريكي".[115]

---

[115] Corcoran, Mary E. and Chaudry, Ajay (1997) "The Dynamics of Childhood Poverty," *Future of Children*, Vol. 7. Issue 2, pp. 40-54.

تشير البيانات إلى أن واحدة من كل خمس نساء تُدفع إلى براثن الفقر المدقع نتيجة الطلاق.[116] وتنتهي واحدة تقريبًا من كل ثلاث أمهات لديهن أطفال في المنزل بفقدان منزلها (الذي كانت تملكه مع زوجها) بعد طلاقها.[117]

بالإضافة إلى ذلك، فإن 75 (ثلاثة أرباع) من الأسر ذات الدخل الأدنى هي تلك التي يرأسها والد واحد (وهو في الغالب مطلق أو أم غير متزوجة)، بينما 95٪ من الأسر ذات الدخل الأعلى يرأسها أزواج. علاوة على ذلك، فإن دخل الأزواج المتزوجين في منتصف الخمسينيات من العمر يفوق دخل الأفراد المطلقين بأربعة أضعاف (بمتوسط 132,000 دولار أمريكي مقارنة بـ33,600 دولار أمريكي). وفقًا للدكتور إدوين فولنر، رئيس مؤسسة التراث، وهي معهد أبحاث في السياسات العامة مقره واشنطن، فإن من يعتقدون أن الطلاق يجلب

---

116 Grall, Timothy S. (2003) “Custodial Mothers and Fathers and their Child Support: 2003,” Current Population Reports, Series P60-230, Washington, U.S. Government Printing Office. Quoted in: Schramm, David G. (2009) “Counting the Cost of Divorce: What Those Who Know Better Rarely Acknowledge” *The Family in America* (A Journal of Public Policy) Vol. 23.

117 المرجع نفسه.

السعادة والرخاء للأسرة "منفصلون عن الواقع". ويكتب: "ما هو أفضل ما يمكن للوالدين فعله لضمان مستقبل سعيد لأطفالهم؟ البقاء متزوجين".[118]

ثَالِثًا: أضرار الطلاق تمتد إلى الأبناء والأحفاد

يُجادل الدكتور ديفيد شرام (David Schramm)، الأستاذ المساعد في التنمية البشرية ودراسات الأسرة بجامعة ميسوري، كولومبيا، بأن "**عواقب الطلاق لا تمتد إلى الجيل الثاني فحسب، بل تمتد أيضًا إلى الجيلين الثالث والرابع**". بمعنى آخر، يُطلق طلاق الوالدين دورةً تنازليةً من السلوكيات غير الطبيعية، والتي لا تؤثر على أبنائهم فحسب، بل تؤثر أيضًا على أجيالهم المستقبلية. ولدعم وجهة نظره، يُقدم الدكتور شرام العديد من الدراسات الاجتماعية. ففي دراسة استمرت عشرين عامًا، أُجريت على 691 جدًّا وجدة، استكشف العلماء العلاقة بين الطلاق والعديد من النتائج المختلفة للأحفاد. في هذه الدراسة، التي نُشرت في مجلة "الزواج والأسرة"، وجد الباحثان بول أماتو

[118] Feulner, Edwin J. (June 30, 1999) “Divorced from Reality” The Heritage Foundation, Washington DC. http://www.heritage.org/research/commentary/1999/06/divorced-from-reality

(Paul Amato) و جاكوب تشيدل (Jacob Cheadle) أن أبناء الأجداد المطلقين، مقارنةً بأقرانهم الذين لم يُطلق أجدادهم، كانوا أقل تحصيلًا في المدارس والجامعات، وحققوا مستويات تعليمية أقل، وواجهوا صراعات أكثر في حياتهم الزوجية، وكانت علاقاتهم مع والديهم أقل جودة.[(119)] وفي تعليقه على نتائج هذه الدراسة وغيرها، كتب الدكتور شرام:

"تُزوّد هذه العواقب الشاملة والواضحة للطلاق مؤرخي الاجتماع وعلماء الاجتماع بأدلة وفيرة تُثبت صحة الحجة القائلة بأن تفكك الأسرة هو العامل الأهم في كل مشكلة اجتماعية تقريبًا اليوم... فعندما يتوقف الوالدان عن حب بعضهما البعض وينهيان الزواج، تتفاعل الآثار السلبية المتتالية والتكاليف الاجتماعية للطلاق مع مجموعة من

---

[119] Amato, Paul R. and Cheadle, Jacob. (2005) “The Long Reach of Divorce: Divorce and Child Well-Being across Three Generations,” *Journal of Marriage and Family* 67: 191–215.

عوامل الخطر الأخرى التي تُفكك خيوط نسيج الأصول التي تُنسج في حياة الأطفال."[120]

عندما ينفصل الزوجان، تتفكك الأسرة بأكملها، ويعاني أطفال الوالدين المطلقين نتيجة لذلك. يعاني الأطفال الذين يعيشون مع أحد الوالدين المطلقين أو مع أحد الوالدين المتزوجين مرة أخرى من العديد من العيوب مقارنةً بالأطفال الذين يعيشون مع والديهم البيولوجيين المتزوجين. يعاني أطفال الوالدين المطلقين من فقدان قدوة حسنة في حياتهم، لأنهم يضطرون للبقاء مع أحد الوالدين فقط بعد الطلاق. علاوة على ذلك، يوفر الوالدان التوجيه والحب والإشراف والحماية والتشجيع والوقت لأطفالهم. ومع ذلك، عندما تتفكك الأسرة بسبب الطلاق، لا يعود كلا الوالدين معًا لرعاية أطفالهما. فيما يلي بعض الآثار والأضرار طويلة الأمد التي لحقت بالأطفال نتيجة طلاق والديهم.

---

120 Schramm, David G. (2009) "Counting the Cost of Divorce: What Those Who Know Better Rarely Acknowledge" *The Family in America* (A Journal of Public Policy) Vol. 23, pp. 55-64. (Available at www.familyinamerica.org/index.php?doc_id=19&cat_id=4)

رَابِعًا: طلاق الوالدين يؤدي إلى ارتفاع معدلات الجريمة بين أبنائهم

رأينا سابقًا في هذا الكتاب أن الرجال العُزّاب يرتكبون جرائم أكثر من أقرانهم المتزوجين، وهذا دليل على الطابع الحضاري للزواج. وينطبق الأمر نفسه على أطفال الوالدين المطلقين. فقد أظهرت الدراسات أن الأولاد الذين ينشؤون على يد والدين مطلقين، مقارنةً بالفتيان الذين ينشؤون في أسر سليمة، أكثر عرضة لارتكاب الجرائم في سنوات مراهقتهم وبلوغهم. وتُظهر الأبحاث في العلوم الاجتماعية وجود صلة قوية بين معدل الجريمة في المجتمع وبنية الأسرة.

قام أستاذ سابق لعلم الاجتماع بجامعة شيكاغو روبرت سامبسون (Robert Sampson) بتحليل معدلات الجريمة في ١٧١ مدينة في الولايات المتحدة يزيد عدد سكانها عن 100,000 نسمة. في دراسته التي أجراها عام ١٩٨٧، وجد سامبسون أن معدل الطلاق، بغض النظر عن الوضع الاقتصادي للأسرة

المفككة، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمعدلات السرقة في المدن الأمريكية الكبرى. وبالتالي، أظهر بحث سامبسون أنه إذا انخفض معدل الطلاق في مدينة ما، فإن عدد الجرائم المرتكبة فيها سيكون أقل أيضًا. هذا يعني أنه عندما تنتهي الزيجات بالطلاق وتتفكك الأسر، يكون أطفال الوالدين المطلقين أكثر عرضة لارتكاب الجرائم مقارنةً بالأطفال الذين يربيهم آباء متزوجون دائمًا.[121] وتدعم هذه العلاقة أيضًا البيانات التي تم الحصول عليها من وزارة الصحة والخدمات الاجتماعية في ولاية ويسكونسن، **حيث كانت معدلات سجن الأحداث الجانحين في عام 1993 أعلى 12 مرة لأطفال الوالدين المطلقين منها للأطفال الذين يعيشون مع آباء متزوجين دائمًا.**[122]

---

[121] Sampson, Robert J. (1987) "Crime in Cities: The Effects of Formal and Informal Social Control," Crime and Justice. Chicago, Illinois, University of Chicago Press.

[122] Wisconsin Department of Health and Social Services, Division of Youth Services, "Family Status of Delinquents in Juvenile Correctional Facilities in Wisconsin," (April 1994). Quoted in: Fagan, Patrick F. and Rector, Robert (June 5, 2000) “The Effects of Divorce on America” The Heritage Foundation Backgrounder, Issue No. 1373, Washington, DC.

في دراسة أخرى نُشرت في "المجلة الأمريكية لعلم النفس المجتمعي"، بحث الباحثان أنيت ريكيل (Annette Rickel) وتوماس لانجر (Thomas Langer) في الآثار قصيرة وطويلة المدى للطلاق على الأطفال من خلال متابعة ألف عائلة لديها أطفال تتراوح أعمارهم بين 6 و18 عامًا لمدة ست سنوات. واكتشفا أن الأطفال الذين يعيشون مع آباء مطلقين أو عازبين أو مع زوج أمهاتهم كانوا أكثر عرضة لإظهار سلوك إجرامي أو مُخرب، بينما أظهر الأطفال الذين يعيشون في أسر متزوجة سليمة سلوكًا أقل إشكالية.[123]

وبالمثل، شملت دراسة أمريكية شاملة، امتدت على مدى عشرين عامًا، 6400 ولد منذ طفولتهم وحتى بلوغهم سن الرشد. وكشفت نتائج هذه الدراسة الطولية أن أطفال الوالدين المطلقين الذين نشأوا بدون آبائهم البيولوجيين في المنزل أكثر عرضة لارتكاب جريمة والدخول إلى السجن بثلاث مرات من أطفال الأسر السليمة. ومن الأسباب المحتملة لزيادة السلوك

[123] Rickel, Annette U. and Langer, Thomas S. (1985) "Short-Term and Long-Term Effects of Marital Disruption on Children," *American Journal of Community Psychology* Vol. 13, pp. 599-661.

الإجرامي لدى الأولاد الذين نشأوا بدون آباء تفوقهم في التعامل مع سلوكياتهم والتحكم فيها.[124]

الجزء المحزن من القصة هو أن الفتيات من آباء مطلقين يعانين أيضًا مثل الأولاد. ولأن الفتيات أكثر نضجًا من الأولاد في نفس عمرهن، فإنهن يشعرن بألم انهيار أسرهن أكثر من الأولاد. يُجري الباحثان آبي فروست (Abbie Frost) و بيلج باكيز (Bilge Pakiz) مشروعهما البحثي المستمر لمدة عشر سنوات على 382 فتاة في الخامسة عشرة من العمر، وقد لاحظا أن "**الفتيات من الأسر المفككة حديثًا كن أكثر عرضة من الأولاد أن يواجهوا مشاكل في الأداء العاطفي والسلوكي**".[125] أظهرت الدراسات الاجتماعية العلمية وجود علاقة قوية بين بنية الأسرة والسلوك التخريبي بين الفتيات.[126] على

---

124 Harper, Cynthia and McLanahan, Sara S. (1998) "Father Absence and Youth Incarceration," presented at the annual meeting of the American Sociological Association, Washington, DC.
125 Frost, Abbie K. and Pakiz, Bilge. (1990) “The Effects of Marital Disruption on Adolescents” *American Journal of Orthopsychiatry*, Vol. 60, Issue 4, pp. 544-555.
126 Heimer, Karen (1996) “Gender, Interaction, and Delinquency: Testing a Theory of Differential Social Control” *Social Psychology Quarterly*, Vol. 59, pp. 39-61.

سبيل المثال، وجدت الدراسات أن الفتيات من منازل الوالدين المطلقين أكثر عرضة لتجربة الجنس قبل الزواج من الفتيات من منازل الوالدين. بالإضافة إلى ذلك، فإن الفتيات المراهقات من آباء مطلقين أكثر عرضة لتعاطي المخدرات وشرب الكحول والتغيب عن المدرسة وإظهار سلوك عدائي وارتكاب الجرائم مقارنة بالفتيات من آباء متزوجين دائمًا.[127،128]

خَامِسًا: طلاق الوالدين وإساءة معاملة الأطفال

أطفال الوالدين المطلقين أكثر عرضة بكثير للتعرض للعنف الجسدي والجنسي من قِبل زوج أمهم أو زوجة أبيهم. ومما يزيد الطين بلة، أن الزواج مرة أخرى بعد الطلاق يزيد من سوء المعاملة القائمة. يجوز للأمهات الزواج مرة أخرى بعد الطلاق (ويُباح للمرأة الزواج مرة أخرى بعد طلاقها في ضوء التعاليم الإسلامية). ومع ذلك، تشير البيانات والإحصاءات المتاحة حول هذه

---

[127] المرجع نفسه.

[128] Kalter, Neil, Reimer, B., Brickman, A. and Chen, J. W. (1986) “Implications of Parental Divorce for Female Development” *Journal of the American Academy of Child Psychiatry*, Vol. 25, pp. 538-544.

القضية إلى أن وجود زوج أم يزيد من خطر الإساءة، كما أشار الباحثان باتريك فاجان (Patrick Fagan) و روبرت ريكتور (Robert Rector) في تقريرهما بعنوان "آثار الطلاق على أمريكا":

"لا تصاحب المستويات المرتفعة من الطلاق مستويات أعلى من إساءة معاملة الأطفال فحسب، بل إن الزواج مرة أخرى لا يقلل من مستوى إساءة معاملة الأطفال بل قد يزيد منه."[129]

في دراسة نُشرت في مجلة الأكاديمية الأمريكية لطب نفس الأطفال والمراهقين، وجد علماء النفس المحققون فيرجسون ولينسكي وهوروود أدلة على أن الإساءة الخطيرة أعلى بكثير بين أبناء الزوج/ الزوجة مقارنةً بأطفال الأسر المستقرة التي لا تزال متزوجة. إضافةً إلى ذلك، من بين البالغين المشاركين في هذه الدراسة الذين اعترفوا بتعرضهم للإساءة الجنسية في طفولتهم، كان أولئك الذين نشأوا في أسر مترابطة أكثر من نشأة كلا الوالدين

[129] Fagan, Patrick F. and Rector, Robert (June 5, 2000) “The Effects of Divorce on America” The Heritage Foundation Backgrounder, Issue No. 1373, Washington, DC.

البيولوجيين في أسر مترابطة. ويبدو أن الرجال أكثر عدوانية تجاه الأطفال الذين يفتقرون إلى أي رابط بيولوجي معهم.[130]

من الجوانب المؤلمة للغاية للطلاق احتمالية الاعتداء الجنسي على الأطفال. أجرت ديانا إي. إتش. راسل، أستاذة علم الاجتماع في كلية ميلز (أوكلاند، كاليفورنيا)، بحثها على عينة عشوائية من 930 امرأة بالغة في سان فرانسيسكو.

كشف التحليل أن معدل الاعتداء الجنسي على الفتيات من قِبل أزواج أمهاتهن كان أعلى بستة أو سبعة أضعاف من آبائهن البيولوجيين الذين ما زالوا في أسر سليمة متزوجة دائمًا.[131] وللأسف، فإن هذا الرقم أعلى من ذلك مع الإحصاءات التي قدمها اثنان من علماء النفس السلوكي من جامعة ماكماستر الكندية (أونتاريو)، مارغو ويلسون (Margo Wilson) ومارتن دالي (Martin

---

130 Fergusson, David M., Michael T. Lynskey, John L. Horwood. (1996) “Childhood Sexual Abuse and Psychiatric Disorders in Young Adulthood: I. Prevalence of Sexual Abuse and Factors Associated with Sexual Abuse” *Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry*, Vol. 34, pp. 1355-1364.

131 Russell, Diana E. H. (1984) “The Prevalence and Seriousness of Incestuous Abuse: Stepfathers vs. Biological Fathers” *Child Abuse and Neglect*, Vol. 8, Issue 1, pp. 15-22.

Daly) في دراستهما المنشورة في كتاب "إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم: الأبعاد البيولوجية الاجتماعية، أسس السلوك البشري". وجد ويلسون ودالي أن الاعتداء الجنسي على الفتيات من قِبل أزواج أمهاتهن يمكن أن يكون أكبر بأربعين مرة من الاعتداء الجنسي على البنات من قِبل آبائهن البيولوجيين الذين لم تتفكك أسرهم بسبب الطلاق. كما نظر عالما النفس ويلسون ودالي أيضًا في سجلات الشرطة بالتزامن مع استطلاعات الرأي التي أجرياها، ولاحظا أن الأطفال في سن عامين وأصغر من الآباء المطلقين أكثر عرضة للقتل على يد زوج الأم بما يقرب من 100 مرة من حوادث قتل الأطفال في سن عامين على يد والديهم البيولوجيين الذين لم ينفصلوا أبدًا بسبب الطلاق.[132]

ينتهي الأمر بأطفال الوالدين المطلقين بالعيش إما في منازل أحد الوالدين أو مع عائلات زوجية، وقد ثبت أن هؤلاء الأطفال معرضون بشدة لخطر الاعتداء

---

[132] Wilson, Margo and Daly, Martin “The Risk of Maltreatment of Children Living with Stepparents” in Gelles, Richard J. and Lancaster, Jane B., eds., *Child Abuse and Neglect: Biosocial Dimensions, Foundations of Human Behavior* (New York: Aldine de Gruyter, 1987), pp. 215-232.

الجسدي والجنسي. يحدث الاعتداء على الأطفال غالبًا على يد أزواج أمهات الأطفال أو أصدقاء أمهاتهم المطلقات. ورغم أن مساهمة أزواج الأم والأصدقاء في رعاية الأطفال لا تتجاوز 2٪، إلا أنهم هم من يعتدون على هؤلاء الأطفال في أكثر من 50٪ من الحالات.[133] في الواقع، أظهر عالما الاجتماع دالي وويلسون من خلال الإحصاءات أن أزواج الأم أكثر عرضة من الآباء البيولوجيين لإساءة معاملة أطفالهم. وفي ختام دراستهما، كتب دالي وويلسون: "تبيّن أن العيش مع زوج الأم أو زوج الأب هو أقوى مؤشر على تعرّض الطفل للإساءة الشديدة وفقًا للدراسات الحديثة."[134]

سَادِسًا: طلاق الوالدين والوفيات المبكرة لأطفالهما

لا يقتصر طلاق الوالدين على الأذى النفسي والعاطفي للأطفال فحسب، بل وُثِّقت دراساتٌ تُبيِّن آثار الطلاق على الصحة البدنية للأطفال. على سبيل

[133] Margolin, Leslie (1992) “Child abuse by mothers’ boyfriends: Why the overrepresentation?” Child Abuse & Neglect, Vol. 16, pp. 541-551.
[134] Daly, Martin & Wilson, Margo I. (1996) “Evolutionary psychology and marital conflict: the relevance of Stepchildren”. pp. 9-28 in Buss, D.M. & Malamuth, N., eds., Sex, power, conflict: feminist and evolutionary perspectives. New York, Oxford University Press.

المثال، تَتَبَّعت دراسةٌ طويلة الأمد نُشرت في مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي أكثر من 1500 طفل من الطبقة المتوسطة ذوي معدل ذكاء مرتفع طوال حياتهم، ووجدت معدل وفيات أعلى بكثير للأطفال الذين انفصل آباؤهم، مقارنةً بأطفال الأسر المتماسكة.[135] وهذا يعني أن أطفال الوالدين المطلقين يموتون في سنٍّ مبكرة مقارنةً بالأطفال الذين عاش آباؤهم معًا دائمًا ولم ينفصلوا. يُسبِّب الطلاق ضغوطًا على الوالدين، مما يؤثر على قدراتهم على تربية الأبناء، وينتقل هذا الضغط بشكل مباشر إلى أطفالهم أصغر سنًا. الأطفال أكثر عرضة لضغط انفصال الوالدين. أفاد جوبال سينغ (Gopal Singh) وستيلا يو (Stella Yu)، وهما باحثان من مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (CDC) (ماريلاند، أمريكة)، في دراستهما أن معدلات

135 Tucker, Joan S. et al. (1997) "Parental Divorce: Effects on Individual Behavior and Longevity" *Journal of Personality and Social Psychology*, Vol. 73, pp. 385-386.

وفيات الأطفال تزداد، لا سيما عندما يحدث طلاق الوالدين قبل بلوغ الطفل سن الرابعة.[136]

سَابِعًا: طلاق الوالدين وارتفاع معدلات الانتحار بين أبنائهم

أحيانًا يكون الضغط النفسي الناتج عن طلاق الوالدين وانفصالهما أكبر من قدرة الأطفال على التحمل. ونتيجةً لذلك، قد يلجأ أطفال الوالدين المطلقين إلى الانتحار عاجلًا أم آجلًا في محاولة للهروب من الرفض والإساءة التي عانوا منها في حياتهم. وقد أشارت باتريشيا ماكول (Patricia McCall)، أستاذة علم الاجتماع بجامعة ولاية كارولينا الشمالية، وزميلها كينيث لاند (Kenneth Land)، في دراستهما المنشورة في مجلة "أبحاث العلوم

136 Singh, Gopal K. and Yu, Stella M. (1996) “U.S. Childhood Mortality, 1950 through 1993: Trends and Socioeconomic Differentials” *American Journal of Public Health*, Vol. 86, pp. 505-512.

الاجتماعية" إلى أن السمة الأساسية الأكثر شيوعًا بين المراهقين الذين ينتحرون هي طلاق والديهم.(137)

خلال العقود الثلاثة الماضية، ازدادت حالات انتحار المراهقين[138]، ورافقها ازدياد في حالات طلاق الوالدين حول العالم، وهذا ليس مصادفة. في الواقع، وجد العديد من الباحثين صلة بين ارتفاع حالات انتحار المراهقين أو محاولات الانتحار وارتفاع حالات طلاق الوالدين في دراسات متعددة الثقافات أُجريت في الولايات المتحدة واليابان وهولندا.(139،140،141)

---

[137] المرجع نفسه.

[138] **المراهقة**: مرحلة انتقالية بين الطفولة والرشد تبدأ مع البلوغ وتستمر حتى اكتمال النضج؛ وتُعرِّفها منظمة الصحة العالمية عُمريًّا بأنها من 10 إلى 19 سنة.

[139] Nelson, Franklyn L. et al., (1988) "Youth Suicide in California: A Comparative Study of Perceived Causes and Interventions" *Community Mental Health Journal*, Vol. 24, pp. 31-42.

[140] Lester, David and Abe, Kazuhiko (1993) "The Regional Variation of Divorce Rates in Japan and the United States," *Journal of Divorce and Remarriage*, Vol. 18, pp. 227-230.

[141] Velez, Carmen Noevi and Cohen, Patricia (1988) “Suicidal Behavior and Ideation in a Community Sample of Children: Maternal and Youth Reports” *Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry*, Vol. 27, pp. 349-356.

يعتقد الآباء الذين يواجهون خلافات زوجية أن الطلاق والانفصال سيوفران حياة أفضل لأطفالهم. يقرر الآباء الانفصال عن بعضهم البعض بالطلاق حتى لا ينشأ أطفالهم في بيئة يتشاجر فيها الأب والأم باستمرار. صحيح أن كثرة الخلافات بين الزوجين لها آثار سلبية على الصحة النفسية للأطفال. مع ذلك، ليس الطلاق هو الحل الوحيد لمشكلة كثرة الخلافات بين الزوجين. هناك خيارات أخرى أقل ضررًا لحل الخلافات بينهما. قد يبدو الطلاق الحل الأمثل، لكنه يحمل في طياته أيضًا مشاكله. عندما يصل أطفال الآباء المطلقين إلى سن الرشد، ينتحر الكثير منهم أو على الأقل يحاولون الانتحار، وهذه الظاهرة العالمية لا تقتصر على الشرق والغرب. ووفقًا لعالمي النفس فودارسكي وباميلا، يشعر أطفال الآباء المطلقين بأن والديهم ربما رفضوهم أو فقدوا اهتمامهم بهم بسبب انفصالهما.[142]

---

[142] Wodarski, John S. and Harris, Pamela (1987) "Adolescent Suicide: A Review of Influences and the Means for Prevention," *Social Work*, Vol. 32, pp. 477-484.

تُعدّ مرحلة المراهقة بالفعل فترةً من الضيق الشديد بسبب تغيّرات الجسم. يحتاج الأولاد والبنات في مرحلة المراهقة إلى دعم كلا الوالدين خلال هذه الفترة الحرجة من الحياة. قد يؤدي الوصول إلى مرحلة المراهقة في مثل هذه الظروف الكئيبة إلى إثارة أفكار انتحارية لدى المراهق بسهولة. إن الضغط النفسي قبل وأثناء وبعد انفصال الوالدين كبير جدًا لدرجة أنه طوال فترة وجودهم، والتي قد تمتد لأشهر، يكون الوالدان الحاضنان غائبين عقليًا وعاطفيًا عن تقديم الدعم اللازم لأطفالهما. وفي كثير من الأحيان تجعل مشاعر الانتقام من الزوج المطلق الوالد غير متاح ذهنيًا لأطفاله. وتعاني مهاراتهم التربوية من التدهور وغالبًا ما يكون هؤلاء الآباء والأمهات المنفردون قاسيين مع أطفالهم. إنهم يقدمون عاطفة وتقديرًا أقل لأطفالهم. لن يعترف معظم الآباء المطلقين بهذا إذا طُلب منهم ذلك، وقد يدعي الكثيرون، في الواقع، أنهم الآن يعتنون بأطفالهم بشكل أفضل بعد التخلص من الوالد الآخر. ومع ذلك، فإن الحقيقة القاسية هي أن الطلاق يشبه الثقب الأسود الذي يستنزف جميع طاقات الوالدين المنفصلين.

ثَامِنًا: طلاق الوالدين وضعف الأداء الأكاديمي لأطفالهم

يحصل معظم أطفال الآباء المطلقين على درجات منخفضة وأداء ضعيف في المدارس مقارنةً بالأطفال الذين يعيشون مع آباء متزوجين دائمًا. كما أن درجاتهم في الاختبارات ومعدلاتهم التراكمية أقل، ومعظمهم لا يلتحقون بالجامعة. ويعود ذلك إلى أن طلاق الوالدين يزيد من القلق والاكتئاب لدى الوالدين وأطفالهم. وفي كثير من الأحيان، يضطر الأطفال إلى تغيير مكان إقامتهم مع أحد الوالدين الحاضنين لهم بعد انفصال الوالدين. وهذا يؤثر على تعلم الطفل وإنجازه وتجربته التعليمية بشكل عام. وكما أوضح فاجان وريكتور:

"نظرًا لتأثيره على الحياة المنزلية المستقرة، فإن الطلاق يمكن أن يقلل من القدرة على التعلم – وهو مبدأ يتجلى في حقيقة أن الأطفال الذين ينفصل والديهم لديهم معدلات أقل للتخرج من المدرسة

الثانوية والجامعة، كما يكملون عددًا أقل من الدورات الجامعية."(143)

لدعم رأيهما، يحيلنا فاجان وريكتور إلى "مشروع تأثير الطلاق"، وهو دراسة استقصائية شملت 699 طالبًا في المرحلة الابتدائية في جميع أنحاء الولايات المتحدة. كشف هذا المشروع، الذي أجرته جامعة ولاية كينت في أوهايو، أن أداء الأطفال من الأسر المنفصلة كان أسوأ في التهجئة والقراءة والرياضيات، وأنهم رسبوا ثم أعادوا الصف الدراسي (السنة الدراسية) أكثر من الأطفال من الأسر التي يتزوج فيها الأبوان دائمًا.(144) وبالمثل، لاحظت آن هيل (Anne Hill) وجون أونيل (June O'Neill)، أستاذتا إدارة الأعمال والحكومة في كلية

---

[143] Fagan, Patrick F. and Rector, Robert (June 5, 2000) "The Effects of Divorce on America" The Heritage Foundation Backgrounder, Issue No. 1373, Washington, DC.

[144] Popenoe, David (1995) Life Without Father. New York, Martin Kessler Books. p. 57

باروخ بجامعة مدينة نيويورك، في بحثهما أن النشأة مع أحد الوالدين المطلقين لها تأثير سلبي كبير على امتحانات الأطفال ونتائجهم.(145)

عندما ينشأ الأطفال في منزل مع أم مطلقة، يؤدي ذلك إلى انخفاض درجاتهم في الاختبارات المعرفية بسبب غياب الأب وعدم توفره.(146) أما البنات اللواتي نشأن في غياب الآباء، فإن درجاتهن في الرياضيات في الامتحانات تكون أقل بشكل خاص، مما يساهم في ضعف تحصيلهن الدراسي.(147) على سبيل المثال، في إحدى الدراسات، قارنت إليزابيث بينج (Elizabeth Bing) من قسم الطب النفسي في المركز الطبي بجامعة ستانفورد القدرات اللفظية للفتيات من أسر مطلقة وتلك التي تنتمي إلى أسر سليمة ذات أبوين. ووجدت أن القدرات اللفظية للفتاة تزداد عندما يكون والدها موجودًا (أسرة سليمة ذات

---

145 Hill, M. Anne and O'Neill, June, (1994) "Family Endowments and the Achievement of Young Children with Special Reference to the Underclass" *Journal of Human Resources*, Vol. 29, pp. 1064-1100.
146 Powell, Mary Ann and Parcel, Toby L. (1997) "Effects of Family Structure on the Earnings Attainment Process: Differences by Gender" *Journal of Marriage and the Family*. Vol. 59, p. 419.
147 David Popenoe, *Life Without Father*, (New York, NY: The Free Press, 1996), p. , 148. Reporting on the findings of Goldstein (1982).

أبوين)، وخاصة عندما يقرأ لها بصوت عالٍ في صغرها.[148] تتسع فجوة الاختلافات الأكاديمية بين أطفال الأسر التي لا تتزوج أبدًا وأطفال الأسر المطلقة مع تقدم العمر. بحلول الوقت الذي يبلغ فيه الأطفال سن 13 عامًا، لاحظ علماء النفس فرقًا متوسطًا قدره نصف عام في قدرات القراءة بين أطفال الآباء المطلقين وأولئك الذين لديهم أسر سليمة ذات زواج دائمًا.[149]

تَاسِعًا: طلاق الوالدين وانخفاض معدلات تخرج أبنائهم

عندما يسعى الآباء إلى الطلاق، يكون لذلك تأثيرٌ قاسٍ على أقصى مستوى تعليمي يمكن لأطفالهم الحصول عليه. والسبب، كما أشار إليه عالما الاجتماع الأمريكيان سارة ماكلانهان (Sara McLanahan) وغاري ساندفور

[148] Bing, Elizabeth (1963) “The effect of child-rearing practices on the development of differential cognitive abilities” *Child Development*, Vol. 34, pp. 631-648.
[149] Stevenson, Jim and Fredman, Glenda (1990) "The Social Correlates of Reading Ability" *Journal of Child Psychology and Psychiatry*, Vol. 31, Issue 5, pp. 681-698.

(Gary Sandefur)، هو أن معدلات التسرب من المدرسة الثانوية أعلى بكثير بين أطفال الآباء المطلقين منها بين أطفال الآباء المتزوجين دائمًا.[150] علاوةً على ذلك، حتى في الحالات التي يتزوج فيها الوالد الحاضن للطفل مرةً أخرى بعد الطلاق، فإن الخسائر التعليمية التي يتكبدها الطفل نتيجة انفصال والديه البيولوجيين لا يمكن تعويضها بقدوم زوج/ زوجة جديد/ ة. في الواقع، تشير البيانات إلى أن المدارس تطرد ما يصل إلى 25٪، أو واحدًا من كل أربعة أبناء زوج/ زوجة جديد/ ة، بسبب ضعف الأداء أو السلوك المشاغب.[151]

نظرًا لأن الأطفال من الأسر المطلقة يكملون سنوات تعليم إجمالية أقل مقارنة بالأطفال من الأسر السليمة، فإن أطفال الوالدين المطلقين يحصلون على دخل أقل عندما يجدون وظائف كبالغين.[152] أظهرت الدراسات أيضًا أن

150 Sara McLanahan and Gary D. Sandefur, *Growing Up With a Single Parent: What Hurts, What Helps* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1994), p. 67.
151 Deborah A. Dawson, "Family Structure and Children's Health and Well Being: Data from the 1988 National Survey of Child Health," *Journal of Marriage and the Family*, Vol. 53 (1991), pp. 573-584.
152 Powell, Mary Ann and Parcel, Toby L. (1997) "Effects of Family Structure on the Earnings Attainment Process: Differences by Gender" *Journal of Marriage and the Family*. Vol. 59, p. 425.

طلاق الوالدين يقلل من فرص الطفل في الحصول على تعليم جامعي. نظر هيليفي أرو، الحاصل على درجة الدكتوراه في الطب، وأولا بالوساري، الحاصلة على درجة الدكتوراه في الطب، وهما طبيبان من المعهد الوطني للصحة العامة في فنلندا، في مسارات حياة الأطفال في مدينة فنلندية من سن 16 حتى بلوغهم سن 22. في دراستهما المنشورة في المجلة الأمريكية للطب النفسي، كشف الطبيبان الدكتور هيليفي أرو (Hillevi Aro) والدكتور أولا بالوساري (Ulla Palosaari) أن معدل الالتحاق بالجامعة لأطفال الوالدين المطلقين كان حوالي 60 في المائة عند مقارنته بأطفال الوالدين السليمين، العائلات التي تتزوج دائمًا.[153]

دعمت نتائج الدكتور أرو دراسة نُشرت في مجلة الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال والمراهقين. في تلك الدراسة، لاحظت جوديث والرشتاين (Judith Wallerstein)، أخصائية علم النفس السريري من سان فرانسيسكو، أنه من بين

[153] Aro, Hillevi M. and Palosaari, Ulla K. (July 1992) "Parental Divorce, Adolescence, and Transition to Young Adulthood: A Follow-Up Study," *American Journal of Orthopsychiatry*. Vol. 62, No. 3, pp. 421-429.

طلاب الجامعات الذين التحقوا بالمدارس الثانوية نفسها في منطقة راقية (مقاطعة مارين بالقرب من سان فرانسيسكو)، التحق 85٪ من طلاب العائلات السليمة بالجامعات، بينما لم يتمكن سوى ثلثي أطفال العائلات المطلقة من الالتحاق بالجامعات.[154] وفي تعليقهما على نتائج والرشتاين، ضرب عالما الأسرة فاجان وريكتور مثالاً بالعائلات الأمريكية الآسيوية (أي المسلمين من الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا، بالإضافة إلى الصينيين وغيرهم من الشرقيين) الذين لديهم أدنى معدل طلاق في الولايات المتحدة.

وكتب فاجان وريكتور:

> **"إن المعدلات المرتفعة المعروفة للالتحاق بالجامعات بين الأطفال الأمريكيين من أصل آسيوي توضح هذه النقطة. ويبدو أيضًا أن الأمريكيين من أصل آسيوي يتمتعون بأعلى مستويات الحياة الأسرية**

154 Wallerstein, Judith (1991) "The Long Term Effects of Divorce on Children: A Review" *Journal of the American Academy of Child Adolescent Psychiatry*, Vol. 30, pp. 349-360.

السليمة (مع أدنى معدلات الطلاق) بين جميع المجموعات العرقية الأمريكية."(155)

تُثبت جميع هذه الإحصائيات، بما لا يدع مجالاً للشك، أن أطفال الوالدين المُطلَّقين يُعانون جسدياً ونفسياً وعاطفياً. يواجه هؤلاء الأطفال الحرمان والإدمان والفشل في حياتهم. وكما قال باتريك فاجان (Patrick Fagan) في شهادته أمام مجلس الشيوخ الأمريكي:

"إن أطفال الآباء الذين يرفضون بعضهم البعض يعانون من الألم العاطفي العميق، وسوء الصحة، والاكتئاب، والقلق، وحتى تقصير متوسط العمر؛ ويتزايد عدد المتسربين من المدارس، ويقل عدد الذين يذهبون إلى الكلية، ويكسبون دخلاً أقل، ويزداد إدمانهم على المخدرات والكحول، وينخرطون في عنف متزايد أو يعانون منه داخل منازلهم."(156)

155 Fagan, Patrick F. and Rector, Robert (June 5, 2000) “The Effects of Divorce on America” The Heritage Foundation Backgrounder, Issue No. 1373, Washington, DC.

156 Fagan, Patrick F. (May 13, 2004) “The Impact of Marriage and Divorce on Children” (The Social Scientific Data on the Impact of Marriage and Divorce on Children before the Senate of the United States: Committee on Commerce,

الفصل الخامس

هل يعتبر الطلاق ثلاث مرات في مجلس واحد طلاقا واحدا؟

يصنف الفقه الإسلامي الطلاق إلى أنواع رئيسية بناء على آثاره القانونية المترتبة عليه، كما هو موضح في الشكل التوضيحي أدناه، وذلك على النحو الآتي:

1) **الطلاق الرجعي**: هو الطلاق الذي يقع، وللزوج حق إرجاع زوجته إلى عصمته خلال فترة العِدَّة، دون الحاجة إلى عقد جديد أو مهر جديد أو حتى إذنها. وتكون الرجعة بالقول (مثل أن يقول: "راجعت زوجتي") أو

Science, and Transportation) The Heritage Foundation Backgrounder, Issue No. 1373, Washington, DC.

بالفعل (كالاجتماع بها)، وهذا مذكور في الكتاب والسنة. ويختلف الفقهاء في بعض تفصيلات صيغ الرجعة، ولكنهم متفقون على أن مجرد قوله: "راجعت زوجتي" يكفي لإحباط أثر الطلاق وإعادتها إلى عصمته، دون أي شرط آخر.

2) **الطلاق البائن** :هو الطلاق الذي ينهي عقد الزواج فوراً. لا يكون للزوج حق الرجعة فيه، وإذا رغب في العودة إلى زوجته بعد ذلك فيحتاج إلى عقد ومهر جديدين وموافقتها. وينقسم إلى قسمين:

- **البينونة الصغرى** :وهي الطلاق البائن الذي لا يحرم الزوجة على زوجها بشكل أبدي. يدخل تحت هذا النوع: الطلاق قبل الدخول، والخلع (أي مفارقة الزوجة مقابل تنازلها عن حقوقها المالية أو جزء منها)، والطلاق على مال (الطلاق مقابل عوض مالي).
- **البينونة الكبرى** :وهو الطلاق البائن الناتج عن الطلقة الثالثة. بعد هذه الطلقة تحرم الزوجة على زوجها تحريماً مؤقتاً؛ فلا يحل له أن يعيدها إلى عصمته حتى تنقضي عدتها من الطلاق الثالث **ثم** تتزوج

زوجًا آخر زواجًا صحيحًا ويُدخل بها، ثم يطلقها أو يتوفى عنها وتنقضي عدتها من ذلك الزواج.[157]

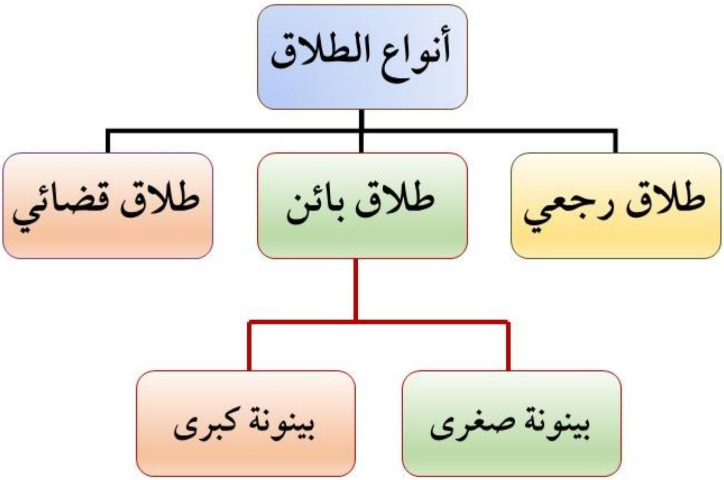
ويتعلق الحكم الشرعي للطلاق بشكل كبير بالصيغة اللفظية التي يصدر بها. يمكن تصنيف الطلاق من حيث صيغة اللفظ المستخدم إلى نوعين رئيسيين هما:

الطلاق الصريح :هو الطلاق الذي يقع باستخدام اللفظ الصريح الذي لا يحتمل إلا معنى الطلاق، مثل كلمة "أَنْتِ طَالِقٌ". يقع الطلاق بهذه الصيغة بمجرد النطق بها سواء قصد الزوج الطلاق أم لم يقصد.

---

157 تحدثنا أعلاه عن الطلاق الصادر من الزوج، ولكن هناك أنواع أخرى من الطلاق ينفذها القاضي، يُعرف أحدها بالطلاق القضائي (أو التفريق القضائي). وهو التفريق الذي يحكم به القاضي بناء على طلب من أحد الزوجين لوجود سبب شرعي يهدد استمرار الحياة الزوجية، مثل الضرر (الإيذاء)، أو الغياب الطويل، أو عدم الإنفاق، أو وجود عيبٍ في أحد الزوجين. هذا النوع من التفريق يقع بائنـًا.

الطلاق الكنائي :هو الطلاق الذي يقع باستخدام لفظٍ أو عبارة تحتمل معنى الطلاق وغيره من المعاني، مثل أن يقول لها "الحقي بأهلك" أو "أنتِ حُرَّةٌ". لا يقع الطلاق بهذه الصيغة إلا إذا نوى الزوج الطلاق، أو إذا صدرت في سياق النزاع والخصومة.



تقسم الطلاق من ناحية تصنيف حكمي إلى نوعين رئيسيين:

1) **الطلاق السُني** – وهو الطلاق الذي يقع على الطريقة التي شرعها النبي ﷺ ووردت بها السنة. ويتميز بأنه يقع في طهر لم يجامعها فيه، وبأن يكون بلفظ

الطلاق مرة واحدة فقط، مما يترك مجالًا للرجعة خلال فترة العدة ويحافظ على رباط الأسرة من التمزق الفوري.

2) **الطلاق البِدعي** – وهو الطلاق المخالف للسنة النبوية في صفته أو وقته. ويأخذ أشكالاً عدة، أبرزها: أن يطلق الرجل زوجته ثلاث مرات في كلمة واحدة أو في مجلس واحد، أو أن يطلقها وهي حائض أو في طهر قد جامعها فيه. وهذا النوع محرم بإجماع العلماء لكونه معصية لله ورسوله، وإن اختلفوا في وقوعه.

يتمحور الخلاف الفقهي حول حكم الطلاق الثلاث في مجلس واحد، وهو أن يطلق الزوج زوجته ثلاث مرات في جلسة واحدة، إما بعبارة واحدة مثل "أنتِ طالق بالثلاثة" أو بتكرار اللفظ ثلاث مرات متتالية. ويتفق الفقهاء على حرمة هذا الفعل واعتباره بدعة مخالفة للسنة. أما الخلاف الأبرز فيكمن في الأثر المترتب عليه:

- ❖ فيرى جمهور فقهاء المذاهب الأربعة أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثـًا إذا نطق به الزوج، مما يؤدي إلى وقوع الطلاق البائن بينونة كبرى.
- ❖ بينما يذهب متأخرو الحنابلة (وهو قول منسوب للإمام أحمد في إحدى الروايات) مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، إلى أن التلفظ بالثلاث في مجلس واحد يُعد طلقة واحدة (رجعية) فقط، ما دامت لم تسبقها طلقتان أخريان، حفاظـًا على رباط الزواج.

هذه المناقشة مهمة هنا لأننا نعيش الآن في عصر الدجل. نعيش في عصر يتعرض فيه نظام الأسرة المسلمة لهجوم مباشر من نظام الدجل. انتشرت مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت كالوباء بين المسلمين. ولذلك، يستخدم المسلمون رجالاً ونساءً وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، ويستغلونها استغلالاً سيئـًا، وفي النهاية، يُفرّقون أسرهم. في عصر التكنولوجيا هذا، ليس من النادر أن نسمع عن رجال مسلمين متزوجين (مع زوجة وأطفال) في نوبة غضب أو سكر أو تحت تأثير علاقة غرامية عبر الإنترنت، يُطلقون ثلاث طلقات. قد يقول بعض الرجال لزوجاتهم "أنتِ

طالق، أنتِ طالق، أنتِ طالق"، بينما قد يستخدم آخرون الرسائل النصية القصيرة أو حتى صفحاتهم على فيسبوك لنشر طلاقهم الثلاث لزوجاتهم. وقد يُغرّد آخرون بطلاقهم الثلاث من خلال حساباتهم على تويتر. في معظم هذه الحالات، تعاني النساء والأطفال في الدول الإسلامية الفقيرة من عواقب هذا التفكك الأسري.

وإن الجانب المحزن في القصة أن العديد من هؤلاء الأزواج "العاطفيين" يدركون خطأهم بعد إصدار الطلاق الثلاثي. وعندما يلجأون إلى العلماء أو مفتيين المحليين سائلين إن كان هناك مخرج، يُخبرون – في هذا الزمن المليء بالفتن والابتلاءات – أن الطلاق الثلاثي في جلسة واحدة يعتبر ثلاث طلقات. وبالتالي، لا يوجد حل إلا أن تتزوج الزوجة السابقة من رجل آخر (زواجًا صحيحًا) فيجامعها ثم يطلقها، وعندها فقط يمكنها العودة إلى زوجها الأول. هذه الممارسة تُعرف شرعًا بـ "التحليل"، وهي من الأمور المحرمة في الإسلام.

ملخص خطوة بخطوة لعملية الطلاق وفقًا للتعاليم الإسلامية

الإسلام دين الرحمة للبشرية جمعاء. لذلك يشجع الإسلام على الزواج ويحث على الحفاظ عليه، بينما ينهى عن الطلاق إلا عند الضرورة القصوى. صحيح أن الإسلام أباح الطلاق، لكنه جعله بمثابة 'مخرج طوارئ' لا يُلجأ إليه إلا في حالات الزواج ذات الخلافات المستعصية، بعد استنفاد كل محاولات الإصلاح بين الزوجين. وفي هذا الصدد، جاء في الحديث النبوي - كما سبق ذكره: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق». (الحاكم)[158]

ويجب أن نشير هنا إلى أن الإسلام أعطى حق الطلاق بالدرجة الأولى للرجال لأن الرجال هم رأس الأسرة وهم المسؤولون شرعا عن رعاية الاحتياجات المالية للزوجة كما يؤكد القرآن الكريم:

---

[158] أخرجه الحاكم (2/ 196) وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وانظر: أبي داود (2178)، وابن ماجه (2018).

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ﴾ (سورة النساء: 34)

على أي حال، من أجل الحفاظ على التوازن في المجتمع، منح الإسلام المرأة حق الخلع في حالات الزواج الذي يشوبه صراع شديد أو في حال تعرضها للظلم من قِبَل زوجها، وعند امتناع الزوج عن تطليقها مع وجود ضررٍ بيّن أو استحالة استمرار العشرة بالمعروف، يمكن للمرأة أن تلجأ إلى المحكمة الشرعية، وتقدم سببًا مشروعًا، وتطلب من المحكمة الإسلامية فسخ زواجها إذا أصبح من المستحيل عليها الاستمرار في العيش مع زوجها.

سنركز هنا على قضية حق الزوج المسلم في الطلاق وجميع أشكال الظلم التي تنشأ عندما يسيء الرجال استخدام هذا الحق ويظلمون نساءهم. إذا نشب خلاف زوجي بين الزوج والزوجة، فإن القرآن ينصح كلاهما ببذل كل الجهود اللازمة للحفاظ على الزواج. يشمل ذلك مناقشة المشكلة بينهما لحل النزاع، كما يُطلب منهما حتى أن يفترقا في المضاجع، على أمل أن تساعد هذه المسافة الجسدية في تهدئة نفسيهما والتخفيف من غضبهما.

وإذا استمر النزاع دون حل، فإن القرآن ينصح الزوج والزوجة بعقد اجتماع بحضور حَكَمَين، أحدهما من جانب الزوجة والآخر من جانب الزوج. قال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴿٣٥﴾﴾

(سورة النساء:35)

على أيّ حال، إذا كان الزوج لا يزال يرغب في طلاق زوجته، أو إذا رأى الزوجان أن الطلاق هو الحل الوحيد، فيجب على الزوج أن ينطق بطلقة واحدة طالما أن الزوجة ليست في فترة الحيض. بعد النطق بالطلقة الأولى، تبدأ فترة العدة.

خلال فترة العدة، يكون أمام الزوج خياران: إما أن ينطق بالطلقة الثانية أو أن يستأنف الحياة الزوجية دون الحاجة إلى عقد زواج جديد. تستمر فترة العدة لمدة ثلاثة قروء (أي ثلاث دورات شهرية للمرأة غير الحامل)، بينما تستمر حتى انتهاء الحمل بالنسبة للمرأة الحامل.

إذا لم يراجع الزوج العلاقة الزوجية مع زوجته خلال فترة العدة، فإن القرآن يمنح الزوجين فرصة إما للصلح والعودة للحياة الزوجية، أو أن يقوم الزوج بنطق الطلقة الثالثة، والتي تكون نهائية وغير قابلة للرجوع، مما يؤدي إلى فسخ الزواج نهائيًا، ولا يحق له الزواج بها مرة أخرى إلا بعد أن تتزوج زوجًا آخر زواجًا شرعيًا وتفارقه. وقد ورد هذا التوجيه في القرآن الكريم، كما هو مذكور في سورة الطلاق وسورة البقرة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ﴾ (سورة الطلاق: 1)

وقال تعالى :

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٨﴾

(سورة البقرة: 228)

وأيضًا، يخبرنا القرآن أنه بعد انتهاء فترة الطلاق الثانية، يمكن للزوج أن يمسك زوجته بمعروف أو أن يطلقها طلاقًا نهائيًا. قال تعالى:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ﴾ (سورة البقرة: 229)

ووفقًا للقرآن، يُستحب حضور شاهدين عند إجراء عملية الطلاق.[159] قال تعالى:

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ (سورة الطلاق: 2)

من الواضح من جميع الآيات المذكورة أعلاه من القرآن أن الطلاق في التعاليم الإسلامية ليس أمرًا سهلًا. لا يسمح الإسلام لمعتنقيه بتفكيك الأسر في لحظة

[159] وقد ذهب جمهور فقهاء المذاهب (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) إلى أن الإشهاد على الطلاق سُنَّةٌ مُستحَبَّةٌ وليس شرطًا لصحة الطلاق، خلافًا للمذهب الظاهري الذي يرى وجوبه.

غضب أو بنطق ثلاث كلمات (طالق، طالق، طالق). بل يفرض الإسلام على الزوج والزوجة المرور بعملية تدريجية خطوة بخطوة.

ويمنح الإسلام كلاً من الزوج والزوجة فرصة لاتخاذ قرار بشأن مستقبل أسرتهما، وهذا يتيح لهما التفكير بهدوء في مستقبلهما، ولا يجعل الإسلام الطلاق مجرد خيار سهل، بل يجعله الملاذ الأخير، كما يُقَسّم عملية الطلاق إلى مراحل مختلفة لمنح فرصة أخيرة لأي شخص يرغب في التراجع وإنقاذ أسرته وأطفاله والأجيال القادمة.

الأدلة من القرآن بشأن اعتبار تلفظ الطلاق ثلاث مرات بمثابة طلقة واحدة

قال الله تعالى في القرآن:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: 229)

هذه الآية من القرآن دليل على أن التلفظ بالطلاق ثلاث مرات يعادل طلقة واحدة، لأن المعاني الظاهرة لهذه الآية تخبرنا أن الطلاق يجب أن يُنطق بشكل متتابع. الكلمة العربية "مرتان" تعني "مرة بعد مرة"، أي واحدة تلو الأخرى. وقد ورد في القرآن:

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة: 101)

هنا في هذه الآية، تشير كلمة "مرتين" إلى أنه سيكون هناك فاصل زمني بين العقوبتين، وإلا فستُعتبر عقوبة واحدة وليس عقوبتين. وهناك إشارة أخرى إلى ذلك في سورة الإسراء، حيث قيل لبني إسرائيل إنهم سيفسدون في الأرض مرتين، مما يعني بوضوح أنه سيكون ذلك في فترتين زمنيتين مختلفتين. قال الله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء: 4)

وبنفس الطريقة، فإن كلمة "مرتان" في سورة البقرة (229) تشير إلى وجود فاصل زمني بين إعلانين للطلاق، مما يعني أنه يجب أن يكون هناك فجوة زمنية كافية بين النطق بالطلاق مرتين. علاوة على ذلك، يجب أن يحدث الطلاق الثالث أيضًا بعد فترة زمنية، كما أشارت العديد من الأحاديث.

تحمل كلمة "مرتان" نفس المعنى حتى في حياتنا اليومية. على سبيل المثال، عندما نقول لشخص ما: "ذهبت إلى منزلك مرتين، لكنك لم تكن هناك"، لا يمكن أن يعني ذلك أننا ذهبنا مرتين في زيارة واحدة، بل يجب أن يكون ذلك بعد فترة زمنية معقولة. ذهبنا مرة ولم يكن الشخص في المنزل، ثم ذهبنا مرة أخرى ولم نجده، وبالتالي، حدثت الزيارتان في فترتين زمنيتين مختلفتين.

قال الإمام أبو بكر الجصاص (ت 370 هـ) في تفسير آية 229 من سورة البقرة:

"فإن هذه الآية توجب أن يكون الطلاقان في وقتين؛ لأنه إذا طلق اثنتين في وقت واحد لا يقال: إنه طلق مرتين، كما لا يقال: أعطى درهمين

مرتين إذا دفعهما في وقت واحد، حتى يعطي كل واحد منهما في وقت." (أحكام القرآن)[160]

وقد ذهب إلى هذا المعنى واستدل بهذه الآية عدد من أئمة أهل السنة، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، حيث رأوا أن التلفظ بالثلاث في مجلس واحد يقع طلقة واحدة فقط. قال ابن القيم:

"فإن قوله: {مَرَّتَانِ} يقتضي التعداد، والتعداد يقتضي تكرر الفعل، وتكرر الفعل يقتضي تكرر الزمان، ولو أطلقها ثلاثـًا لم يقع إلا واحدة لعدم التعداد والتكرار". (زاد المعاد)[161]

160 أبوبكر الجصاص الرازي، (توفي 370 هـ/ 980 م) (1347 هـ) أحكام القرآن، مصر، مطبعة البهية، المجلد 1، ص.

161 ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت. 751 هـ). زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. ط. 7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405 هـ/ 1985 م. المجلد 5، الصفحة 215.

ويستند هذا الرأي – القائل بعدم وقوع الطلاق الثلاث في مجلس واحد – إلى مقصد شرعي عظيم، وهو الحفاظ على كيان الأسرة من التفكك ووقاية الأطفال من آثار التمزق. فلو أُخذ بظاهر قول مَن يرى وقوع الثلاث دفعة واحدة، لأدى ذلك إلى إغلاق باب العودة والإصلاح بين الزوجين للأبد، مهما كان شعورهما بالندم، ومهما كان حبهما لبعضهما البعض. وهذا يتعارض مع روح التعاليم الإسلامية التي تهدف إلى منح الزوج الذي أعلن الطلاق في لحظة غضب فرصة ليدرك عواقب قراره، وأن الحياة قد لا تكون مفروشة بالورود بعد الانفصال، وأن الطلاق لا يجعل الناس بالضرورة أكثر سعادة.

من ناحية أخرى، عندما يتم الحكم بوقوع طلقة واحدة فقط، فإن الزوج والزوجة يحصلان على فرصة ثمينة لإعادة التفكير في قرارهما بالانفصال وإمكانية العودة إلى بعضهما البعض خلال فترة العدة. وبالمثل، في حالة إعلان الطلاق الثاني، تبقى هناك فرصة أخيرة للوئام. وبالتالي، يمكن لأفراد الأسرة

من الطرفين الاستفادة من هذه الفرص الذهبية لإنقاذ الأسرة من الانهيار، لأنه في النهاية، كما يؤكد القرآن، "وَالصُّلْحُ خَيْرٌ" (سورة النساء: 128).

الأدلة من الأحاديث النبوية

من خلال أحاديث النبي محمد ﷺ، يتضح تمامًا أنّه خلال حياة النبي محمد ﷺ، كان الناس يمارسون الطلاق

السنة (الطلاق والإحسان): النبي محمد ﷺ كان يرفض بوضوح التلفظ بالطلاق ثلاثًا في مجلس واحد أو خلال الطُهر. فيما يلي بعض الأحاديث النبوية التي تعد صحيحة أو حسنة من حيث السند والمصدر:

الحديث الأول

طلَّق رُكانةُ بنُ عبدِ يزيدٍ أخو بني المطلبِ امرأتَه ثلاثًا في مجلسٍ واحدٍ فحزِن عليها حزنًا شديدًا، فسألَه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم: كَيْفَ طَلَّقْتَهَا؟ قَالَ: طَلَّقْتُهَا ثَلَاثًا، قَالَ: فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ،

قَالَ: فَإِنَّمَا تَمْلِكُ وَاحِدَةً، فَارْجِعْهَا إِنْ شِئْتَ. فَرَاجَعَهَا (سنن أبي داود)[162]

وبالتالي، يثبت هذا الحديث بوضوح أن النبي محمد ﷺ أقرَّ الطلاق السني كما ورد في القرآن الكريم. ومن خلال الأحاديث المذكورة أعلاه، يتبين أنه على الرغم من أن رُكانة نطق بثلاث طلقات معًا، إلا أن زواجه لم يُفسخ، حيث اعتُبر الطلاق واحدًا فقط، ولذلك أمره النبي ﷺ بإرجاع زوجته.

الحديث الثاني

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانَ الطَّلَاقُ على عَهْدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَسَنَتَيْنِ مِن خِلَافَةِ عُمَرَ، طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً،

---

[162] أخرجه أبو داود (2196)، والدارقطني (4/ 26)، والبيهقي (7/ 333)، وأحمد (1612)، قَوَّى الحديثَ أئمةٌ كالشافعي في "الأم" وابن عبد البر في "الاستذكار" (6/ 97) وابن الصلاح لِقوَّة طُرُقه، وصححه العظيم آبادي في عون المعبود (6/ 138).

فَقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: إنَّ النَّاسَ قَدِ اسْتَعْجَلُوا في أَمْرٍ قدْ كَانَتْ لهمْ فيه أَنَاةٌ، فلوْ أَمْضَيْنَاهُ عليهم، فأمْضَاهُ عليهم. (صحيح مسلم، كتاب الطلاق)

الحديث الثالث

أُخْبِرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن رجلٍ طلَّقَ امرأتَهُ ثلاثَ تطليقاتٍ جميعًا، فقامَ غضبانًا، ثمَّ قالَ : أيُلعَبُ بِكِتابِ اللهِ وأنا بينَ أظهرِكُم (سنن النسائي)[163]

الحديث الرابع

رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: "فَلْتُرَاجِعْهُ." فَقَالَ الرَّجُلُ: "إِنِّي قَدْ طَلَّقْتُهَا

---

[163] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6 /142)، وصححه ابن كثير في إرشاد الفقيه (2 /194)، وابن حجر في بلوغ المرام (ص 700)، انظر :شرح معاني الآثار للطحاوي (3/ 34) لزيادة التخريج.

ثَلَاثًا." فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَدْ عَلِمْتُ." ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ (الطلاق: ١). ثُمَّ قَالَ: "فَارْجِعْهَا". (مصنف عبد الرزاق)[164]

الحديث الخامس

سَأَلَ أَبُو الْجَوْزَاءِ ابْنَ عَبَّاسٍ: أَعَلِمْتَ أَنَّ الثَّلَاثَ كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ تُرَدُّ إِلَى الْوَاحِدَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. (مستدرك الحاكم، سنن الدارقطني)[165]

---

164 أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٤٥٦) بسند ضعيف، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٤٢) بسند صحيح بلفظ: «أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللهِ...»، وصححه ابن كثير في إرشاد الفقيه (٢/ ١٩٤)، وابن حجر في بلوغ المرام (ص ٧٠٠).

165 أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٨) وصححه، والدارقطني في السنن (٤/ ٣٤)، وضعف إسناده لوجود عبد الله بن مؤمل (كما في تقريب التهذيب لابن حجر، ص ٣٨٦)، لكنه يتقوى بشواهد عند ابن أبي شيبة (٤/ ٤٧٦) والبيهقي (٧/ ٣٣٧).

الحديث السادس

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ طَلَّقَ الثَّلَاثَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَدْ عَصَى اللهَ.

(سنن أبي داوود)[166]

الأدلة من أقوال صحابة النبي ﷺ

يروي الإمام الحاكم أن رجلاً جاء إلى ابن عباس رضي الله عنه وسأله: "هل تعلم أن الطلاق الثلاث في عهد النبي ﷺ كان يُحسب طلقة واحدة؟" فأجابه ابن عباس: "نعم." (مستدرك الحاكم)[167]

---

166 أخرجه أبو داود (2196)، وعبد الرزاق في المصنف (11217)، وابن أبي شيبة (4/ 59)، والدارقطني (4/ 33)، والبيهقي (7/ 337). وقد ضعفه عدد من أئمة الحديث؛ قال الإمام أحمد: "حديث ضعيف ليس يصح عن ابن عباس"، وقال الدارقطني: "ليس بثابت عن ابن عباس"، وقال البيهقي: "إسناده منقطع؛ لأن سعيد بن المسيب لم يسمع من ابن عباس إلا حديثًا واحدًا".

167 الحاكم النيسابوري، المستدرك، 2/ 198، حيث صحح الحديث. وقال الذهبي في "التلخيص": "بل إسناده صالح، وفيه نظر". وانظر: عبد الرزاق، المصنف، 6/ 363؛ ابن أبي شيبة، المصنف، 4/ 113.

وبالإضافة إلى ابن عباس، فإن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام كانوا من الصحابة الذين قالوا إن من يطلق ثلاثًا في مجلس واحد، فإنها تُحسب طلقة واحدة، كما أشار إلى ذلك ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري "فتح الباري" (المجلد 9، الصفحة 363). وقد قال ابن تيمية ما يلي:

"والصحيح الذي عليه جمهور الصحابة كابن عباس وابن مسعود أن الطلاق الثلاث في مجلس واحد لا يقع إلا واحدة... وهذا مذهب أهل المدينة المنورة قديمـًا، وبه قال طاووس وعطاء وجابر بن زيد، وهو قول الأئمة الهادويين كزيد بن علي والقاسم، واختاره شيخنا ابن عبد السلام."[168]

---

[168] ابن تيمية، مجموع الفتاوى (33/ 9-10)، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة، ط3، 2005م

وبالمثل، فقد ألقى ابن القيم الضوء على هذه المسألة كما يلي:

"وَالصَّحِيحُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ كَانَ يُحْسَبُ وَاحِدَةً، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ تَشْدِيدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ أَصْلًا عَمِلَ بِهِ الصَّحَابَةُ كَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، ثُمَّ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ بَعْدَهُمْ. وَهَذَا الَّذِي نَقَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ قَوْلُ طَاوُسٍ وَعَطَاءٍ وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَبِهِ قَالَ الْهَادِوِيَّةُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَهُوَ أَقْوَى الْأَقْوَالِ دَلِيلًا."[169]

من أقوال علماء الإسلام

كثير من العلماء المتأخرين، ومنهم بعض تلاميذ أبي حنيفة ومالك وأحمد، كانوا يرون أن التلفظ بالطلاق ثلاثًا في مجلس واحد (في شهر طُهر واحد)

---

169 ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد (5/ 195)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 2013م.

محرم، ولا يقع إلا طلاق واحد. بل إن بعض فقهاء الحنفية، مثل حجاج بن أرطاة ومحمد بن مقاتل، يرون أنه إذا طلق الرجل زوجته ثلاثًا، فلا يقع الطلاق أصلًا. [170]

فتاوى العلماء حول الطلاق الثلاث في مجلس واحد باعتباره طلقة واحدة:

1 - إبراهيم النخعي

إبراهيم النخعي (ت 96هـ) كان تابعيًا جليلًا وإمامًا في الفقه. وقد نقل العيني الحنفي (ت 855هـ) في عمدة القاري قوله:

[170] انظر: ابن أبي شيبة في المصنف (4/ 112)، والسرخسي في المبسوط (6/ 53)، وابن عابدين في رد المحتار (3/ 267).

"ذهب طاووس ومسلم بن يسار وإبراهيم النخعي وابن مقاتل وأهل الظاهر إلى أن الطلاق الثلاث إذا جمع في كلمة واحدة لم يقع إلا واحدة." (عمدة القاري)[171]

2 – عطاء بن أبي رباح

عطاء بن أبي رباح (توفي عام 114 هـ) كان تابعيًا مشهورًا في مكة، ومفسرًا للقرآن، وفقيهًا إسلاميًا، وأحد أبرز تلاميذ عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر.

وقد أفتى في مسألة الطلاق الثلاث قائلًا:

"عن عطاء في قوله تعالى {الطلاق مرتان}: كان يرى أن من جمع الثلاث فقد عصى ربه، ولا يقع إلا واحدة." (المحلى، التفسير الطبري) [172]

---

171 العيني، عمدة القاري (20/ 223)، دار الكتب العلمية. وانظر للمقارنة: ابن حزم في المحلى (10/ 243)، وابن قدامة في المغني (8/ 352).

172 ابن حزم، المحلى (10/ 243)، والطبري، التفسير (3/ 123).

3 – طاوس بن كيسان

كان ابن شهاب الزهري (ت 124هـ) يرى في أول أمره أن الطلاق الثلاث في مجلس واحد يقع ثلاثًا، ويظن أن هذا قول ابن عباس. فلما أخبره طاوس بن كيسان (ت 106هـ/ 724م) – وهو من خواص تلاميذ ابن عباس – قال له طاوس:

"أنا أشهد بالله أن ابن عباس كان لا يرى الثلاث في مجلس واحد إلا طلقة واحدة." (مصنف عبد الرزاق)[173]

---

173 أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (7/ 333، ح 11077)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (4/ 56، ح 12). وصححه الشافعي بالاحتجاج به في "الأم" (5/ 202)، وقال ابن عبد البر في "الاستذكار" (6/ 97): "إسناد لا مغمز فيه"، ونقله ابن حجر في "فتح الباري" (9/ 372) مقررًا له.

4 - ابن الرشد الحفيد

إضافة إلى موقف عدد من الصحابة، فقد تبنى علماء كبار قبل ابن تيمية – منهم ابن رشد الحفيد (ت 595هـ) – أن الطلاق الثلاث في جلسة واحدة يُعتبر طلقة واحدة. وفي كتابه الفقهي الشهير بداية المجتهد، يوضح ابن رشد:

"أجمعوا أن الطلاق المفرق في طُهرين يقع، لقوله تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ} [البقرة: 229]. وأما المختلف فيه فهو الجمع في كلمة واحدة، فإن الأكثرين على وقوع الثلاث، وذهب الظاهرية وجماعة إلى أنه لا يقع إلا واحدة." (بداية المجتهد) [174]

[174] ابن رشد، بداية المجتهد (2/ 61-63)، دار الحديث. قارن مع: ابن حزم في المحلى (10/ 243) للخلاف الظاهري.

5 – فخر الدين الرازي

وفي تفسيره لآية الطلاق (البقرة: 229)، ذكر الإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ):

"ذهب جماعة من الأئمة إلى أن الطلاق الثلاث إذا جمع في كلمة واحدة لم يقع إلا واحدة، وهذا هو الأقوى دليلاً؛ لأن المحرم الضار لا يصح إيقاعه، والقول بوقوع الثلاث يؤدي إلى مفاسد لا يقرها الشرع." (تفسير الكبير)[175]

تنبيه هام: **سبق فخر الدين الرازي (ت 606هـ) ابن تيمية (ت 728هـ) بنحو قرن من الزمان في القول بأن الطلاق الثلاث في جلسة واحدة يُحسب طلقة واحدة. وبذلك يتضح أن ابن تيمية لم يكن أول من ذهب إلى هذا المذهب.**

---

175 الرازي، التفسير الكبير (6/ 96)، دار الكتب العلمية. وللتفصيل في أدلته، انظر نفس المصدر (6/ 94-97).

6 – شيخ الإسلام ابن تيمية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) في مناقشة الخلاف حول الطلاق الثلاث:

"القول الثالث: أن الجمع بين الطلقات الثلاث في كلمة واحدة حرام، ولا يقع به إلا طلقة واحدة. وهذا مذهب جماعة من السلف: زيد بن ثابت، وعبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

وهو قول طائفة من التابعين: طاوس، وعطاء، وخلاس بن عمرو، ومحمد بن إسحاق. وبه قال داود الظاهري وجماعة من أصحابه، ونُقل عن أبي جعفر الباقر وابنه جعفر الصادق.... وهو قول طائفة من أصحاب أبي حنيفة ومالك وأحمد." (مجموع الفتاوى)[176]

---

[176] ابن تيمية، مجموع الفتاوى (33/ 9–10)، دار الوفاء. وانظر تخريج الأسانيد في: ابن القيم، زاد المعاد (5/ 195).

7 – القاضي محمد الشوكاني

يزعم بعض العلماء أن عمر بن الخطاب ﵁ بعد أن فرض اعتبار الطلاق الثلاث في جلسة واحدة طلاقًا بائنًا، صار ذلك إجماعًا من الصحابة. لكن الإمام الشوكاني (ت 1250هـ/ 1834م) يُفنّد هذا الادعاء في نيل الأوطار بقوله:

"فإن قيل: هذا منسوخ، فالجواب: إن كان النسخ بكتاب أو سنة فليُبيَّن، وإن كان بإجماع فأين هو؟!

وعجبًا كيف يبقى الناس في عهد أبي بكر وصدرٍ من خلافة عمر على حكم منسوخ! وحاشا عمر أن ينسخ سنةً ثابتة برأيه، وحاشا الصحابة أن يقرّوه على ذلك. ونستغفر الله أن نظن بالصحابة أنهم ينسخون السنن." (نيل الأوطار)[177]

---

[177] الشوكاني، نيل الأوطار (6/ 255-256)، دار الحديث. وانظر للسياق التاريخي: ابن القيم في زاد المعاد (5/ 195).

8 – الشيخ عبد العزيز ابن باز

سُئل الشيخ عبد العزيز بن باز (ت 1420هـ) – مفتي المملكة العربية السعودية سابقًا – عن حكم الطلاق الثلاث في مجلس واحد، فأجاب:

"القول بأن الطلاق الثلاث في جلسة واحدة يقع واحدةً هو قول ابن عباس رضي الله عنه، وهو مذهب صحيح عنه. وفي رواية أخرى عنه أنه رأي جماعة من الصحابة كعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين.

وهو قول طائفة من التابعين كطاوس وعطاء، ومحمد بن إسحاق صاحب السيرة، وجماعة من السلف. وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهو الذي أميل إليه لأنه الموافق للأدلة، والأرفق بالناس."[178]

---

[178] ابن باز، فتاوى الطلاق (ص 147)، دار الوطن. وانظر للسياق الفقهي: مجموع فتاوى ابن باز (22/ 185-190).

السبب وراء تطبيق الخليفة الثاني للعقوبة

سبق أن ذكر محمود بن لبيد أن النبي ﷺ أُخبِرَ عن رجلٍ طلّق زوجته ثلاثـًا دفعة واحدة، فغضب ﷺ غضبـًا شديداً، وقام فقال: "أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللهِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟" (سنن النسائي). وبالمثل، كره عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطلاق الثلاث المجموع في جلسة واحدة، حتى إنه كان يضرب من يفعله بالعصا، كما ذكر ابن حجر في فتح الباري:

كَانَ عُمَرُ إِذَا أُتِيَ بِرَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا أَوْجَعَ ظَهْرَهُ ضَرْبًا (فتح الباري)[179]

ومن ثم، في خلافته، جعل عمر رضي الله عنه الطلاق الثلاث في جلسة واحدة طلاقا ثلاثا ملزما. وفرض عمر هذه العقوبة زجرا للناس، ليترووا في عواقب الطلاق الثلاث قبل الإقدام عليه، فيكفوا عن الاستهانة بهذا الأمر. وبهذا يتريث الناس

[179] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي .(2010) فتح الباري .لاهور: المكتبة السلفية، 9/ 362. كما ورد أيضـًا في "سنن سعيد بن منصور"، كتاب الطلاق، حديث رقم 1073.

قبل أن يجمعوا بين ثلاث طلقات دفعة واحدة. وكان قصد عمر ﵁ من هذه العقوبة أن تكون رادعة تحمل الناس على اتباع الطريقة الشرعية للطلاق (التدريجية) كما أمر القرآن. وفي الصحيح عن ابن عباس ﵄:

"كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَسَنَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ، طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّاسَ قَدِ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ! فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ." (صحيح مسلم)[180]

لذلك، أعلنَ الخليفة عمر ﵁ أن الطلاق ثلاث مرات في جلسة واحدة يُعتبر نهائيًا ومُلزِمًا. وقد كان هذا الحكم من عمر ﵁ تطبيقًا لمبدأ "السياسة الشرعية"، وهي ما يراه الإمام من التدابير والإجراءات التي تحقق مصلحة الناس وتدفع مفسدة عنهم، وهي غير مخالفة للنص الشرعي بل مندرجة تحت

---

[180] صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب: من طلق ثلاثًا، حديث رقم 1472

أهدافه العامة.[181] فلمّا كثر تلاعب الناس في عهده بهذه القضية وأصبحوا يطلقون الثلاثة دفعة واحدة باستخفاف، رأى رضي الله عنه أن إمضاءها عليهم عقوبةً وزجراً لهم عن الاستهتار بهذا الأمر الجلل، وصونـاً للأسر من التفكك السريع.

إلا أن هذا الحكم لعمر ﵁ كان تدبيراً زمنيـاً مرتبطـاً بعلته (وهي كثرة الاستهتار في عصره)، وليس تشريعـاً جديداً ملزمـاً للأمة إلى قيام الساعة. ولا شكّ أنّ عمر ﵁ لم يكن ينوي إطلاقـاً تغيير الشريعة الإسلامية للأبد. لعلمه التام بأنّ دين الإسلام كامل، كما يشهد القرآن الكريم في سورة المائدة (الآية 3). ويعزز ذلك أن عمر ﵁، في نهاية حياته، عبّر عن ندمه على تطبيق هذه العقوبة على الناس، كما يُبيّنه الجدول (3) الذي يوضح التطور التاريخي لموقف الشريعة من الطلاق الثلاث في جلسة واحدة.

---

[181] **السياسة الشرعية:** هي تدبير الإمام للأمة بما يحقق مصلحة ويدفع عنها المفسدة، في إطار المقاصد العامة للشريعة، حتى لو لم يرد فيه نص تفصيلي خاص. وهي نوع من الاجتهاد التنفيذي الذي يتغير بتغير الزمان والمكان والحال.

الجدول 3: موقف الشريعة من الطلاق الثلاث في جلسة واحدة

العهد النبوي المدني (1-11هـ)	خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (11-13هـ)	خلافة عمر فاروق - السنتان الأوليان من خلافته (13-14هـ)	خلافة عمر فاروق - السبع سنوات الوسطى من خلافته (14-21هـ)	خلافة عمر فاروق -سنة خلافته الأخيرة (23هـ)
كان الطلاق الثلاث المجموع يعتبر طلقة رجعية واحدة	استمرار العمل بالحكم النبوي	بقاء الحكم النبوي (الثلاث كواحدة رجعية)	تطبيق العقوبة (الجلد) على من يطلق ثلاثاً دفعة واحدة	اعتبار الطلاق الثلاث في جلسة واحدة طلاقاً بائناً
ثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس	كما ثبت عن ابن عباس في الصحيحين	كما في عهد النبي ﷺ و أبي بكر	قال عمر: "إن الناس استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة" (رواه مسلم)	ندم عمر رضي الله عنه على إمضاء الطلاق الثلاث

ندم الخليفة عمر رضي الله عنه على تطبيق عقوبة الطلاق الثلاث

وفقـًا للرواية السابقة، غيّر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة الثالثة من خلافته حكمَ الطلاق الثلاث في جلسة واحدة، فجعله ثلاث طلقات بائنات بعد أن كان يُعتبر طلقة واحدة رجعية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه.

وقد انتشر عند البعض استغلال هذا الحكم، فأسرفوا في الجمع بين الثلاث لتفريق زوجاتهم. ففرض عمر العقوبة ردعـًا لهم. ثم ندم على ذلك، لكن الحكم الجديد قد شاع بين المسلمين. مما يُنقل -ضعيفًا- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله:

"قال عمر: ما ندمت على شيء كندمي على ثلاث: أني لم أحرّم الطلاق، وأن نكحت الموالي، وأني لم أقتل النوائح"(إغاثة اللهفان)[182]

وبما أن حكمَ الطلاق الثلاث في جلسة واحدة (باعتباره طلقة واحدة) قد ثبُت بالقرآن والسنة، لم يكن عمر ﵁ لِيُبطله، بل قصدَ تأديبَ المُسيئين. فلما رأى استخفاف الناس، جعله ثلاثـًا كعقوبة زجرية مؤقتة. لكنه ندم أخيراً لِما أدى إليه هذا التغيير من تشديد دائم.

---

[182] وقد ذكر الإمام ابن القيم هذا الأثر في "إغاثة اللهفان" (1/ 351) ثم بيّن أنه "لا يصح عن عمر رضي الله عنه بإجماع أهل العلم بالحديث". وينظر: "الموضوعات" لابن الجوزي (3/ 34)،

أدلة شيخ الإسلام ابن تيمية في إثبات أن الطلاق الثلاث في جلسة واحدة يعتبر طلقة واحدة

كخليفةٍ وإداري، عُرف عن عمر بن الخطاب ﵁ اعتماده على الاجتهاد لمعالجة القضايا الاجتماعية والدينية في المجتمع العربي آنذاك. ومن أبرز اجتهاداته خلال خلافته:

1 - **إيقاف حد السرقة** عام المجاعة خشية لعدم توفر شروط إقامة الحد.

2 - **منع بيع أمهات الأولاد** (الإماء اللواتي ولدن لأسيادهن)

3 - **حظر زواج بعض الصحابة** كحذيفة بن اليمان **من الكتابيات**

4 - **إحراق دار سكير** ردعـًا له [183]

---

183 "الاستذكار" لابن عبد البر (ج7، ص150) لقصة إحراق بيت السكير.

5 – المنع من التمتع في الحج[184]

وقد نفّذ عمر ﷺ هذه الإجراءات باسم الاستحسان (التفضيل الاجتهادي)، ولم يكن مقصوده بذلك تغيير الشريعة أبدًا، بل تنفيذًا لمقاصدها. كما وضّح الأستاذ محمد هاشم الكمالي في كتابه "أصول الفقه الإسلامي" النص التالي حرفيًا:

> **"ويُذكر من أمثلة الاستحسان قرار الخليفة عمر بن الخطاب بعدم تطبيق حد السرقة في عام المجاعة، ومنعه بيع أمهات الأولاد، وفرضه قيوداً على زواج الكتابيات في ظروف معينة."[185]**

فجميع الأحكام المذكورة للخليفة عمر ﷺ كانت مبنية على أصل الاستحسان، طبقت حسب الظروف السائدة في زمانه. وينطبق نفس الأمر على

---

[184] مسند أحمد (رقم 824)؛ الترمذي؛ كتاب الحج، باب التمتع. وقال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[185] محمد هاشم الكمالي، أصول الفقه الإسلامي، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية، 2019، الصفحة 235.

حكمه في مسألة الطلاق الذي نفذه بسبب ظروف خاصة بزمانه قد لا تكون موجودة في عصرنا. ومن أجل هذا بالذات تبنى كثير من كبار الصحابة في عهد عمر بن الخطاب ﵁ وكذلك التابعون الرأي القائل بأن الطلاق الثلاث في جلسة واحدة يقع طلقة واحدة، لأن هذا ما كان عليه العمل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخليفة الأول أبي بكر ﵁. ومن هؤلاء الصحابة والتابعين الذين أخذوا بهذا الرأي: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطاوس، وعطاء، وجابر بن زيد، والهادي، والقاسم، والباقر، والناصر أحمد بن عيسى، وزيد بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

فما كان موقف الصحابة في مثل هذه المسائل المستحسنة مقابل الحكم الأصلي المذكور في القرآن والممارس من قبل النبي صلى الله عليه وسلم؟ نذكر هنا روايتين عن صحابيين جليلين (أحدهما ابن عمر بن الخطاب ﵁) في مسألة تمتع الحج، لأن عمر بن الخطاب ﵁ كان قد منع الناس من التمتع في الحج. ومن موقف هذين الصحابيين يمكن استخلاص موازاة في مسألة

اعتبار الطلاق الثلاث في جلسة واحدة طلقة واحدة مقابل اعتباره ثلاثـًا.

الروايتان هما كما يلي:

عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَسَأَلَهُ عَنِ الْمُتْعَةِ فِي الْحَجِّ؟ فَقَالَ: هِيَ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ. فَقَالَ: إِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَنْهَى عَنْهَا! فَقَالَ: وَيْلَكَ! إِنْ كَانَ أَبِي نَهَى عَنْهَا، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَهَا وَأَمَرَ بِهَا، فَأَبِي تَأْخُذُ بِقَوْلِهِ أَمْ بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (مسند أحمد؛ الترمذي)[186]

---

[186] أحمد بن حنبل، المسند، حديث رقم 5700؛ الترمذي، السنن، كتاب الحج، باب التمتع، حديث رقم 824، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"؛ الحاكم، المستدرك 1/ 462، وصححه على شرط الشيخين.

روى مالك عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال الضحاك بن قيس لسعد: لا يفعل هذا إلا من جهل أمر الله! فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي! فقال الضحاك: إن عمر بن الخطاب كان ينهى عن هذا، فقال سعد: قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلناه معه. (موطأ الإمام مالك)[187]

لقد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بأن تطبيق عقوبة الطلاق الثلاث في عصره (بعد عمر بن الخطاب ﵁ بأكثر من ستمائة عام) سيؤدي إلى مشقة كبيرة على النساء والأطفال التابعين لهؤلاء المطلقين، بينما عمر بن الخطاب ﵁ لم يقصد معاقبة النساء والأطفال أصلاً. وتلك الظروف نفسها التي ذكرها ابن تيمية في زمانه لا تزال قائمة في عصرنا الحالي (بعد الخليفة عمر بحوالي 1400 عام).

---

[187] مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الحج، باب التمتع بالعمرة إلى الحج، حديث رقم 61، رواية يحيى الليثي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985)، 1: 353.

كما أوضح ابن تيمية أن حكم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسألة الطلاق يمكن اعتباره نوعـًا من "التعزير"، الذي يُنفذ عند الضرورة. وأشار أيضـًا إلى وجود صحابة كرام عارضوا حكم عمر رضي الله عنه؛ لأن هذا الحكم لم يُفرّق بين:

1) من فعل الطلاق الثلاث (في جلسة واحدة) عمداً وهو يعلم عواقبه.

2) ومن فعله جهلاً دون إدراك لتبعاته.

❖ كما أن هذا الحكم لم يميز بين المستحق للعقوبة والبريء منها.

واستدل ابن تيمية كذلك بأن الطلاق السني فقط هو الملزم شرعـًا، كما هو واضح من الأدلة النصية. فإذا كان الطلاق الثلاث في جلسة واحدة – المعدود ثلاثـًا – محرمـًا لكنه صحيح في الشريعة، فما الفائدة من تقسيم الطلاق إلى جائز وممنوع؟ لو صح هذا لنتج عنه تناقض في الأحكام الشرعية، والله تعالى لا ينزل أحكامـًا متناقضة.[188،189]

---

[188] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى. تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز. الرياض: دار عالم الكتب، 2004م/ 1425هـ، المجلد 8، الصفحة 33.

[189] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. تحقيق: محمد حامد الفقي. القاهرة: دار الحديث، 1993م/ 1414هـ، المجلد 1، الصفحة 351.

موقف الإسلام من نكاح التحليل

يُحرّم الشرع الإسلامي تحريمـاً قاطعـاً ما يُعرف بـ نكاح التحليل، وهو تزوج المرأة المُطلَّقة ثلاثـاً برجل آخر بشرط أن يُطلِّقها لتحلَّ لزوجها الأول. فبعد الطلاق الثالث (البينونة الكبرى)، لا تحلّ للمرأة أن ترجع إلى زوجها الأول إلا بعد زواج صحيح من رجل آخر، ودخول حقيقي بها، ثم انتهاء هذا الزواج بطلاق أو وفاة، من غير تواطؤ أو شرط مسبق للتحليل، كما أمر بذلك القرآن الكريم:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ (سورة البقرة)

لذلك، لا يُسمح للأزواج المطلقين بالزواج مرة أخرى حتى تتزوج المطلقة من رجل آخر. هذا الحكم شرعه الإسلام للتقليل من حالات الطلاق ولحماية كرامة المرأة. ويشترط الفقه الإسلامي أن يكون الزواج الذي يُحلّلها لزوجها الأول زواجًا صحيحًا، أي:

1 – أن تقرر المطلقة الزواج من رجل آخر بنيّة الاستمرار وبناء أسرة مستقرة.

2 – إذا طلّقها الزوج الثاني بصفة طبيعية (دون تخطيط مسبق)، أو توفي عنها.

3 – ثم تعود بملء إرادتها لزوجها الأول.

هذه العملية تُعرف بزواج "المُحَلِّل" (أو التَحْلِيل). ومن الواضح أن هذا السيناريو يعتمد على ظروف طبيعية غير مخططة، ولا يجوز التآمر لتنظيمه، لأن:

1 – زواج التحليل المُخطط له حرامٌ وباطل شرعًا، ولا يُحلِّل المرأة لزوجها الأول.

2 – الشريعة تحرّم الزواج المؤقت (المتعة) والزواج لغرض التحليل.

3 – أي اتفاق مسبق بين الأطراف يُبطل الزواج.

وقد بيّن النبي ﷺ تحريف بعض الناس لآية سورة البقرة (229-230) لخدمة مصالحهم، مؤكدًا أن التحليل لا يكون بنيّة مسبقة، بل بزواج صحيح تنتهي علاقته بظروف خارجة عن الإرادة.

وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ تُحرم زواج التحليل، منها:

لعن الله المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ له (الترمذي)[190]

وفي رواية عن عقبة بن عامر رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ قال: ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: هو المُحَلِّل، لعن الله المُحلِّل والمُحلَّل له (سنن ابن ماجه)[191]

وقد روي أيضـًا أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في خطبته للناس:

---

190 الترمذي: السنن، كتاب الطلاق، (1156)، قال: "حديث حسن صحيح".

191 ابن ماجه: السنن، كتاب الطلاق، باب التحليل (1936). حسنه ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" (9/ 374).

والله لا أُوتي بمحلِّل ولا محلَّل له إلا رجمتهما (مصنف عبد الرزاق)[192]

وروى الحاكم عن نافع عن عبد الله بن عمر قال:

كنَّا نَعُدُّ هذا على عَهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سِفاحًا [193]

(المستدرك الحاكم)[194]

من المؤسف حقـًا أن نرى اليوم بعضَ مَن يُطلقون عليهم "الأئمة المعتدلين" ومَن يُسمون "الشيوخ المؤجرين" - وهم أكثرُ المدافعينَ عن فكرة "اعتبار الطلاق الثلاث في جلسة واحدة طلاقـًا باتـًا" - عندما يأتيهم الأزواجُ الذين

---

192 عبد الرزاق: المصنف، كتاب الطلاق (رقم 11874). ابن أبي شيبة: المصنف (4/ 273).إسناده صحيح كما في "نصب الراية" للزيلعي (3/ 415).

193 **السِّفَاح:** في هذا السياق يعني **الزنا أو النكاح الباطل** .كان الصحابة يعتبرون "نكاح التحليل" (وهو الزواج بغرض حلّ المرأة لمطلقها فقط) نكاحًا فاسدًا محرّمًا، يشبه الزنا في حرمته لفساد قصده. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سفح).

194 المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الطلاق، 2/ 198. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (أي البخاري ومسلم)"

أصدروا الطلاقَ الثلاثَ في لحظة غضب، ينصحونهم بأن زواجَهم قد انفسخ، ثم يرشدونهم إلى طريق "زواج التحليل" كحلٍّ لإباحة العودة إلى الزوج الأول!

ولهذا السبب نجد في بعض دول العالم ما يُسمى "مراكز زواج التحليل" التي تقدم هذه "الخدمة" مقابل أموال، مجردةً من أي مقاصد زواج شرعية، فقط لتلبية الشكل الظاهري لإعادة المرأة إلى زوجها الأول. وهذا الأمر مخالفٌ لإجماع العلماء الذي نص عليه في "الموسوعة الفقهية الكويتية" (17/ 264) حيث أجمعوا على تحريم زواج التحليل.

فزواج التحليل هذا - بلا أدنى شك - حرامٌ و باطل بإجماع الأمة، وقد اتفق الفقهاء على أن كلَّ مَن يشارك في ترتيبه آثمٌ، وهو بمنزلة الزنا الصريح، إذ لا يحترم مقاصد الزواج الشرعية ولا يحقق شروطه.

الطلاق في حالة الغضب الشديد

قال النبي محمد ﷺ:

لَا طَلَاقَ وَلَا عِتَاقَ فِي إِغلاق (سنن ابن ماجه)[195]

اتفق جمهور الفقهاء على أن الطلاق لا يقع في حال فقدان العقل - سواء كان ذلك بالجنون أو الغضب الشديد (الإغلاق) - حيث يزيل التمييز ويُسقط الأهلية الشرعية. وقد صرح ابن قدامة الحنبلي بأن "**مَن طلَّق في حال الجنون أو الإغلاق - وهو الغضب المفرط - لم يقع طلاقه، وهذا قول جمهور العلماء**" (المغني)[196]. وأكد ابن تيمية أن "**الغضب إذا بلغ حد الإغلاق**

---

[195] أخرجه ابن ماجه (2046)، والدارقطني (3/ 297) والبيهقي (7/ 357). الحاكم (ت 405هـ): صحّحه في المستدرك (2/ 198) وقال "صحيح الإسناد"، لكن الذهبي خالفه ولم يوافق على التصحيح. وقد ضعّفه أكثر أهل الحديث، وإن استدل به بعض الفقهاء لمعناه في باب طلاق المكره.

[196] ابن قدامة، المغني، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط. 2، 1403هـ/ 1983م، ج 8، ص 352.

المزيل للعقل، فإن الطلاق فيه لا ينعقد" (الفتاوى الكبرى)[197]. وهذا الإجماع السكوتي نقله عدد من الأئمة، منهم ابن رشد حين ذكر **اتفاق المالكية والشافعية على بطلان طلاق المُغْلِق** (بداية المجتهد)[198]، والنووي الذي أفتى **بعدم وقوع الطلاق إذا أزال الغضبُ التمييزَ** (روضة الطالبين)[199]. كما حُكِي هذا الإجماع في الموسوعة الفقهية الكويتية حيث نصت على أن **"جمهور الفقهاء ذهبوا إلى عدم وقوع الطلاق في حالة الإغلاق"**.[200]

---

[197] ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت، 1408هـ، ج 3، ص 97.

[198] ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ/ 2004م، ج 2، ص 81.

[199] النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1412هـ/ 1992م، ج 8، ص 78.

[200] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل، الكويت، 1404–1427هـ/ 1983–2006م، ج 29، ص 291.

في رسالته الفذة "إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان" (المضمنة في مدارج السالكين، 2/ 453-460)، يبسط ابن القيم تحليله الشهير لأنواع الغضب وتأثيره على الأحكام، معتمداً على ثلاثة محاور رئيسية:

1) النوع الأول (الغضب الخفيف):

"إذا كان الغضب لم يبلغ حد الإغلاق، بل بقي معه كمال عقله وتمييزه وعلمه بما ينطق، فهذا لا إشكال في صحة طلاقه وعبوديته وعقوده... إذ الأعمال بالنيات، واللفظ مع عدم النية كالريح العاصف." (زاد المعاد، 5/ 195).

2) النوع الثاني (الغضب المُذهِب للعقل):

"أما إذا أزال الغضبُ عقله بالكلية حتى لم يدر ما قال، فهذا لا نزاع بين الأئمة في بطلان طلاقه... لأن التكليف مشروط بالعقل، والمجنون مرفوع عنه القلم." (إغاثة اللهفان، ص 72).

3) النوع الثالث (الإغلاق - الغضب الشديد):

"وأما الوسط الذي اختلف فيه الناس، وهو الإغلاق الذي يزيل التمييز دون العقل بالكلية، فقد دلت السنة الصحيحة على عدم الوقوع... لحديث «لا طلاق في إغلاق» وإن كان سنده ضعيفًا، لكن معناه صحيح بمجموع الأدلة" (زاد المعاد، 5/ 196)[201]

يقدم ابن القيم في "مدارج السالكين" تحليلاً عميقًا لعلاقة الغضب بالنية، فيوضح أن "الغضب إذا اشتد أفسد النيةَ كما يفسد الخلُّ العسلَ، لأن القلبَ إذا تحرك بموجبات الغضب، انمحقت منه نيةُ التكليف، وصار كالريشة في مهب الريح" (مدارج السالكين، 2/ 456). ثم يفرق بين أنواع الغضب بقوله:"ليس كل غضب مذمومًا، بل غضب المرء لله كغيث الحياة، لكن إذا تحول إلى سيل جارف أزال شروط التكليف" (مدارج السالكين، 2/ 458). هذا التحليل الباطني يفسر الخلاف الفقهي في النوع الثالث (الإغلاق)، حيث

---

[201] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/ 2006م؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة: دار الحديث، ط2، 1426هـ/ 2005م؛ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1429هـ

يبين أن جوهر الخلاف بين المذاهب يعود لاختلافهم في تحديد حد "زوال التمييز"، فبينما يشترط الحنابلة والمالكية زوال العقل بالكلية لعدم وقوع الطلاق كما في "الكافي" لابن قدامة (3/ 124)، يرى الشافعية أن انتفاء القصد كافٍ لعدم الوقوع وفقاً لما في "المجموع" للنووي (17/ 289).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز في "فتاوى الطلاق" (ص 19–21):

"إذا كان الطلاق في حال الغضب الشديد الذي لا يدري معه ما يقول، ولا يملك نفسه بسبب شتم الزوجة أو سبها، وتعترف الزوجة بذلك أو يوجد شاهد عدل، فإن الطلاق **لا يقع** في هذه الحال. وذلك للأدلة الشرعية الدالة على أن الطلاق لا يقع عند الغضب الشديد، فإذا كان لا يدري ما يقول من شدة الغضب كان أولى بعدم الوقوع.

وقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **لا طلاق ولا عتاق في إغلاق.** والإغلاق في الحديث: هو الإكراه أو الغضب الشديد عند جمهور العلماء. فإذا

كان الغضب قد أزال شعوره بحيث صار كالمجنون أو السكران من شدة الغضب، فإن الطلاق **لا يقع** .وكذلك إذا لم يملك قوله أو فعله لشدة غضبه.

والغضب ثلاثة أنواع:

1. أن يغضب حتى لا يدري ما يقول ولا ما يفعل، فهذا حكمه حكم المجنون، فلا يقع طلاقه بإجماع العلماء.
2. أن يكون غضبه شديداً لكنه يعلم ما يقول، لكنه لا يملك لسانه من شدة الغضب فيطلق. فهذا أيضـًا لا يقع طلاقه على الصحيح من أقوال العلماء.
3. الغضب العادي غير الشديد، فهذا يقع طلاقه بإجماع العلماء".[202]

وعليه فإن غالب الغضب اليوم يعد من النوع الثالث الذي يقع معه الطلاق، لأن الغضبان في العادة يتذكر ما قاله بعد انتهاء الغضب.

---

[202] ابن باز، عبد العزيز (1996). فتاوى الطلاق. جمع: د. عبد الله الطيار ومحمد الموسى. الرياض: دار الوطن. ص 19–21.

الأدلة الطبية العلمية حول أثر الغضب على العقل

تشير الأدلة العلمية إلى أن نمط التفكير في الدماغ يتغير أثناء حالات الغضب الشديد. فبمجرد أن يشعر الإنسان بالغضب، تتوقف قدرته على التفكير المنطقي. القشرة الدماغية (Cerebral Cortex) هي الجزء المسؤول عن التفكير المنطقي والحكم على الأمور، بينما الجهاز الحوفي (Limbic System) هو المركزالعاطفي في الدماغ، ويتركز في اللوزة الدماغية (Amygdala)، والتي تقع في الجزء السفلي من الدماغ وتُعتبر أكثر بدائية من القشرة الدماغية.

وقد أظهرت الدراسات العلمية أنه أثناء الحالات العاطفية الشديدة، مثل الغضب الشديد، يصل الجزء السفلي (المركز العاطفي) في الدماغ إلى مرحلة يمكنه فيها تعطيل الدماغ العلوي (القشرة الدماغية المفكرة)، مما يعني أن الشخص يتوقف عن استخدام التفكير العقلاني. ولهذا السبب يُعتبر الغضب من أصعب الانفعالات التي يمكن مقاومتها، كما أكد الطبيب النفسي

الإكلينيكي بجامعة كولومبيا، د. دانيال جولمان (Daniel Goleman)، في كتابه الأكثر مبيعًا "الذكاء العاطفي"(Emotional Intelligence) و يشير د. جولمان إلى أن الشخص في حالة الغضب يعاني مما يُعرف بـ (الاختطاف العاطفي للدماغ.[203]

وبالمثل، يوضح جيري فاسار (Gerry Vassar)، رئيس ومدير مؤسسة "Lakeside Educational Network"، عملية تأثير الغضب على الدماغ كما يلي:

"خلال حدث طاغٍ، تدخل اللوزة الدماغية (Amygdala) في العمل دون الكثير من الاهتمام بالعواقب، حيث إن هذه المنطقة من الدماغ ليست مسؤولة عن الحكم أو التفكير أو التقييم. هذا التفاعل الفوري أصبح يُعرف باسم "اختطاف اللوزة الدماغية" (Amygdala Hijacking) تأثير هذا الاندفاع الهرموني يستمر لعدة دقائق، وخلال

[203] Goleman, Daniel (1995). Emotional Intelligence. New York, Bantam Books.

هذه الفترة يكون الشخص عادة خارج نطاق السيطرة، وقد يقول أو يفعل أشياء يندم عليها لاحقًا عندما يعود الجزء المفكر من الدماغ إلى العمل."[204]

لذلك، فإن الرأي الصحيح لدى علماء الإسلام هو أن الطلاق لا يقع في حالة الغضب إذا كان الغضب شديدًا لدرجة أن الشخص لا يستطيع التحكم في لسانه، مما يؤدي إلى التلفظ بالطلاق دون وعي كامل.

تحريم الطلاق أثناء فترة الحيض

في التعاليم الإسلامية، يُؤمر الزوج بأن يُطلِّق زوجته في حالة الطهر، أي بعد انتهاء فترة الحيض وقبل أن يحدث بينهما جماع. وفقًا للفقه الإسلامي، إذا طلق الرجل زوجته أثناء حيضها فإن الطلاق بدعي، ويقع عند كثير من العلماء. لكن وفقًا لعبد الله بن عمر ﵁ وبعض التابعين، وكذلك العلماء مثل ابن

---

[204] Vassar, Gerald (Feb. 01, 2011) “How Does Anger Happen in the Brain” *Lakeside Connect* http://lakesideconnect.com/anger-and-violence/how-does-anger-happen-in-the-brain/

تيمية، و ابن القيّم، والعلماء المعاصرين مثل ابن باز و ابن عثيمين، فإن طلاق المرأة أثناء الحيض لا يُعتبر صحيحًا، لأن الله تعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ (سورة الطلاق)

وتدل على هذه المسألة أدلة أخرى، منها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه حين طلق زوجته وهي حائض، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فغضب رسول الله ﷺ غضبـًا شديداً لما سمع هذا وقال:

فأَمَرَهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَنْ يُرَاجِعَهَا، ثُمَّ يُمْسِكَهَا حتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ عِنْدَهُ حَيْضَةً أُخْرَى، ثُمَّ يُمْهِلَهَا حتَّى تَطْهُرَ مِن حَيْضَتِهَا، فإنْ أَرَادَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا حِينَ تَطْهُرُ مِن قَبْلِ أَنْ يُجَامِعَهَا، فَتِلْكَ العِدَّةُ الَّتي أَمَرَ اللهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ. (البخاري، مسلم)[205]

[205] الحديث متفق عليه: البخاري: كتاب الطلاق (5251)، مسلم: كتاب الطلاق (1471)

هناك اختلاف بين العلماء في استنباط الحكم في هذه المسألة. فجماعة ترى أن الطلاق أثناء الحيض مُحرّم لكنه يقع، وتستدل بأن أمر النبي ﷺ لعبد الله بن عمر بإرجاع زوجته يُشير إلى وقوع الطلاق؛ لأنه كان طلاقًا غير شرعي من حيث التوقيت، وقد وقع بالفعل. وإلا، فلماذا أمره النبي ﷺ بأن يرجعها.

وفي المقابل، يقدم العلماء الذين يرون حرمة الطلاق أثناء الحيض وعدم اعتباره الأدلة التالية لدعم موقفهم. روى أبو داود في سننه:

"فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرها شيئا." (سنن أبي داود)[206]

وفي صحيح مسلم عن أبي الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يقول أنه سأل ابن عمر – وسمعه أبو الزبير – فقال: ما ترى في رجل طلق امرأته وهي حائض؟ فقال:

---

[206] أخرجه أبو داود في "السنن" (رقم 2193). وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير" (3/ 195) وقال: "إسناده حسن، ورجاله ثقات".

طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها، ثم قال: "إذا طهرت فليطلقها أو يمسكها". وقال ابن عمر: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} [الطلاق:1]. (صحيح مسلم)[207]

وروى النسائي في سننه:

"أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، فردها النبي صلى الله عليه وسلم عليه، ثم طلقها عبد الله بن عمر وهي طاهر." (سنن النسائي)[208]

---

207 صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض (رقم 1471)

208 أخرجه النسائي في "السنن الكبرى"، كتاب الطلاق، باب الرخصة في الرجعة بعد طلاق الحائض (رقم 3391)، وأحمد في "المسند" (2/ 69) بنفس الإسناد. صححه ابن خزيمة (2/ 934) وابن حبان (9/ 386).

وفي ضوء هذه النصوص، نذكر بعض فتاوى العلماء القدامى والمعاصرين الذين يتبنون رأي عدم وقوع الطلاق أثناء الحيض:

1 - برهان الدين الفرغاني المرغيناني

ذكر الفقيه الحنفي المشهور برهان الدين الفرغاني المرغيناني (ت 593 هـ / 1197 م) في كتابه 'الهداية' - وهو من أهم المتون الفقهية في المذهب الحنفي - ما نصه:

"افضل الطلاق ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه تطليقة واحدة، ثم يتركها حتى تنقضي عدتها؛ لأن الصحابة كانوا يحبون ان لا يزاد على التطليقة الواحدة حتى تنقضي العدة."[209]

2 - الإمام ابن قدامة

---

[209] المرغيناني، الهداية شرح بداية المبتدي، ج2، ص332، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ/ 1998م

كتب الإمام موفق الدين ابن قدامة (ت620 هـ / 1223 م) في كتابه الفقهي "المغني:"

"طلاق السنة أن يطلقها في طهر لم يصبها فيه، ويطلقها تطليقة واحدة، ثم يتركها حتى تنقضي عدتها."[210]

3 – شيخ الإسلام ابن تيمية

كتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت728 هـ / 1328 م) في مجموع الفتاوى:

"وأكثر العلماء على أن الطلاق في الحيض يقع مع كراهته، وطائفة قالت: لا يقع. والذين قالوا: لا يقع: طاوس، وعكرمة، والخلاس، وعمر بن عبد العزيز، ومحمد بن إسحاق، والحجاج بن أرطاة، وأهل الظاهر: داود وأصحابه،

[210] ابن قدامة، المغني، ج 7، ص 98، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، 1417هـ/ 1997م

وطائفة من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد. وهو قول أبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وغيرهم من علماء أهل البيت."[211]

4 - القاضي محمد الشوكاني

العالم والفقيه اليمني الشهير القاضي الشوكاني (1250 هـ/ 1834 م) ناقش هذه المسألة في "نيل الأوطار":

"وقد أخرج ابن حزم في المحلى بإسناد صحيح عن عبد الوهاب الثقفي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر: «إذا طلق الرجل امرأته وهي حائض لم يقع طلاقها»، وهذا إسناد صحيح. وأخرج ابن عبد البر عن الشعبي التابعي قال: «من طلق امرأته وهي حائض لم يقع طلاقه عند ابن عمر». وروى الحميدي في جمعه بين الصحيحين في زيادات أبي الزبير أن النبي ﷺ لم

[211] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة المنورة)، 1381هـ.

يحسب الطلاق، وقد اشترط أن لا يروي إلا ما صح على شرط البخاري ومسلم."[212]

5 – الشيخ عبد العزيز بن باز

ذكر الشيخ عبد العزيز بن باز (ت1420 هـ/ 1999 م) – من كبار علماء العصر – في فتواه حول هذه المسألة ما نصه:

"طلاق الحائض لا يقع على الراجح من قولي العلماء، خلافًا لقول الجمهور الذين يرون وقوعه. والصحيح هو ما عليه فتاوى بعض التابعين وفتوى ابن عمر رضي الله عنه، وهو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وجماعة من العلماء، لأن ذلك مخالف لأحكام الله. فقد أمر الله في القرآن بأن يطلقها في طهر من غير جماع، فإذا طلقها في حيض أو نفاس أو في طهر جامعها

---

[212] الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ج 6، ص 257، طبعة دار الحديث، القاهرة، 1426هـ/ 2005م (الطبعة المحققة).

فيه كان طلاقه بدعة ولا يقع على الراجح؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} [الطلاق:1]." [213]

6 - الشيخ محمد بن صالح العثيمين

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421 هـ / 2001 م) - من أبرز علماء العصر الحديث - عن رجل طلق زوجته وهي حائض وهو لا يعلم بحيضها، فهل يقع هذا الطلاق؟ فأجاب فضيلته بقوله:

"اختلف العلماء في الطلاق في الحيض... والراجح عندنا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية من أن الطلاق في الحيض لا يقع، لأنه مخالف لأمر الله ورسوله. وقد قال النبي ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »

---

[213] ابن باز، فتاوى الطلاق، جمع د. عبد الله الطيار ومحمد الموسى، ص44، دار الوطن، الرياض، 1417هـ/ 1996م.

والدليل على ذلك حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض، فأمره النبي ﷺ أن يراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس. ثم قال: «تلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء»

فالعدة التي أمر الله بها هي أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، فإذا طلقها في حيض لم يطلقها على أمر الله فيكون مردودا.

ونرى أن الطلاق الذي حصل من هذا الرجل لا يقع، وأن المرأة باقية على زوجها. ولا فرق في ذلك بين أن يعلم بالحيض أو لا يعلم. نعم، علمه بالحال لا يؤثر، لكن إن علم فهو آثم والطلاق لا يقع، وإن لم يعلم فالطلاق لا يقع لكن لا إثم عليه." (214)

من الواضح من الأدلة السابقة أنه محرم على الرجل أن يطلق زوجته أثناء فترة حيضها. وعلى الرغم من وجود اختلاف في الرأي حول صحة الطلاق في هذه

214 العثيمين، فتاوى إسلامية، ج3، ص268، دار السلام، الرياض، 1422هـ/ 2001م.

الحالة، إلا أنه من الواضح أن الرجل يُؤمر بإرجاع زوجته وعدم الاقتراب منها حتى تطهر من حيضها. ثم بعد أن تحيض مرة ثانية وتطهر بعد هذه الفترة الثانية، يمكنه إمّا أن يُمسكها أو أن يُطلقها. بالإضافة إلى ذلك، فإن الرأي العلمي الصحيح في هذه المسألة هو أن الطلاق في فترة الحيض لا يُحتسب، وذلك ببساطة لأنه يتعارض مع أمر الله ورسوله ﷺ.

الحكمة العلمية في تحريم الطلاق أثناء فترة الحيض

تكمن الحكمة العميقة في تحريم الطلاق أثناء فترة حيض الزوجة. ومن الحِكم الظاهرة في هذا التشريع أن العلاقة الجنسية بين الزوجين محرمة خلال فترة الحيض. وبالتالي في غياب هذا الاتصال الجسدي، قد لا يشعر الزوج بنفس الجاذبية العاطفية أو الجسدية تجاه زوجته خلال هذه الفترة. أما في حالة الطهر، بعد انتهاء الحيض، فقد يتصالح الزوجان، وقد يتراجع الزوج عن فكرة الطلاق أو يتخلى عنها تمامًا. وقد أكدت دراسات علم الاجتماع الدور العلاجي للعلاقة الحميمة في مثل هذه السياقات، حيث أظهرت أن الاتصال

الجنسي بعد الخلافات الشديدة - المعروف باسم **"جِمَاعُ المُصَالَحَة"** - يمكن أن يساعد في إصلاح الخلافات وإعادة التواصل العاطفي بين الشريكين.

واحدة من الدراسات الأساسية التي تدعم هذا المفهوم أجراها جون غوتمان (John Gottman) وروبرت ليفينسون (Robert Levenson) عام 1992. فقد بحثت دراستهم، التي تناولت العمليات الزوجية التي تتنبأ بالانفصال لاحقًا، أهمية محاولات الإصلاح بعد النزاع. ووجدوا أن الأزواج الذين مارسوا علاقة عاطفية وجسدية إيجابية، بما في ذلك المداعبة والاتصال الجنسي، بعد الخلافات كانت روابطهم العاطفية أقوى وكانوا أقل عرضة للطلاق.[215] وأكدت الدراسة أن هذه الممارسات تساعد في تقليل التوتر الفسيولوجي والإثارة العاطفية الناتجة عن النزاع، مما يعزز المصالحة والتقارب العاطفي. وهذا يشير إلى أن تحريم العلاقة الجنسية أثناء الحيض، وإن أوقف الاتصال الجسدي مؤقتًا، فإنه يمنح الأزواج فترة توقف طبيعية.

215 Gottman, John M. and Levenson, Robert W. (1992) "Marital Processes Predictive of Later Dissolution: Behavior, Physiology, and Health," *Journal of Personality and Social Psychology*. Vol. 63, No. 2, pp. 221–233.

وعند استئناف العلاقة الحميمة، غالبًا ما يعيش الزوجان تجربة اتصال متجدد يمكن أن يعيد رتق الفجوات العاطفية، مما يقلل من احتمالية اتخاذ قرارات طلاق متهورة.

وتأتي أدلة تجريبية إضافية من دراسة أجريت عام 2013 بواسطة ثلاث باحثات في العلوم الاجتماعية — وهنّ إيمي مويس (Amy Muise)، وإيميلي إمبيت (Emily Impett)، وسارة ديسماريه (Sarah Desmarais) — حيث استكشفت العلاقة الحميمة كآلية تعامل ثنائية في مواجهة النزاع الزوجي. وأظهرت نتائجهم أن الأزواج الذين مارسوا نشاطًا جنسيًا بالتراضي بعد المشاجرات أبلغوا عن زيادة في الرضا العلائقي والتقارب العاطفي. وقد عمل هذا **"جِمَاعُ المُصَالَحَة"** كطريقة فعالة للتعامل مع الضرر الناتج عن النزاع وإصلاحه.[216] ومن خلال تعزيز التقارب الجسدي والعاطفي، تسهل هذه العلاقة الحميمة التسامح واستعادة الثقة. وفي سياق الأحكام الإسلامية

[216] Muise, Amy, Impett, Emily A., and Desmarais, Sarah (2013) "Getting It On Versus Getting It Over With: Sexual Intimacy as a Dyadic Coping Mechanism in the Face of Relationship Conflict," *Journal of Social and Personal Relationships*. Vol. 30, No. 6, pp. 745–768.

المتعلقة بالطلاق، يتوافق هذا جيدًا مع الحكمة من تحريم الطلاق أثناء الحيض: فهو يمنح الوقت الكافي لتهدئة التوترات وإعادة التواصل الجسدي والعاطفي قبل اتخاذ القرار النهائي.

إلى جانب الفوائد الفسيولوجية والعاطفية للعلاقة الحميمة، هناك أيضًا بعد نفسي لهذه الحكمة. ففترة الحيض تفرض بطبيعتها فترة انفصال جسدي مؤقت، مما قد يساعد في تخفيف حدة التوتر العاطفي أو الغضب الذي قد يؤدي إلى قرارات متسرعة مثل الطلاق. وتخلق هذه الفترة الطبيعية لتهدئة الأعصاب مساحة للتفكير، مما يقلل من ردود الفعل الاندفاعية. وعندما تستأنف العلاقة الحميمة بعد هذه الفترة، يمكن أن تعزز مشاعر الحب والتعلق، مما يزيد من احتمالية المصالحة.

بالإضافة إلى ذلك، يشجع هذا النهج على الصبر والتريث في العلاقة الزوجية. ومن خلال تأخير الطلاق حتى انتهاء دورة الحيض ومرور دورة طهر كاملة على الأقل، فإنه يتماشى مع التأكيد الإسلامي الأوسع على اتخاذ القرارات المدروسة والحفاظ على وحدة الأسرة قدر الإمكان. وهكذا، تقدم نتائج

العلوم الاجتماعية تأييدًا معاصرًا لهذه الحكمة القديمة، موضحة كيف تتشابك الإيقاعات البيولوجية الطبيعية والعمليات العاطفية في الحفاظ على الزواج الصحي.

باختصار، فإن تحريم طلاق الزوجة أثناء فترة الحيض ليس مجرد قاعدة طقسية، بل هو متجذر في حكمة تساعد العلوم الحديثة في توضيحها. فالانفصال الجسدي المفروض أثناء الحيض، يليه استئناف العلاقة الحميمة، يخلق آلية طبيعية للشفاء العاطفي والمصالحة. وتظهر دراسات غوتمان وليفينسون (1992) ودكتورة مويس وآخرون (2013) أن العلاقة الحميمة بعد النزاع تعزز الإصلاح وتقوي الروابط الزوجية، مما يدعم التشريع الإسلامي الذي يهدف إلى منع القرارات المتسرعة وتشجيع الانسجام داخل الأسرة.

الفصل السادس

الطبيعة النفسية والبيولوجية للجنسين وأثرها في التشريع

من حيث التركيبة البيولوجية والعاطفية والنفسية، توجد فروق جوهرية بين الرجل والمرأة، والإسلام يُقرُّ بهذه الحقيقة بوضوح. فقد صرّح القرآن الكريم بأن الذكر والأنثى ليسا متساويين:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ (آل عمران: 36)

في تفسير هذه الآية، ذكر الطبري في تفسيره أن الآية تُبرز التمايز الوظيفي بين الجنسين في الخِلقة والأدوار، وليس التفاضل في القيمة الإنسانية.(217) بينما

[217] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص294، تحقيق: محمود شاكر، القاهرة: دار المعارف، 1954

أشار ابن القيم في كتابه "طريق الهجرتين" إلى أن "اختلاف خِلقة الذكر والأنثى يقتضي اختلافًا في الأحكام والمهام"، مما يؤكد أن التباين البيولوجي والنفسي بينهما هو أساس التكامل الشرعي.[218] وقد اتفق المفسرون على أن هذا الاختلاف لا ينفي المساواة في الكرامة الإنسانية، بل يُوجِد توازنًا في الوظائف الاجتماعية والعبادية.

بسبب الاختلافات البيولوجية الفطرية بين الذكور والإناث، فإن التباين في الميول النفسية والطباع يصبح أمرًا حتميًا. ونظرًا لأن الرجال لا يتأثرون بالتقلبات الهرمونية المصاحبة للدورة التناسلية، فقد أوكل الإسلام إليهم مسؤولية مواجهة عالم الخارج العدائي الغريب، وتوفير الرزق المستمر للزوجة والأبناء. فليس لدى الرجال فترات توقف بيولوجية أو اضطرابات هرمونية شهرية كما هو الحال عند النساء. ومن هنا جعل الله النفقة على الأسرة واجبًا دينيًا ملقى على عاتق الرجل. بينما تعاني النساء من التغيرات الهرمونية

---

[218] ابن قيم الجوزية، شمس الدين. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص177، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الرياض: دار عالم الفوائد، 2008.

قبل وأثناء فترة الحيض كل شهر، ولذلك يُشجَّعن على تركيز طاقاتهن في البيئة الأسرية الآمنة.

وبسبب اختلاف الفسيولوجيا الجسدية، يعالج الرجال والنساء المشاعر بشكل مختلف في أدمغتهم. فقد كشفت دراسة أجراها الدكتور فرانك شنايدر (Frank Schneider) وباحثون آخرون في جامعة دوسلدورف بألمانيا أن مركز العواطف عند الرجال يتركز في منطقة اللوزة الدماغية (amygdala) ويظل ثابتًا هناك طوال حياتهم، مما يعني أن المشاعر تُعالج في منطقة محددة جدًا من الدماغ الذكري. على العكس من ذلك، تُعالج المشاعر في أدمغة النساء عبر كامل الدماغ وفي كلا نصفيه في آن واحد، مما يجعل من الصعب عليهن الفصل بين العاطفة والمنطق. ولكي تكون الحياة الزوجية سعيدة وناجحة، يجب على الرجال والنساء أن يفهموا بعضهم البعض ويتقبلوا اختلافاتهم ويتكيفوا معها.(219)

[219] Schneider, Frank, et al. (2000). "Gender Differences in Regional Cerebral Activity during Sadness." *Human Brain Mapping*. Vol. 9: pp. 226-238.

أوَّلًا: على الرجال فهم الطبيعة العاطفية للنساء

على الرجال فهم الطبيعة العاطفية للنساء لأن النبي ﷺ أمر بالرفق بهن، وقد بيّن العلم الحديث أن دماغ المرأة يعالج المشاعر بشكل شمولي. النساء عاطفيات بطبيعتهن، وهذا له العديد من الفوائد في تربية الأطفال. ومع ذلك، في الحياة الزوجية، قد تكون النساء قاسيّات أحيانًا في استخدام حججهن ضد أزواجهن (على الرغم من وجود استثناءات، وقد يكون الوضع عكس ذلك في بعض الحالات). وهذا يتفاقم بسبب التفوق اللفظي للنساء مقارنة بالرجال الذين لديهم قدرات مكانية أفضل عمومًا.[220] ومع ذلك، يجب على الرجال أن يفهموا أن العديد من الانفجارات العاطفية للزوجات تجاه أزواجهن ليست تحت سيطرتهن بالكامل. بل إن تقلبات المزاج لدى النساء غالبًا ما تكون تحت تأثير الارتفاع والانخفاض الشهري لهرموناتهن الأنثوية مع كل دورة شهرية. ولذلك، فإن الإسلام لم يمنح المرأة الحق الكامل في الطلاق.

---

[220] Hanlon, Harriet, Robert Thatcher and Marvin Cline (1999). "Gender Differences in the Development of EEG Coherence in Normal Children." *Developmental Neuropsychology* Vol. 16, Issue 3: 479-506.

الإسلام يُدرك الفروق بين الجنسين ويحترمها. إن عدم منح المرأة حق الطلاق المباشر هو لمصلحتها. فالمرأة التي تعيش في ظروف بائسة مع زوج مسيء يمكنها الحصول على الانفصال (الخلع) منه، لكن عليها أن تقدم قضيتها لمحكمة أو سلطة إسلامية – وهي عملية تتطلب وقتًا بحكم طبيعتها ولا تتم على الفور بعد انفعال عاطفي. وهكذا، تُتاح للمرأة فرصة للتفكير مليًا في عواقب قرارها قبل اتخاذه.

بينما في المجتمعات الغربية التي لا تعترف بالفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة، تم منح حق الطلاق بدون خطأ للرجال والنساء على حد سواء، مما أدى إلى ارتفاع معدلات الطلاق في تلك المجتمعات. ولذلك، من المنطقي أن يكون للإسلام إجراءات تحقق توازنًا للزوجين العاطفيين أيضًا. لا يسمح الإسلام للزوج بإنهاء عقد الزواج في لحظة غضب من خلال نطق الطلاق ثلاث مرات في جلسة واحدة، مما يغلق جميع الأبواب لأي ندم أو مصالحة، كما تم مناقشته سابقًا.

خلال فترات ما قبل الحيض وما حول الحيض، حيث تتكرر هذه الدورة الهرمونية كل شهر. ولا تستطيع المرأة تغيير هذا الأمر، فهكذا خلقها الله تعالى، وهو جزء من قَدَرها. وقد أشار النبي محمد ﷺ إلى هذا في حديث رواه عن زوجته عائشة رضي الله عنها عندما بكت لأنها لم تستطع المشاركة في بعض مناسك الحج بسبب حيضها بمجرد وصولهم إلى مكة لأداء فريضة الحج:

قالت عائشة رضي الله عنها: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لاَ نَذْكُرُ إِلاَّ الْحَجَّ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِسَرِفَ (مكان على بعد ستة أميال من مكة) حِضْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ أَنَفِسْتِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ». (صحيح البخاري)[221]

لذا، فإن الحيض أمر قد قدّره الله لجميع بنات آدم، ولا تملك النساء الكثير من السيطرة عليه. لذلك، يجب على الرجال أن يكونوا أكثر تسامحًا تجاه سلوك

[221] صحيح البخاري – كتاب الحج، حديث رقم 294

زوجاتهم القاسي خاصة خلال هذه الفترة التي قد تمتد في بعض الأحيان إلى أسبوعين كل شهر (أيام ما قبل الحيض وأيام الحيض).

ثَانِيًا: التغيرات النفسية لدى النساء خلال الدورة الشهرية

توجد فروق بين الرجال والنساء من حيث طبيعة الإنجاب. النساء يختلفن عن الرجال في هذا الصدد، حيث إن النساء بسبب طبيعتهم الإبداعية، لديهن دورات إنجابية شهرية محددة تتجسد في ارتفاع وانخفاض بعض الهرمونات الجنسية. حوالي أسبوع قبل بداية الحيض، تنخفض مستويات هرموني البروجستيرون والإستروجين إلى أدنى مستوياتها لدى النساء. في هذه الحالة، وعندما تكون مستويات البروجستيرون منخفضة في الجسم لتهدئة المزاج، ومستويات الإستروجين أقل لتعزيز الشعور بالراحة، قد تعاني النساء من

تقلبات المزاج وتغيرات في السلوك تتراوح بين العدوانية والعدائية إلى الاكتئاب الشديد.[222]

متلازمة ما قبل الحيض (PMS) تشير إلى التوتر، والتهيج، والاكتئاب التي تمر بها معظم النساء بدرجة معينة قبل وأثناء فترة الحيض. وقد لاحظ الأطباء والباحثون أن هذه التغيرات تكون أكثر وضوحًا في الأيام القليلة التي تسبق الحيض وأثناء الأيام الأربعة الأولى من الدورة الشهرية. التغيرات الأخرى المرتبطة بالنساء اللاتي يعانين من متلازمة ما قبل الحيض تشمل الإهمال، النسيان، تشتت الذهن، تكرار الحوادث، عدم الالتزام بالمواعيد، النية في الانتحار، زيادة الميل للجريمة (بين بعض النساء)، واضطرابات بين السجينات. أسباب أعراض متلازمة ما قبل الحيض هي الارتفاع والانخفاض الدوري لمستويات الهرمونات الجنسية الأنثوية خلال الدورة الشهرية.[223]

---

[222] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

[223] Pilver, C. E., Kasl, S., Desai, R., & Levy, B. R. (2011). Exposure to American culture is associated with premenstrual dysphoric disorder among ethnic Asian women. *Journal of Affective Disorders*, Vol. 130, Issue (1-2), pp. 334-341.

عندما تصبح أعراض متلازمة ما قبل الحيض شديدة لدى النساء، يُسمى هذا الاضطراب باضطراب ما قبل الحيض premenstrual dsyphoric disorder (PMDD)، وهي حالة تتميز بتقلبات مزاجية شديدة تؤثر على عملهن وتؤذي علاقاتهن. حوالي 30٪ من النساء يعانين من أعراض متلازمة ما قبل الحيض، وحتى 8٪ من النساء يعانين من أعراض اضطراب ما قبل الحيض (PMDD) التي يمكن أن تكون مدمرة.[224] في إحدى الدراسات، وُجد أنه خلال متلازمة ما قبل الحيض وفترة الحيض، يُسجل حوالي 50٪ من حالات الدخول الحادة إلى المستشفى بسبب حالات نفسية وطبية.[225]

في الواقع، في القانون الجنائي الفرنسي، يُؤخذ بالحسبان تأثيرات متلازمة ما قبل الحيض عند النظر في بعض القضايا القانونية يتم تصنيف هذه الحالة ضمن

---

224 Epperson, C. N., Steiner, M., Hartlage, S. A., et al. (2012). Premenstrual dysphoric disorder: Evidence for a new category for DSM-5. *American Journal of Psychiatry, 169*(5), 465-475.

225 Stone, Michael H. (1982). “Premenstrual tension in borderline and related disorders”. Behaviour and the Menstrual Cycle. R.C. Friedman (ed.). New York, Dekker: 317-343.

فئة الجنون المؤقت[226]. في دراسة سريرية عن متلازمة ما قبل الحيض (PMS)، أشار الباحثون ميلغيس و هامبورغ إلى ما يلي:

"التغيرات النفسية التي تحدث خلال هذه المرحلة من دورة الطمث يمكن أن يكون لها عواقب خطيرة على المرأة المعرضة لذلك وكذلك على المجتمع بشكل عام، ويجب ألا يُنظر إليها على أنها إزعاج بسيط."[227]

ثَالِثًا: محاولات الانتحار أثناء متلازمة ما قبل الحيض

لاحظ الباحثون العلميّون وجود علاقة قوية بين الأمراض المرتبطة بمتلازمة ما قبل الحيض وزيادة محاولات الانتحار لدى النساء قبل وأثناء فترات الطمث. وقد تم ملاحظة في بعض الدراسات أن ما يصل إلى ثلث (٣٣٪)

---

226 Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

227 Melges, Fredrick T. and Hamburg, David A. (1976). Psychological effects of hormonal changes in women. Human Sexuality in Four Perspectives. Frank A. Beach (ed.). Baltimore (Maryland), Johns Hopkins University.

النساء اللواتي يعانين من أعراض شديدة لمتلازمة ما قبل الحيض يحاولن الانتحار قبل وأثناء فترات الطمث. في دراسة نشرت عام 1993 بمجلة "اضطرابات المزاج"، قامت الدكتورة جين إنديكوت (Jean Endicott) من معهد نيويورك للطب النفسي بتحليل نتائج تشريح جثث نساء انتحرن. ووجدت أدلة على زيادة محاولات الانتحار بين هؤلاء النساء خلال الأيام السابقة للحيض. وصرحت الدكتورة في الدراسة:

"تشير نتائج التشريح إلى أن حالات الانتحار الكامل تكون أكثر احتمالاً خلال الأسبوع الذي يسبق الدورة الشهرية."[228]

وبالمثل، في دراسة أخرى نشرت في مجلة الطب النفسي السريري، أشار الأطباء النفسيون وليام برايس (William Price) ولين دي مارزيو (Lynn DiMarzio) إلى:

---

[228] Endicott, Jean (1993) "The menstrual cycle and mood disorders" *Journal of Affective Disorders* Vol. 29, Issue 2, pp. 193-200.

"أن المرحلة ما قبل الحيض، أي الأربعة أيام التي تسبق وأول أربعة أيام من الحيض، ترتبط بزيادة معدلات الإدخال إلى المستشفيات الطبية والجراحية والنفسية؛ وزيادة معدلات محاولات الانتحار؛ وزيادة شدة النية الانتحارية."[229]

هذه النتائج تدعم ما توصلت إليه الطبيبة البريطانية الدكتورة كاثارينا دالتون (Katharina Dalton) قبل عدة عقود. كانت الدكتورة دالتون طبيبة في مستشفى جامعة كوليدج بلندن ورواد في البحث في مجال متلازمة ما قبل الحيض قبل وأثناء الحيض. وقد أظهرت الدكتورة دالتون، التي أجرت دراسات شاملة على النساء البريطانيات، أن محاولات الانتحار تزيد بمقدار 17 ضعفًا خلال المرحلة اللوتينية (الوقت الذي يشمل الأيام القليلة التي تسبق بداية الحيض) مقارنةً بالمرحلة ما قبل الإباضية من الدورة الشهرية.[230]

229 Price, William A. and DiMarzio, Lynn (Aug 1986) "Premenstrual tension syndrome in rapid-cycling bipolar affective disorder" *Journal of Clinical Psychiatry*, Vol. 47, Issue 8, pp. 415-417.
230 Dalton, Kathrina (1959) "Menstruation and acute psychiatric illnesses". *British Medical Journal*, Vol. 1, pp. 148-149.

رَابِعًا: الاكتئاب والعدوان خلال متلازمة ما قبل الحيض

خلال و بعد متلازمة ما بعد الحيض مباشرةً ، تخضع أجسام النِّساء لتغيُّرات كيميائيّة تحت تأثير الهرمونات و تكون معظم هذه التَّغيُّرات مؤلمة لأجساد النِّساء . نتيجةً لذلك ، تعاني العديد من النِّساء من الاكتئاب في الأيام السّابقة لبدء الحيض .

كشفت دراسة شاملة أجرتها خدمة "الاستشارات الغذائيّة للنِّساء" (WNAS) على أربعمائة امرأة مصابة بمتلازمة ما قبل الحيض (تتراوح حدّتها ما بين الخفيفة و الحادّة) أنّ ثمّت ثمانِ نساء من كلِّ عشرة قد أثّرت المتلازمة على علاقتهنَّ بأزواجهنَّ ، كما ظهر في الاستطلاع أنّ أكثر من ثمانِ نساء من كل عشرة (أي نسبة 80 ٪) يشعُرن بالعنف و العدوان لمدّة تصل إلى أسبوعين قبل بدء دورتهنّ الشّهريّة ، وأشارَ أنّ الحال بالمقارنة فيما كان عليه قبل عشرة أو خمسة عشر عامـًا قد تفاقم و أعداد النِّساء اللواتي تظهر على سلوكهنّ

أعراض المتلازمة بات في ازدياد ، و أضافت الجمعيّة الوطنيّة الأمريكيّة للنِّساء أنّه ممّا يزيد الوضع سوءاً عجز الأطبّاء عن وصف أي علاج أو دواء فعّال لمتلازمة ما قبل الحيض ، و وصف مسكنات الألم و تقديم مضادّات الاكتئاب القويّة مثل بروزاك "Prozac" هو أقصى ما يمكن للعلم الطبّي فعله و التّي بالأساس لا تخفّف سوى من الأعراض .

و قد وجدت دراسات مماثلة أخرى أُجريت بين عامي 1985- 1996 لتشخيص متلازمة ما قبل الحيض بين النّساء أنّ 97 ٪ من النِّساء اللواتي يعانين من هذه المتلازمة يمررن بتقلُّبات مزاجيّة ، وأنّ ثمّةَ 92 ٪ يشعرن بالاكتئاب ، و 84 ٪ يشعرن بالعدوانيّة و العنف ، و 94 ٪ يعانين من القلق ، و 74 ٪ يفقدن الرغبة الجنسيّة (فقدان الدّافع الجنسي خلال فترة متلازمة ما قبل الحيض).[231] و وُجد أنّ 50 ٪ من السّجينات يرتكبن جرائمهنّ خلال فترات

[231] Stewart, Maryon (1997) <u>No More PMS!</u> London, Vermilion (Random House).

ما قبل الحيض أو الحيض ، ممّا يشير إلى وجود العدوان الأنثوي خلال هذه المرحلة الشهريّة الحرجة.(232)

خَامِسًا: الحوادث وسوء السُّلوك أثناء فترة متلازمة ما قبل الحيض

درست الطبيبة كاثرينا دالتون (Katharina Dalton) العلاقة بين متلازمة ما قبل الحيض و الحوادث و الجرائم مستخدمةً أسلوب الحساب بالأثر الرّجعي، فوجدت أدلّة على تأثير الدّورة الشهريّة على السّلوك في دراستها للأمراض النّفسيّة الحادّة والتّورط في الحوادث. اكتشفت أنّ 45 ٪ من النِّساء اللواتي سُجنّ خلال فترة ما قبل الحيض والأيام الأربعة التي تسبق بدء الحيض و الأيام

232 Moyer, Kenneth E. (1987). Violence and Aggression: A Physiological Perspective. New York, Paragon House.

الأربعة منه ، وأنّ 52 ٪ من النِّساء اللواتي دخلن المستشفيات بعد حوادث خطيرة دخلنها خلال نفس فترة الأيام الثمانيّة التي سبق ذكرها.[233]

في السياق ذاته، أجرت الدكتورة دالتون دراسة شاملة حول العلاقة بين الدورة الشهرية والسلوك الإجرامي، ونُشرت نتائج هذه الدراسة في المجلة الطبية البريطانية (British Medical Journal). قامت الدكتورة ببحثها الاستقصائي الذي استمر 6 أشهر في سجن نسائي إنجليزي، حيث أجرت مقابلات مع 156 سجينة حديثة الإدانة ارتكبن جرائم خلال الـ28 يومًا السابقة. وكشفت هذه الدراسة العلمية الدقيقة أن نصف الجرائم المرتكبة (49٪) قد وقعت إما خلال الأربعة أيام السابقة لنزول الحيض أو خلال الأربعة أيام الأولى من نزوله (أي خلال فترة 8 أيام تُعرف علميًا بـ**"فترة ما حول الحيض"**) (paramenstruum).

---

233 Dalton, Katharina (1960b) “Menstruation and accidents”. *British Medical Journal* Vol. 2, pp. 1425-1426.

وفي نفس السجن، أجرت الدكتورة مقابلات مع جميع السجينات اللاتي تم الإبلاغ عن سوء سلوكهن أثناء قضاء العقوبة. والمفاجئ أن 54٪ من أصل 94 سجينة أظهرن سلوكًا سيئًا خلال "فترة ما حول الحيض". وفي ختام بحثها، افترضت الدكتورة أن أعراض متلازمة ما قبل الحيض (PMS) مثل: التهيج والعصبية، الخمول والإرهاق، و احتباس السوائل قد تكون مسؤولة عن ارتكاب بعض الجرائم، وخاصة جرائم العنف والاعتداء.[234]

لم تقتصر أبحاث الدكتورة دالتون حول متلازمة ما قبل الحيض على السجون فقط، بل امتدت إلى المدارس حيث قامت بدراسة العلاقة بين الدورة الشهرية وسلوك الطالبات. وقد نُشرت هذه الدراسة التي أجرتها في مدرسة داخلية إنجليزية لاحقاً في المجلة الطبية البريطانية.[235] وكان من المعتاد في تلك المدرسة تسجيل الدرجات المخصومة بسبب السلوك السيء مع ذكر تاريخ ونوع المخالفة، بالإضافة إلى توثيق تواريخ دورات الطالبات الشهرية، مما

[234] Dalton, Katharina (1961) “Menstruation and crime”. *British Medical Journal,* Vol. 2, pp. 1752-1753.
[235] Dalton, Katharina (1960a) “Effect of menstruation on school girls' weekly work”. *British Medical Journal*, Vol. 1, pp. 326-328.

أتاح للدكتورة دالتون إمكانية إجراء تحليلها العلمي. وبعد دراسة 272 مخالفة، تبيّن أن نسبة كبيرة منها (29٪) وقعت خلال الأيام الأربعة الأولى من الدورة الشهرية. وشملت السلوكيات غير المقبولة - حسب معايير تلك المدرسة - والتي زادت بشكل ملحوظ أثناء فترة الحيض: التأخر عن المواعيد، والنسيان المتكرر، وتجنب المشاركة في الألعاب الرياضية، وغيرها من التصرفات المشابهة.[236،237]

سَادِسًا: الحكمة من ربط الطلاق بالدورة الشهرية (وليس بالأشهر القمرية أو الشمسية)

أظهرت الدراسات الطبية العلمية أن التقلبات الهرمونية - وليس النساء أنفسهن - هي المسؤولة الرئيسية عن التغيرات السلوكية أثناء المراحل السابقة للحيض وأثناءه. وهذا يؤكد على الأهمية الإسلامية لتحلي الأزواج بالصبر،

---

[236] Dalton, Katharina (1960c) “School girls' behavior and menstruation”. *British Medical Journal*, Vol. 2, pp. 1647-1649.

[237] Dalton, Katharina (1971) The Premenstrual Syndrome. Springfield (Illinois), C. C. Thomas Press.

والتحقيق الشامل في أسباب الخلافات الزوجية، وتجنب قرارات الطلاق المتسرعة التي قد تؤدي إلى تفكك الأسر. تعطي التعاليم الإسلامية الأولوية للحفاظ على الزواج وتنظر إلى الطلاق كحل أخير، حيث يهدف الشريعة أولاً وقبل كل شيء إلى منع تفكك الأسرة.

يقول القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ﴾ (الطلاق: 1)

هذه الآية القرآنية التي تأمر بالطلاق خلال العدة (الفترات المحددة) مرتبطة تحديداً بالدورة الشهرية وليس بالتقويم القمري أو الشمسي - مما يعكس حكمة إلهية. هذا النظام:

1. يُحدث فترة تبريد طبيعية أثناء عدم الاستقرار الهرموني
2. يضمن اتخاذ القرارات أثناء حالة التوازن الفسيولوجي
3. يتوافق مع التأكيد النبوي على الحكم المتزن

وكما ثبت من خلال الأحاديث الصحيحة (التي سبق ذكرها في هذا الفصل)، فإن النبي ﷺ:

1 - أبطل الطلاق الصادر أثناء الحيض

2 - أوجب المصالحة حتى الطهر

3 - أجاز الطلاق فقط في حالات الصفاء الذهني

يظل هذا النظام ذا صلة عميقة اليوم، حيث يقدم كلاً من الراحة النفسية وإعادة التوازن الهرموني قبل اتخاذ القرارات المصيرية.

الفصل السابع

كيفية إنقاذ بيوت المسلمين و أُسَرِهم

لا يؤمن الإسلام بالمفهوم المثالي للزواج ، فلا ينظر له نظرةَ القصة الخيالية التي لا تحدث فيها أي مشاكل بين الزوجين. بل يُقرّ الإسلام بأن الحياة الزوجيَّة ليست مفروشةً بالورود ، بل تشهد تقلُّبات في الودّ و التّعامل فعندما يعيش الناس معـاً من الطبيعي أن تنشأ بينهم خلافات و مُشاحنات؛ لأنّ البشر لم تصفُ صفوّ الملائكة، فستبدي تفضيلًا و ردود أفعالٍ تجاه مختلف المواقف الحياتيّة بمشاعر خاصّة لكلّ موقف ، والزوجان المرتبطان بعقد زواج ليسا استثناءً من هذه التقلُّبات. سيناقش هذا الفصل كيف يمكن إنقاذ البيوت والزواجات الإسلاميَّة من الطَّلاق والانفصال .

أوَّلًا: الزوجة تحتاج إلى الحبّ والرعاية، والزوج يريد الاحترام

إذا نظرنا إلى القرآن والسنة، سنلاحظ أن مفاهيم الاحترام والرعاية والمحبة قد تم التأكيد عليها في القرآن والسنة في العلاقة الزوجيَّة ، ومن الجدير بالذكر أن الرجال قد حُثّوا على إظهار الحب والرعاية لزوجاتهم، بينما تُشجَّعُ النِّساء على إظهار الاحترام والطَّاعة لأزواجهن (ما لم يكن ذلك في معصيةٍ للّٰه ﷻ ورسوله الكريم ﷺ). يأمر اللّٰه الأزواج المسلمين بالتَّغاضي عن عيوب زوجاتهم والإحسان إليهن ، كما تجلّى في القرآن الكريم في مواضع مختلفة :

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴿١٩﴾﴾ (سورة النِّساء: 19)

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١٤﴾﴾ (سورة التغابن :14)

و قد أوصى خير الورى نبيّنا الحبيب محمّد ﷺ الأزواج المسلمين بما يلي :

واسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا؛ فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِن ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ شَيءٍ في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا. (البخاري ومسلم)[238]

وقال النبي ﷺ أيضـاً:

أكْملُ المؤمنينَ إيمانـًا أحسنُهُم خلقـًا . وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم.

(الترمذي)[239]

في حين أن القرآن والسنة يحثّان الرّجال على إظهار اللّطف والمحبّة تجاه زوجاتهم ، يختلف التّركيز تماماً عند توجيه الزّوجات ، فالنِّساء عمومًا لا يُطلب منهنّ في القرآن والسّنة أن يكنّ لطيفات ومحبات تجاه أزواجهن، ربما لأن حبّ أزواجهن دون قيد أو شرط متأصل في فطرة معظم النساء. ولهذا

238 أخرجه البخاري (5185، 5186)، ومسلم (47، 1468)

239 رواه أبو هريرة. حسَّنه الترمذي (8/ 628).

السّبب لا يشتكي الرجال عمومًا من عدم حب زوجاتهم لهم. ومع ذلك، غالبًا ما يشتكي الأزواج من عدم احترام زوجاتهم لهم .

ومن هنا، أكّد القرآن والسنة هذا الشعور تحديداً فيما يتعلّق بالزّوجات.

ومفهوم الاحترام هنا لا يقتصر على الكلام ، بل يجب تطبيقه عمليًا و لحقَ كلّ قولٍ بفعلٍ ، فإظهار الاحترام لشخصٍ ما يعني احترام رغباته، واحترام نصيحته يعني اتباعها ، عندما نُظهر الاحترام لقائد ؛ فهذا يعني أنّنا نفعل ما يأمرنا به.

و في هذا السِّياق، من السهل أن نفهم أن احترام الزوجة لزوجها يعني أنّها يجب أن تحترم رغباته . وهذا ما جاءنا في الحديث الشّريف عن النبي ﷺ :

أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ. (الترمذي)[240]

---

[240] أخرجه الترمذي (1161) وحسنه، وابن ماجه (1854)، وأحمد (26399)، والحاكم (2/ 187) وصححه، وابن حبان (4163). وقال الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" (3/ 34): «إسناده حسن».

كشفت الأبحاث الرائدة للدكتور إيمرسون إيجرتش (Emerson Eggerichs) في كتابه "الحب والاحترام" حقيقة نفسية عميقة عن الزواج: فالاحتياجات العاطفية الأساسية للأزواج والزوجات تختلف جوهريًا، لكنها متكاملة بشكل مثالي. كما يؤكد: **'للزوجة حاجة أساسية واحدة - أن تشعر بالحب. عندما يُلبى هذا الاحتياج، تكون سعيدة. وللزوج حاجة أساسية واحدة - أن يشعر بالاحترام. عندما يُلبى هذا الاحتياج، يكون سعيدًا'** (ص 16). هذا التفاوت في الاحتياجات يشكل ما يسميه إيجرتش **'الدورة المجنونة' - وهي نمط مدمر حيث 'بدون الحب، تتفاعل الزوجة بلا احترام؛ وبدون الاحترام، يتفاعل الزوج بلا حب'** (ص 13)، مما يخلق حلقة مفرغة من السخط.

الحل يكمن في كسر هذه الدورة من خلال جهد واعٍ وغير مشروط. يؤكد إيجرتش: **'يجب على الزوج أن يحب زوجته دون قيد أو شرط، حتى عندما تبدو غير محترمة. ويجب على الزوجة أن تحترم زوجها دون قيد أو شرط، حتى عندما يبدو غير محب'** (ص 48). وهذا يتطلب تضحية حقيقية - الاستعداد

'لتلبية احتياجات الشريك حتى عندما لا يفعل هو/ هي ذلك' (ص 217) – مما يحول الزواج من علاقة تجارية إلى عهد للنمو المتبادل.[241]

واللافت أن هذه الرؤى النفسية الحديثة تعكس حكمة النبي ﷺ الخالدة: **'وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم'** (الترمذي 8/ 628). كلا الرؤيتين تتفقان على أن الانسجام الزواجي الحقيقي يبدأ باللطف الاستباقي – بأن يعطي كل طرف ما يحتاجه الآخر بشدة، ليس عندما 'يستحقه'، ولكن لأنه الشيء الصحيح والمُحّول الذي يجب فعله.

في شرحها لهذا المفهوم، تُلاحظ الصحفية المسلمة ياسمين مجاهد (Yasmin Mogahed):

"لماذا يُطلب منا كنساء أن نحترم أزواجنا ونتبع رغباتهم؟ لأن الرجال قد وُكلت إليهم درجة إضافية من المسؤولية. يقول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ

---

241 Eggerichs, Emerson (2004). Love & Respect: The Love She Most Desires; The Respect He Desperately Needs. Nashville (Tennessee), Thomas Nelson.

عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ﴾(سورة النِّساء: 34).

ولكن ألن يضعنا هذا الاحترام غير المشروط لأزواجنا – كنساء – في موقف ضعيف وخانع؟ ألن يجعلنا عرضة للاستغلال والإساءة؟ على العكس تمامـًا. فقد أثبت القرآن، والسنة النبوية، وحتى الأبحاث المعاصرة العكس تمامـًا. فكلما زاد احترام المرأة لزوجها، زاد حنانه وحبه لها. وفي الحقيقة، كلما زاد عدم احترامها له، أصبح أكثر قسوة وبعداً عن المشاعر."[242]

ثَانِيًا: بعـض الاقتراحات لتعزيـز الحياة الزوجية وإنقـاذها

فيما يلي بعض الاقتراحات التي قد تُفيد في تعزيز الزواج وإنقاذه:

---

[242] Mogahed, Yasmin (Jan. 04, 2011) "A Successful Marriage: The Missing Link" *SuhaibWebb.com: Your Virtual Mosque* (http://www.suhaibwebb.com/relationships/marriage-family/spouse/a-successful-marriage-the-missing-link-by-yasmin-mogahed/)

- ينبغي تعليم الأزواج المسلمين الالتزام القوي بالزواج والتردد الشديد في الطّلاق ، إذ لا ينبغي للأزواج التُّعساء أن يُقيدوا أنفسهم بعقلية تعتبر الطَّلاق الحل الوحيد لكلّ نزاع و خلاف زوجي .

في الواقع، تُشير عالمة الاجتماع ليندا وايت (Linda Waite) من جامعة شيكاغو إلى أنّه "**حتّى تكون مؤسسة الزواج سعيدة ؛ يجب على الأزواج التّعساء تجنّب الطّلاق أولاً** "[243]

– يُعتبر الزواج في الإسلام عبادةً مقدسةً وقُربةً إلى الله تعالى. فعندما يبتعد الناس عن عبادة الله، تضعف تقواهم، وبغياب خشية الله من القلوب، تقل الرحمة، فيظلم الضعيف، ويُهمل مصلحة الأسرة كاملةً من زوجة وأطفال. ولا شك أن التمسك بالدين والعبادة يُحصن الزواج، بل إن التزام الناس بدينهم يساعد في "الحفاظ على تماسك الأسرة" ويقلل من حالات الطلاق. فقد كشفت "الدراسة الطولية الوطنية لصحة المراهقين، الموجة الأولى

---

[243] Waite, Linda J., Don Browning, William J. Doherty, Maggie Gallagher, et al. (2002). Does Divorce Make People Happy? Findings from a Study of Unhappy Marriages. New York, Institute for American Values.

(1995)" أن الأطفال الذين ينشأون في أسر مستقرة ملتزمة دينيًا يحققون مستويات أعلى في التحصيل الدراسي، بينما الأطفال من أسر مفككة بلا التزام ديني يكون مستواهم الأضعف دراسيًا."[244]

– يجب على الوالدين المسلمين – سواء والدَا الزوج أو الزوجة – أن يبذلوا جهدهم في عدم التدخل المفرط في شؤون الزواج والحياة الزوجية لابنتهم أو ابنهم. فالتدخل المفرط من الأهل لن يؤدي إلا إلى تفاقم المشكلات. وعلى الزوجين السعي للانتقال من علاقة الاعتماد على الوالدين إلى علاقة التكافل والاعتماد المتبادل بينهما. وفي هذا الصدد، تنصح الأخت الداعية منيرة ليكوفيتش عز الدين الأزواج المسلمين بعدم إطلاع والديهم على كل مشكلة تتعلق بحياتهم الزوجية، لأن من الطبيعي أن يميل الوالدان إلى دعم طرف ابنهم أو ابنتهم. وتكتب عز الدين قائلة:

---

244 Fagan, Patrick F. (May 13, 2004) “The Impact of Marriage and Divorce on Children” (The Social Scientific Data on the Impact of Marriage and Divorce on Children before the Senate of the United States: Committee on Commerce, Science, and Transportation; Subcommittee on Science, Technology, And Space.) The Heritage Foundation Backgrounder, No. 1373, Washington, DC.

"يجب على الزوجين أن يتواصلا بوضوح حول ما سيبوحان به لوالديهما وما الأفضل أن يبقى بينهما. وعليهما أن يظلا مخلصين لبعضهما البعض ويتذكرا أن العلاقة الزوجية يجب أن تأتي في المقام الأول في حياتهما بينما يسعيان لبناء أسرتهما الخاصة.

كل شريك مسؤول عن حماية شريكه، حتى أمام والديه. كما يصف القرآن الكريم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: 187). فكما أن الملابس تحمينا، يجب على الزوجين أن يحميا بعضهما بعدم السماح لأي أحد بأن يتحدث بسوء عن شريكه. وهذا يوضح للوالدين أن الزوجين وحدة واحدة لا تنفصم... لا يجب التسامح مع أي تعليقات سلبية تُقال عن أحد الزوجين، ويجب أن يصل للوالدين رسالة واضحة بأن زوج ابنهم أو ابنتهم سيبقى محترمًا دائمًا، حتى في غيابه."(245)

[245] Ezzeldine, Munira Lekovic (Jan. 21, 2011) "In-Law Interference" SuhaibWebb.com: Your Virtual Mosque (http://www.suhaibwebb.com/relationships/marriage-family/in-law-interference-2/

– يمكن للدول الإسلامية أن تقدم خصماً أو إعفاءً كاملاً من رسوم عقد الزواج للمقبلين على الزواج الذين يحضرون دورة تأهيلية مدتها أربع ساعات حول أسس الزواج الناجح. وينبغي أن تشمل هذه الدورة مناقشة متعمقة للآثار الضارة طويلة المدى للطلاق على الأفراد والمجتمع، إلى جانب تقديم توجيهات عملية حول كيفية بناء حياة زوجية ناجحة من خلال الالتزام بتعاليم القرآن والسنة وتطهير القلوب من الأمراض الروحية. ويجب التنويه هنا إلى أن هذه الدورات التأهيلية يجب أن تكون منفصلة للرجال والنساء، حيث أن التعليم المختلط يتعارض كلياً مع تعاليم الإسلام، وقد أثبتت الدراسات والأبحاث آثاره الأخلاقية والنفسية المدمرة على كلا الجنسين.[246]

– ينبغي للدول الإسلامية أن تُنظّم حملات إعلاميّة عامّة مطبوعة وتلفزيونيّة وإذاعيّة لتوعية الجمهور بالمخاطر الخفية للطّلاق ، على سبيل المثال ؛ خُطَب

[246] Mushtaq, Gohar, Ph.D. (2015). The Hijaab: Liberation or Oppression? : A Detailed Discussion in the Light of Scientific Research. Riyadh, International Islamic Publishing House.

لعلماء المسلمين على محطّات التلفزيون والإذاعة، بالإضافة إلى رسائل مكتوبة على التلفزيون، توضح أضرار الطّلاق على المجتمع ككل .

- يمكن للمنظمات الإسلامية والحكومات إصدار منشورات وكتيّبات تلخص أحدث الأبحاث العلميّة الاجتماعية حول الآثار السلبيّة لتأخير الزواج و حدوث الطّلاق، و كذلك فوائد الزّواج والإيجابيّات المترتبة عليه للرجال والنساء .

ثَالِثًا: فضل المـرأة و تفـوّقـها في إنجاح المؤسسة الزوجيّة

فكما تبيّن في الفصول السّابقة أن المراكز العاطفيّة في دماغ المرأة أكثر ترابطًا من المراكز العاطفيّة في دماغ الرّجل. وعلى هذا السّياق ؛ لا عجب أن تكون المرأة أكثر ذكاءً عاطفيّا من الرّجل، وأنّ العديد من النِّساء يستخدمن هذه المهارة ببراعة لإنقاذ الزيجات من الدّمار. في الواقع ، في الحقيقة، فإن الفضل الأكبر في الحفاظ على تماسك الأسرة ووحدتها غالبًا ما يعود إلى المرأة. وقد

أشارت الدكتورة آن موير (Anne Moir)، الأخصائية في علم الوراثة من بريطانيا، إلى أن استمرار الزواج الناجح في مختلف المجتمعات إنما هو نتيجة للحكمة والوعي الفطري الذي تتمتع به المرأة، وقدرتها على التعامل بحكمة مع الفروقات بينها وبين زوجها. وتضيف الدكتورة موير:

> "إن استقرار العديد من الأسر يشهد على ما تتمتع به المرأة من حكمة في إدارة العلاقات الأسرية. ولو أن الرجال تعلموا بعض هذه المهارات الاجتماعية التي تتميز بها النساء، لكانت الحياة الزوجية أكثر استقراراً."[247]

[247] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

و قد أثبتت الأبحاث أن النِّساء يتمتعن بقدرة أفضل على فهم الإشارات السلوكيّة غير اللفظيّة ، فإنهنَّ أفضل بكثير من الرجال في دراسة انطباعات الوجه و تحليل معالمه منذ سن مبكرة جداً ، كما أوضح الباحثون. (248)

فيكون حدس المرأة وقدرتها في الحكم على شخصية زوجها وطبيعتها المسالمة مساعداً في الحفاظ على وحدة الأسرة. لذلك، من الخطأ الظن أن دور الزوجة يقتصر على التبعية لزوجها دون أن يكون لها رأي في القرارات الأسرية. فحكمتها وفطنتها تسهمان في استمرار كيان الزواج أكثر مما يمكن للرجل أن يقدمه. وهذه الصفات في النساء هبات إلهية، إذ أن المرأة تحمل الرَّحِم (الرَّحْمَة)، ومن هنا جاءت تسميتها في بعض الآثار بـ"الرَّحِماء"، وهي مظهر من مظاهر الرَّحْمَة الإلهية كما ورد في أحد أحاديث النبي محمد ﷺ. فالنساء يتفوقن على الرجال في العديد من جوانب شخصياتهم. وتكتب دكتورة آن موير:

248 Boyatzis, Chris, Chazan, E. & Ting, C.Z. (1993). "Preschool children's decoding of facial emotions." Journal of Genetic Psychology 154: 375-382.

"الزواج ينجح، رغم كل الصعاب، ليس لأن النساء مستسلمات أو يخضعن لهيمنة الرجال، بل لأن مهاراتهن الاجتماعية الفطرية - أو ما يُسمى بالذكاء الاجتماعي - تمكنهن من إدارة العلاقة الزوجية بشكل أفضل بكثير من الرجال. فالمرأة تستطيع توقع وفهم السلوك الإنساني أفضل من الرجل، وتميز الدوافع الكامنة وراء الكلام والتصرفات. فإذا كان الزوج محرك السفينة، فهي الدفة التي توجّه المسار. وهي أيضاً الملاحة التي تحمل خريطة الطريق وتعرف مواقع الصخور.... ويفشل الزواج عندما يرفض الرجل والمرأة الاعتراف باختلافاتهما التكاملية، أو عندما يبدأ أحدهما في الاستياء من هذه الاختلافات."[249]

رَابِعًا: هل يجعل الطلاقُ غيرَ السعداء أكثرَ سعادةً؟

من الحقائق الثابتة أن الخلافات الزوجيّة تحدث بين الزوجين - في كلّ بيت - في مرحلة ما من حياتهما ، و نحن البشر قد وهبنا اللّٰهُ عقلاً مُفكراً مُدركاً ، مهما

[249] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

اختلف كلّاً منّا في طريقة تفكيره – رجالاً ونساءً – في بعض الأمور. يتخذ الأطفال من والديهم قدوة لهم، ولذلك، عندما يرون والديهم يتخاصمان ويتجادلان يومًا بعد يوم، يتأثرون بطبيعة الحال بهذه الأجواء العدائيّة . ومع ذلك، ليس لكل خلاف بين الزوجين آثار سلبية على الأطفال.

وقد دحضت الباحثتان في علم الأسرة "ليندا وايت (Linda Waite) وماري غالاغر (Marrie Gallagher) الخرافة الشّائعة حول الطّلاق ، والتي تقول أنّ الأطفال يكونون في حال أفضل عندما ينفصل الوالدان المتخاصمان . لاحظت ليندا وماري في دراساتهما الاجتماعيّة أن ليس كل زواج تعيس له آثار ضارّة على الأطفال. هناك فرق بين التّعاسة في الزّواج ، وهو أمر لا يضر بالأطفال، وبين زواج متضارب، عدائيّ مليء بالمُشاحنات والذي قد يكون له عواقب سلبية على الأطفال.[250]

[250] Waite, Linda and Gallagher, Marrie (2000) The Case for Marriage: Whey Married People are Happier, Healthier, and Better Off Financially. New York, Doubleday.

في الواقع، لا يُحقق الطلاقُ فوائدَ للأطفال إلا في حالاتٍ قليلةٍ جدًا، بينما تؤدي معظم حالات الطلاق إلى وضعٍ أسوأَ للأطفال مقارنةً بما كانوا عليه سابقًا. إن الأطفال يزدهرون وينمون بشكلٍ سليم عندما يكون لديهم كلا الوالدين، طالما أن الصراع بين الأبوين ليس شديدًا ومستمرًا يوميًا.

الطلاق مفيد فقط عند إنهاء زواج مليء بالنزاعات الشديدة. لكن ليس كل زواج تعيسًا هو زواج عالي النزاع. هنا يبرز السؤال: كم نسبة الزيجات التي تكون عالية النزاع – النوع الذي يحتاج إلى إنهاء لمصلحة الأطفال؟ يجيب عالم الاجتماع بجامعة بنسلفانيا بول أماتو (Paul Amato) وعالم النفس الاجتماعي آلان بوث (Alan Booth) على هذا السؤال في كتابهما الرائع "**جيل في خطر: النشأة في عصر الاضطراب الأسري**". يذكر أماتو و بوث أن **أقل من ثلث الزيجات التعيسة (أقل من 33٪) هي من النوع عالي النزاع**.[251] وهذا يعني أن غالبية حالات الطلاق هذه الأيام تنهي زيجات منخفضة النزاع نسبيًا، والتي كان يمكن تجنب إنهائها بسهولة.

251

والسؤال التالي الذي يحتاج لإجابة هو: هل يجب إنهاء كل زواج عالي النزاع؟ لسوء الحظ، تخبرنا الخبرة العملية والبيانات المتاحة أن الطلاق لا يحل مشاكل كل الزيجات عالية النزاع. فقد أظهرت الدراسات أن الطلاق لا يجعل الناس أكثر سعادة. ففي دراسة أجراها عالمة الاجتماع كارولين ويبستر-ستراتون (Carolyn Webster-Stratton)، أفادت الأمهات المطلقات بتعرضهن لمزيد من الضغوط كأمهات عازبات أكثر مما شعرن به كأمهات متزوجات، وكثيرًا ما ذكرن "استمرار النزاعات مع الزوج السابق" كمصدر رئيسي لهذا الضغط. كما تعتقد الأمهات المطلقات أنهن أقل كفاءة في تربية أبنائهن وأنهن يواجهن صعوبات أكبر في جعل الأطفال يطيعونهن. وبالتالي، يبدو أن الطلاق لا يوفر حلًا فعالًا للعديد من الآباء والأمهات.[252]

---

252 Webster-Stratton, Carolyn (May 1989) "The Relationship of Marital Support, Conflict, and Divorce to Parent Perception, Behaviors, and Childhood Perception Problems" *Journal of Marriage and the Family* Vol. 51, pp. 417-430.

أظهرت الدراسات أيضًا أن العديد من المطلقين الذين يتزوجون مرة أخرى يشعرون أن زواجهم الثاني ليس أفضل من زواجهم الأول.(253) يبدو أن كثيرًا من المطلقين اعتقدوا في البداية أنهم بريئون من أي خطأ، وأن المشكلة بأكملها كانت تكمن في شريكهم الأول. وبمجرد التخلص من الزوج الأول عبر الطلاق، ثم الزواج من شخص آخر، فإن حياتهم ستكون حتمًا مليئة بالسعادة. لكن الواقع هو أن الحياة الزوجية ليست حياة خيالية. فهناك دائمًا تقلبات وصعوبات في كل حياة زوجية. وليس أي منا معصومًا عن الأخطاء. والسعادة الزوجية تُبنى بالتضحية والتكيف، لا بالهروب من المشكلات.

وبالمثل، في دراسة تحليلية استمرت خمس سنوات لبيانات NSFH بعنوان **"هل يجعل الطلاق الناس سعداء؟"**، خلصت عالمة الاجتماع ليندا وايت وفريقها البحثي إلى النتيجة التالية:

---

253 Amato, Paul R. and Booth, Alan. (1997) A Generation at Risk: Growing Up in an Era of Family Upheaval. Cambridge (Massachusetts), Harvard University Press.

"هل يجعل الطلاق الأشخاص غير السعداء في زواجهم سعداء؟ الجواب المفاجئ في هذه الدراسة هو 'لا'. ففي الغالب، لم يُقدم الطلاق أي راحة للأزواج التعساء من حيث أعراض الاكتئاب، ولم يرتبط بزيادة في السعادة الشخصية أو غيرها من مقاييس الرفاهية النفسية."(254)

وهكذا تُثبِتُ الأدلّةُ العلميةُ والواقعُ العمليُّ ما أكّدته الشريعةُ منذ قرون: أن الحلَّ الحقيقيَّ ليس في الانفصال، بل في تطبيقِ الحكمةِ الإلهيةِ في التعاملِ الزوجي، وهذا يتوافق مع التوجيه القرآني: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19]، الذي يحث على التعامل بالإحسان حتى في أصعب الظروف.

خَامِسًا: احذروا الغضب.. العدو الأكبر للزواج

الغضب آليةٌ خَلَقَها الله في الإنسان للدفاع عن النفس، لكنه يصبح صفةً مدمرةً إذا خرج عن السيطرة. بل إن الإحصاءات تُظهر أن الغضب أحد السببين

---

254 Waite, Linda J.; Don Browning, William J. Doherty, Maggie Gallagher, Ye Luo, and Scott M. Stanley (2002). Does Divorce Make People Happy? Findings from a Study of Unhappy Marriages. New York.

الرئيسيين للطلاق. فقد كشف «المسح الوطني للزواج في أمريكا» (2005) الذي أجرته «مبادرة الأبوة الوطنية» أن أكثر أسباب الطلاق شيوعًا هي «**ضعف الالتزام**» و«**كثرة المشاجرات**». فلو تحكم الزوجان في غضبهما، لَما كثرت خلافاتهما، وبالتالي تجنبا الطلاق.[255]

وكما سبق ذكره، فإن الدماغ يخضع لـ«**اختطاف عاطفي**» أثناء الغضب، حيث تتجاوز المشاعرُ مركزَ التفكير العقلاني. فيفقد الغاضب قدرته على التحليل، وتُعطَل وظائفُ دماغه المنطقية بفعل المشاعر الجامحة، فيرتكب تصرفاتٍ غير عقلانيةٍ وقد تصل إلى المعصية. وهذا ما يحدث بين الأزواج أثناء النزاعات الزوجية، حيث يستغل الشيطانُ حالةَ الغضب ليزيد الشرَّ تفاقمًا. قال النبي ﷺ:

255 Glenn, Norval D. (2005) With this Ring: A National Survey on Marriage in America. Gaithersburg, Maryland, The National Fatherhood Initiative.

إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ. (سنن أبو داود)[256]

عندما يتوضأ الشخص في حالة الغضب، فإن ماء الوضوء يعمل على خفض درجة حرارة جسمه. وعندما يفقد الجسم حرارته الزائدة، فإن ذلك يساعد على استعادة الهدوء والاتزان. ولهذا السبب ينصح الأطباء المرضى الذين يعانون من ارتفاع شديد في درجة الحرارة بغسل أطرافهم (اليدين والقدمين) وكذلك وجوههم بالماء لخفض حرارة الجسم. بالإضافة إلى ذلك، عندما يترك الشخص مكان المشاجرة ليؤدي الوضوء، فإن هذا يؤدي بشكل طبيعي إلى توقفه عن الكلام لأنه سيكون غائباً جسدياً عن مكان النزاع لبضع دقائق.

وقد ورد في حديث نبوي آخر:

256 سنن أبي داود (حديث رقم 4784)؛ مسند أحمد (المجلد 4، رقم 226). رواه الإمام البغوي في شرح السنة (رقم 3583). ومما يعزز صحته أن كبار علماء الحديث، كالحافظ العراقي في تكرير الإحياء (3/ 145، 151)، وابن حجر العسقلاني في فتح الرباني (10/ 384)، لم يضعفوه.

ألا وإنَّ الغضبَ جمرةٌ في قلبِ ابنِ آدمَ. (الترمذي)[257]

إذا تأملنا في طبيعة النار، نجد أنها تتميز بالفوضوية ويمكنها أن تخرج عن السيطرة بسهولة. النار مفيدة لنا ما دامت تحت سيطرتنا، لكنها تصبح مدمرة بمجرد خروجها عن نطاق التحكم. ومن خصائص النار أنها تتجه صعوداً، على عكس الغبار الذي يتجه للأسفل بفعل الجاذبية. وهكذا فإن الحالة المثالية للإنسان هي التواضع. وبما أن الشيطان مخلوق من نار، فهو متكبر. ولهذا السبب، عندما يغضب الشخص، فإن الشيطان غالبًا ما يزيد من غضبه بإشعال نار الغرور والكبرياء في قلبه. باختصار، فإن الحل الأمثل عند وقوع خلاف بين الزوجين يتمثل في الآتي:

1. الوضوء

[257] الترمذي (حديث رقم 2191). وهذا الحديث وارد في مسند أحمد (3/ 19، 11159). وقد حسَّنه الترمذي. كما حسَّنه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير (رقم 1610).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ. (سنن أبو داود؛ مسند أحمد)

2. الابتعاد عن مكان النزاع

مغادرة مكان المشاجرة فوراً، إذ أن تغيير المكان يساعد في تبديل الحالة النفسية.

3. استخدام الدعابة لتخفيف حدة الغضب

من الحكمة استخدام كلمات لطيفة أو مواقف مرحة لتخفيف التوتر، وقد قال النبي ﷺ:

كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ فَهُوَ لَغْوٌ، إِلَّا أَرْبَعَ خِصَالٍ: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وَتَعَلُّمُ السِّبَاحَةِ [258]

تذكّر أنك إذا بادرت بالصلح فأنت الأجدر بأجر الله لإنقاذك للزواج.

4. تغيير موضوع النقاش

قل لزوجتك (أو زوجك): "سنتحدث في هذا لاحقًا، فلنركز الآن على (شيء نحبه معًا...)." هذا الأسلوب يقطع سلسلة الغضب ويحوّل الانتباه لنقطة إيجابية.

5. تجنب الرد أثناء الغضب

احذر من الرد على زوجتك الغاضبة، لأن ذلك سيزيد النقاش اشتعالاً.

[258] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (6062)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (5089) من طريق أبي هريرة. وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (10/ 521)، وصححه الحافظ العراقي في "تخريج الإحياء" (2/ 106).

نفس النصيحة تنطبق على الزوجة إذا كان زوجها غاضباً. الصمت هنا ذهب، كما قال النبي ﷺ:

إذا غَضِبَ أَحَدُكُم فَلْيَسْكُتْ. (مسند أحمد)[259]

الحكمة من هذه الخطوات:

أ- الوضوء يخفض حرارة الغضب الجسدية والنفسية.

ب- الابتعاد يقطع دائرة التصعيد.

ج- الدعابة تذكّر بأن الخلاف ليس نهاية العالم.

د- تغيير الموضوع يوقف الزخم السلبي.

ه- الصمت يمنع الكلمات التي قد يندم عليها المرء لاحقاً.

---

[259] أخرجه أحمد في "المسند" (1/ 329)، والبخاري في "الأدب المفرد" (1322)، والطبراني في "المعجم الكبير" (11/ 308). قال المنذري في "الترغيب والترهيب" (3/ 469): «إسناده حسن»، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (8/ 85): «رجاله رجال الصحيح».

ختاماً، هذه النصائح ليست مجرد حلول عملية، بل هي تطبيق لهدي النبي ﷺ في التعامل مع الغضب، مما يجعلها نافعة في الدنيا والآخرة.

على الرجال المسلمين أن يتذكروا أن النساء يتمتعن عادة بطلاقة لفظية أعلى، وقد يستخدمن هذه المهارة بفعالية أثناء النقاشات الحادة. وبما أن الرجال عادة يفتقرون إلى نفس البلاغة، فإن بعضهم للأسف يلجأ إلى العنف الجسدي - وهو انتهاك صارخ لسنة النبي محمد ﷺ الذي لم يرفع يده أو صوته على زوجاته حتى أثناء الخلاف. بدلاً من ذلك، ينبغي للأزواج منح زوجاتهم مساحة عاطفية لتهدئة أنفسهم. والتجربة تظهر أن معظم الزوجات الغاضبات، بعد التعبير عن مشاعرهن بشكل مطول، يهدأن بشكل طبيعي.

الأبحاث الحديثة تؤكد حكمة هذا الأسلوب. كما يوضح الدكتور دانيال ج. سيجل (Daniel J. Siegel) (أستاذ الطب النفسي السريري في جامعة كاليفورنيا) في كتابه "البصيرة الذهنية":

"عندما تغمر هرمونات التوتر اللوزة الدماغية، فإن الجسم يحتاج إلى 20-30 دقيقة لاستعادة التوازن. وخلال هذه الفترة الحرجة، يكون الحوار العقلاني معطلاً بيولوجيًا."[260]

وبالمثل، يؤكد الدكتور جون غوتمان (الباحث الشهير في مجال الزواج) في كتابه "مبادئ الزواج الناجح السبعة":

"يحتاج الشركاء إلى 20 دقيقة على الأقل للتعافي من الانفعال العاطفي قبل أن يتمكنوا من معالجة المعلومات بهدوء."[261]

هذا يتوافق تماماً مع نصائح الدكتور ألبرت إليس(Albert Ellis) (في كتابه "كيف تتحكم في غضبك قبل أن يتحكم فيك")، الذي لاحظ:

---

260 Siegel, Daniel J. (2010). Mindsight: The New Science of Personal Transformation. Bantam Books. ISBN: 978-0553804706.
261 Gottman, John M., and Nan Silver. (1999) The Seven Principles for Making Marriage Work. New York, Harmony Books.

"الشخص الغاضب جداً يحتاج إلى حوالي 30 دقيقة للانتقال من رد الفعل العاطفي إلى التفكير العقلاني".[262]

في الحقيقة، قبل وصول هؤلاء العلماء إلى هذه الحكمة بأكثر من 1400 عام، أوصى النبي محمد ﷺ بخطوات عملية لإدارة الغضب:

"إذا غضبَ أحدُكم وهو قائمٌ فلْيجلسْ، فإن ذهبَ عنه الغضبُ وإلاَّ فلْيَضْطَجِعْ." (مسند أحمد)[263]

وقد قال ﷺ: **"إذا غضب أحدكم فليسكت"** (مسند أحمد)[264]

---

[262] Ellis, Albert & Raymond Chip Tafrate (2000). <u>How to Control Your Anger Before It Controls You</u>. New York, Citadel Press.

[263] أخرجه أحمد في "المسند" (21386)، وأبو داود (4782)، والترمذي (3450) وقال: «حديث حسن»، وابن حبان في "صحيحه" (5688).

[264] أخرجه أحمد في "المسند" (1/ 329)، قال المنذري في "الترغيب والترهيب" (3/ 469): «إسناده حسن»، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (8/ 85): «رجاله رجال الصحيح».

فالصمت أثناء الغضب من الحكمة النبوية. هذه الاستراتيجيات - المتجذرة في كل من الهدي الإلهي والعلم الحديث - يمكن أن تمنع حدوث أضرار لا رجعة فيها في الحياة الزوجية.

سَادِسًا: أهمية تنمية التسامح المبني على التقوى بين الأزواج

يُعلّم الإسلام الزوجين التسامح والصبر اتجاه بعضهما البعض، فمن الطبيعي أن يختلف الناس وينشأ سوء تفاهم بينهم. ومع ذلك، لا ينبغي أن ينتهي هذا الخلاف بالضرورة بالطلاق، لأن أضرار الطلاق على الزوجين والأطفال والمجتمع بالغة. يُعلّمنا الإسلام أنه على الرغم من جواز الطلاق، إلا أنه من أشد المباحات سوءًا. وفي بعض الأحاديث النبوية، هناك تحذير من حرمان من

طلّق بغير سبب مشروع من الجنة. ولهذا السبب يعتبر بعض علماء المسلمين فعل الطلاق من كبائر الذنوب.[265]

في القرآن الكريم، في سورة الطلاق، نُصح الأزواج المسلمون:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۝٢﴾ (سورة الطلاق: 2)

في الواقع، وردت كلمة "التقوى" أربع مرات في الآيات الخمس الأولى من سورة الطلاق وحدها. وللزوجين اللذين يتقيان الله ويصبران عليه مخرج. فإذا الزوج اتقى الله في زوجته، لم يظلم زوجته ولم يغصبها حقها. وإذا الزوجة اتقت الله في زوجها، لم تعصِ زوجها. إن تقوى الله والإيمان القوي بيوم القيامة يُنمّيان الصبر لدى الزوجين، والصبر يُؤتي ثماره دائمًا.

لتجنب الطلاق، يحتاج المسلمون والمسلمات إلى التواصل فيما بينهم في حياتهم الزوجية. فإذا انغمس كلاهما في عالم الأجهزة الإلكترونية، فلن يكون

---

[265] الهيثمي، ابن حجر (2000) الزواجر الاقتراف الكبير. (ج2، ص100) مصر، المطبعة الخيرية.

هناك تواصل بينهما. على سبيل المثال، يكتب عالم الاجتماع بجامعة هارفارد، روبرت بوتنام (Robert Putnam)، في هذا الصدد:

"تشير مذكرات الوقت إلى أن الأزواج والزوجات يقضون ثلاثة أو أربعة أضعاف الوقت الذي يقضونه في مشاهدة التلفزيون معًا مقارنة بالوقت الذي يقضونه في التحدث مع بعضهم البعض.... وعلاوة على ذلك، ومع تضاعف عدد أجهزة التلفزيون في كل أسرة، أصبحت حتى المشاهدة معًا أكثر ندرة.(266)

إذا كان هذا هو الحال مع التلفزيون حيث توجد على الأقل إمكانية الجلوس ومشاهدته معًا، فمع التقنيات اللاحقة مثل الكمبيوتر والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وملفات MP3، مع انتشار الألعاب والهواتف الذكية، تقلّ احتمالية التواجد معًا، أو تنعدم. لذا، يُمكن تخيّل ما يحدث عندما يعود الزوج المسلم من العمل إلى المنزل. يقضي معظم وقته في تصفح الإنترنت، بينما قد تنشغل زوجته بمشاركة صورها مع أصدقائها على فيسبوك او تِك توك

---

[266] Putnam, Robert D. (2000) Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community. New York, Simon & Schuster.

او إنستاجرام. عندما يكون التواصل بين الزوجين محدودًا، يُمكن للشيطان بسهولة أن يزرع بذور الخلاف بينهما. فلا عجب أن ترتفع معدلات الطلاق بين المسلمين بنفس القدر الذي ترتفع به بين غير المسلمين.

هناك نقطة أخرى يجب التأكيد عليها هنا فيما يتعلق بالتقوى، وهي أنه لا يجوز لنا كمسلمين التعاون على الإثم ومعصية الله ورسوله ﷺ تحت أي ظرف من الظروف. أمرنا الله جل شأنه في القرآن الكريم:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ (سورة المائدة: 2)

يجب على الأزواج والزوجات المسلمين مراعاة مشاعر بعضهم البعض، ولكن لا يمكنهم فعل ذلك على حساب سخط الله. لدينا حياة نبينا الحبيب محمد ﷺ كأنجح زوج، ويمكننا أن نتعلم العديد من الطرق لكسب قلب زوجتنا من سيرته . صحيح أن النساء يعانين من اضطرابات عاطفية ونفسية عندما يعانين من متلازمة ما قبل الحيض وأثناء فترات الحيض، ولكن لا

يمكنهن اتخاذ هذا كذريعة لمنع أزواجهن من أداء الصلوات الخمس في المسجد أو الصيام أو نشر رسالة الإسلام والجهاد في سبيل الله.

إذا كانت الزوجة المسلمة تعاني من متلازمة ما قبل الحيض أو اضطراب هرموني، فلن يتمكن الزوج المسلم من إرضائها إذا طلبت منه أن يعصي والدته التقية أو يخرج ويكسب المال بوسائل محرمة (غير مسموح بها) لمجرد أن يعيشوا حياة مترفة. الاكتئاب أو العدوانية أثناء متلازمة ما قبل الحيض لا يُبيحان لها الاستماع إلى الموسيقى،[267] لأن الاستماع إلى الموسيقى محرم في الإسلام، كما بينتُ ذلك بالتفصيل في كتابي عن الموسيقى. وينطبق الأمر نفسه على الرجال، فلا يُبرَّر لهم معصية الله أو إجبار زوجاتهم على معصيته تحت أي ظرف. وبالطبع، لا يجوز ظلم الزوجة في الإسلام، ولكن يجب على الأزواج المسلمين أن يفهموا أن الله جعلهم السلطة العليا في المنزل، ولا يمكنهم كسب قلوب زوجاتهم بسخط الله. وقد ورد ذلك بوضوح في الحديث:

---

[267] الدكتور جوهر مشتاق، "موسيقى: غذا الروح أم سرطان الروح؟ في ضوء الدراسات الطبية والاجتماعية الحديثة". إدلب، سوريا، دار النقش للطباعة و النشر.

لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ (مسند أحمد)[268]

سَابِعًا: أهمية مصاحبة الصالحين

الإنسان كائن اجتماعي، يتقبل آثار رفقة من حوله. ومصاحبة الفاسدين تُفسد الإنسان تمامًا. من ناحية أخرى، فإنّ صحبة الصالحين لها آثار إيجابية على الإنسان. فإذا قضى الرجل معظم وقته بصحبة رجال مطلِّقين أو مسيئين لزوجاتهم، فقد يؤثر ذلك على شخصيته، وقد يبدأ بتقليد أقرانه في كيفية التعامل مع زوجاتهم. وبالمثل، إذا لم تختار النساء الصالحات كصديقات، وبدلًا من ذلك، قضين وقتًا بصحبة نساء نسويات أو مطلَّقات يقضين معظم وقتهن في الغيبة عن أزواجهن السابقين، فسيكون لذلك بالتأكيد تأثير ملوث على عقلية

---

268 أخرجه أحمد في المسند (20653) من حديث عمران بن حصين، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8973)، وصححه ابن عبد البر في الاستيعاب (3/ 26)، والحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (3/ 61)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (ص 531)، والسيوطي في الجامع الصغير (رقم 9884، 9903).

المرأة. غالبًا ما تفقد النساء احترام أزواجهن، بل ويطلبن الطلاق عندما يبدأن بقضاء قدر كبير من وقتهن بصحبة نساء نسويات أو مطلقات نمّامات.

لذلك، ينبغي على الأزواج والزوجات المسلمين السعي لمصاحبة الصالحين والأتقياء. فعندما يصاحب المرء أهل التقوى ، فإنه يتعلم منهم الأخلاق الحميدة، ويتبنّى آدابهم الإسلامية، ويثبت على طريق الاستقامة. وقد أمرنا الله في القرآن الكريم بمصاحبة الصالحين:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (سورة الكهف)

وكذلك أمر الله جميع المؤمنين بمصاحبة الصادقين في أقوالهم وأفعالهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (سورة التوبة)

قال حبيبنا محمد ﷺ في حديث:

الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ (ترمذي)(269)

تجدر الإشارة هنا إلى أن وجود الأصدقاء على مواقع التواصل الاجتماعي ليس وحده ما يُشكّل رفقة الشخص. في الواقع، تُعتبر مجتمعات الأصدقاء على مواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك، تويتر، ماي سبيس، فريندستر، بيكيو، وغيرها) وغرف الدردشة جزءًا من رفقة الشخص، وينبغي على الناس الانتباه إليهم.(270) إن وجود أصدقاء محبين للطلاق على الإنترنت يُشكل خطرًا كبيرًا على الشخص، تمامًا كما يُشكله وجود أصدقائه على أرض الواقع. في الواقع، قد يكون أصدقاء الإنترنت أكثر خطورة لأنهم مخفيون. لذا، احذر عندما يبدأ شخص ما بالحديث عن زوجته على مواقع التواصل الاجتماعي. فتأثيرهم

---

269 أخرجه الترمذي (2378) وقال: «حديث حسن غريب»، وأبو داود (4833)، وأحمد (8398). وحسَّنه ابن حجر العسقلاني في "هداية الرواة" (4/ 442)، والبغوي في "شرح السنة" (6/ 470).

270 الدكتور جوهر مشتاق، (2023) " الشباب المسلم في عصر الدجال". إدلب، سوريا، دار النقش للطباعة و النشر.

المُفسد قد يُدمر إيمانك، ومنزلك، ومستقبلك، ومستقبل أطفالك من خلال الطلاق.

ثَامِنًا: مشاعر الندم بعد الطلاق

تُجادل ليندا وايت بأن النتائج النفسية للزواج التعيس معروفة، لكن العواقب النفسية للطلاق غير مؤكدة لأنه فعل مستقبلي. وتُشير إلى أن الطلاق يُزيل بعض الضغوط والأضرار المحتملة الناتجة عن إنهاء زواج تعيس، ولكنه يُولّد أيضًا العديد من الضغوط ومصادر التوتر الأخرى التي لا يملك الأفراد سيطرة تُذكر عليها، مثل رد فعل الزوج/الزوجة وانتقامه/انتقامها بعد الطلاق، وتأثيرات الطلاق على الأداء الأكاديمي والصحة النفسية والجسدية للأطفال، والضغوط المالية الجديدة للوالدين المنفصلين، والعلاقات أو الزيجات الجديدة التي قد تجلب فرحًا جديدًا، ولكنها قد تجلب أيضًا حزنًا وتوترًا وإحباطًا جديدًا. ومن خلال تحليل بيانات المسح الوطني للصحة الأسرية (NSFH) على مدى خمس سنوات، اتضح أن الطلاق لم يُخفف من أعراض الاكتئاب لدى الرجال والنساء التعساء الذين قرروا إنهاء زواجهم. بالإضافة

إلى ذلك، لم يُظهر الطلاق تحسنًا في تقدير الذات لديهم مقارنةً بالأزواج التعساء الذين استمروا في الزواج.[271]

أظهرت الأبحاث أن عددًا كبيرًا من المطلقين والمطلقات يندمون على قرار طلاقهم، حتى بعد سنوات طويلة. على سبيل المثال، أفاد تقرير صادر عن مجلس سياسات الأسرة في نيوجيرسي عام 1999 أن 46٪ من المطلقين في ولاية نيوجيرسي يشعرون بالأسف لقرارهم بالطلاق، وأعربوا عن تمنّيهم لو بذلوا هم وزوجهم/ زوجتهم المطلق/ ة جهدًا أكبر لحل خلافاتهم.[(272)]

وعلى نحو مماثل، في دراسة أخرى أجراها آلان هوكينز (Alan Hawkins) و زملاؤه في جامعة بريغهام يونغ (Brigham Young University)، تبين أن 40 في المائة من السكان المطلقين حاليًا في ولاية أمريكية مينيسوتا أعربوا عن

---

[271] Waite, Linda J., Don Browning, William J. Doherty, Maggie Gallagher, Ye Luo, and Scott M. Stanley (2002). Does Divorce Make People Happy? Findings from a Study of Unhappy Marriages. New York

[272] New Jersey Family Policy Council (1999) *New Jersey Marriage Report: An Index of Marital Health.* Parsippany (New Jersey), New Jersey Family Policy Council.

ندمهم على الأقل على قرارهم بالطلاق.[273] عندما سُئل سكان مينيسوتا المطلقون حاليًا: "بالنظر إلى الماضي، هل تتمنى لو بذلتَ أنتَ وطليقك جهدًا أكبر لتجاوز خلافاتكما؟"، أجاب 66٪ منهم بـ "نعم".[274] هذا يُظهر لنا مقدار الندم والحزن والذنب الذي يشعر به الأزواج بعد الطلاق في مراحل لاحقة من حياتهم. يتمنون لو أنهم تصرفوا بشكل مختلف في الماضي. يتمنون لو لم ينفصلوا بالطلاق. يودون بذل أي شيء لمجرد إعادة عقارب الساعة إلى الوراء وتصحيح أخطائهم، ولكن بعد فوات الأوان.

تذكّرنا مشاعر الندم بعد الطلاق بقصة المتسول وزوجته التي تحفل بالعبر:

"في قديم الزمان، كان رجلٌ يتناول طعام العشاء مع زوجته، وكان بين أيديهما دجاجٌ مقليّ. فجأةً، طرق البابَ متسولٌ يطلب طعامًا. اقترحت الزوجة على زوجها أن يقدم للمتسول جزءًا من طعامهما. فغضب الرجل غضبًا شديدًا من

---

273 Hawkins, Alan J. et al. (2000) Minnesotans' Attitudes about Marriage and Divorce. Provo (Utah), Family Studies Center, Brigham Young University.

274 Minnesota Family Institute. 1998. *Minnesota Marriage Report*. Minneapolis, MN: Minnesota Family Institute.

اقتراحها، وقال لها بفظاظة: 'كفّي عن التشجيع على مساعدة الفقراء!'. ثم نهض من مكانه وذهب إلى الباب، حيث وبّخ المتسول بعنف وأغلقه في وجهه.

عندما عاد إلى مائدته، وعظته زوجته قائلةً: 'لم يكن ينبغي لك أن تتعامل بهذه القسوة مع ذلك المسكين'. فما كان منه إلا أن ثار غيظه، وصاح بها: 'أتجرؤين على وعظ رجلٍ غنيٍ مثلي؟ لا أطيق العيش مع امرأةٍ مثلِكِ! أنتِ طالق!'. وهكذا طلقها.

وبإرادة الله تعالى، بدأ الرجل بعد طلاقه يعاني من سلسلةٍ من الخسائر التجارية التي أفقدته كل ثروته، حتى أصبح هو نفسه متسولًا بلا مأوى. وفي تلك الأثناء، تزوجت زوجته السابقة من رجلٍ آخر.

وفي يومٍ من الأيام، بينما كانت تجلس مع زوجها الجديد لتناولا العشاء - وكان بين أيديهما دجاجٌ مقليٌّ أيضًا - طرق البابَ متسولٌ يطلب الطعام. فقال الزوج لزوجته: 'هيّئي لهذا المسكين طبقًا من هذا الدجاج'. وعندما فتحت الباب، أصيبت بالذهول عندما رأت أن المتسول هو زوجها السابق!

قدمت له الطعام وعادت إلى المائدة وهي تبكي. فسألها زوجها عن سبب بكائها، فأخبرته أن المتسول هو زوجها السابق الذي طلقها. ثم شرحت له قصة المتسول الذي طرده زوجها السابق ذات يوم.

فقال الزوج الجديد: 'لعلكِ تتعجبين إذا علمتِ أنني أنا ذلك المتسول الذي طرده زوجكِ السابق! لقد أراد الله أن يبارك في أموري بعد ذلك اليوم، وها أنا ذا بين يديكِ الآن'." (275)

وهذه القصة تعلمنا أن نتقي الله ولا نظلم أزواجنا في علاقاتنا الزوجية، فإن الله سريع الحساب شديد العقاب.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ (سورة البروج 12)

لا تدوم الأزمنة على حالها. من يبدو اليوم في قمة السلطة، قد يكون غدًا عاجزًا كالمتسوّل. هكذا يُغيّر الله أحوال الناس، كما يُخبرنا القرآن:

[275] صبحاني، عناية الله (1966) مخزن الأخلاق (باللغة الأردية). لاهور، مكتبة الملية.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: 140)

تَاسِعًا: هناك أمل إذا تحليت بالصبر فإن الزيجات تتحسن مع مرور الوقت

لا يدرك الكثيرون أن الزيجات الفاشلة يمكن أن تتحسن مع الوقت والجهد، وهناك أدلة علمية اجتماعية تدعم هذا الادعاء. في دراسة استمرت خمس سنوات، أشرفت عليها ليندا وايت (Linda Waite) وفريقها البحثي من جامعة شيكاغو، تم تحليل بيانات المسح الوطني للأسر والأسر من خلال النظر في إجابات 248 زوجًا من أصل 5232 بالغًا متزوجًا صنفوا زيجاتهم بأنها غير سعيدة في ثمانينيات القرن الماضي. بعد خمس سنوات، أُعيدت مقابلة نفس البالغين لمتابعة هؤلاء الأزواج التعساء، حيث اتخذت حياتهم مسارات مختلفة، انفصل بعضهم نتيجة الطلاق، بينما ظل آخرون متزوجين. وتُلخص النتائج على النحو التالي:

❖ لاحظت الدكتورة وايت وزملاؤها في هذه الدراسة أن 64٪ من المتزوجين الذين ظلوا معًا على الرغم من الصعوبات في علاقاتهم الزوجية والذين صنفوا زواجهم بأنه غير سعيد ولكنهم قرروا تجنب الطلاق، استفادوا بأنهم أصبحوا أكثر سعادة بعد خمس سنوات من الفترة المضطربة.

❖ وقد لوحظ في هذه الدراسة أن الأزواج غير السعداء الذين انفصلوا ثم تزوجوا مرة أخرى لم يكونوا أكثر سعادة من الأزواج غير السعداء الذين قرروا تجنب الطلاق.

❖ لم يبلغ الأزواج غير السعداء الذين سعوا إلى الطلاق عن أي تحسن عاطفي ونفسي مقارنة بالأزواج غير السعداء الذين قرروا الحفاظ على زواجهم.

❖ لُوحظ في هذه الدراسة أن الأزواج الأكثر تعاسةً الذين قرروا الحفاظ على زواجهم هم الذين أبلغوا عن أكبر تحوّلات جذرية في علاقاتهم الزوجية بعد خمس سنوات. بمعنى آخر، أفاد 80٪ من الأزواج الذين صنفوا زواجهم

بأنه تعيسٌ للغاية لكنهم تجنبوا الطلاق أن حياتهم الزوجية كانت سعيدةً للغاية بعد خمس سنوات.

❖ في متابعة لهذه الدراسة، أجرى فريق الباحثين هذا أيضًا مقابلات جماعية مركزة مع 55 زوجًا وزوجة كانوا تعساء سابقًا، وأنقذوا زيجاتهم من الانهيار. وتبين أن "أخلاقيات تحمُّل الزواج" لعبت الدور الرئيسي في إنقاذ تلك الزيجات، كما أشار الدكتور وايت بأن العديد من الأزواج زيجاتهم أصبحت أكثر سعادة، ليس لأنهم وشريكهم حلّوا المشاكل، بل لأنهم استمروا فيها بإصرار".[276]

يُخبرنا هذا البحث الشامل أن العديد من الأزواج والزوجات الذين كانوا غير سعداء في زواجهم، تحولت حياتهم الزوجية إلى حياة سعيدة بعد خمس سنوات. لقد تحلوا بالصبر والتسامح اتجاه بعضهم البعض، وحصدوا ثمار ذلك في غضون خمس سنوات، فالصبر دائمًا ما يُؤتي ثماره. أنقذ الصبر

[276] Waite, Linda J.; Don Browning, William J. Doherty, Maggie Gallagher, Ye Luo, and Scott M. Stanley (2002). Does Divorce Make People Happy? Findings from a Study of Unhappy Marriages. New York

والتسامح منازلهم من التفكك، وأنقذوا أطفالهم من الاكتئاب، والجريمة، والضعف الدراسي، وانخفاض درجاتهم في الاختبارات، وإساءة معاملة الأطفال، والأمراض، والوفيات المبكرة، وغيرها.

تؤكد هذه النتائج أن معظم الزيجات تتحسن مع مرور الزمن، فظروف الحياة لا تبقى على حال، وكثير من مصادر الخلاف والنزاع بين الأزواج تختفي تدريجياً (مثل المشاكل المالية، والاكتئاب، ومشاكل سلوك الأطفال، وتغيرات العمل، وتدخل الأهل المفرط في شؤون الأسرة، وغير ذلك). إنها سنة الحياة أن السعادة الدائمة والتعاسة الدائمة كلاهما نادر الحدوث. لذلك يجب علينا أن نضبط ألسنتنا وأيدينا عن ظلم الآخرين، ويأمرنا القرآن بالصبر في جميع أمورنا:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (سورة الأنفال: 46)

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴿٥٤﴾﴾ (سورة القصص: 54)

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿١٠﴾﴾ (سورة الزمر: 10)

وينصحنا القرآن الكريم أيضًا بالرفق والتسامح في علاقاتنا الزوجية مع أزواجنا. فينبغي أن تقوم العلاقة بين الزوجين على الرحمة والتفاهم. بل يأمر القرآن الرجال بالنظر إلى الصفات الإيجابية لزوجاتهم عند معاملتهن:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴿١٩﴾﴾ (سورة النساء: 19)

تُقدّم النصيحة الذهبية التي يُقدّمها القرآن الكريم حلّاً مثاليـاً للخلافات الزوجية. فعندما يُركّز الزوجان على محاسن بعضهما البعض ويتغاضون عن سلبيات بعضهما البعض، يكونان أكثر تسامحـاً مع شريكهما. ولذلك، يُجادل علماء الاجتماع وعلماء الأسرة بأنّ مُعظم حالات الطلاق تحدث في الزيجات التي لا تُسبّب صراعات، وأنّه يُمكن تجنّبها إذا ركّز الزوجان على محاسن

بعضهما البعض. على سبيل المثال، أجرى عالم الاجتماع جوزيف هوبر (Joseph Hopper) من جامعة كولورادو مُقابلات نوعية مُعمّقة مع 30 زوجـًا مُطلّقـًا. ووجد الدكتور هوبر أنّ العديد من الرجال والنساء المُطلّقين ما زالوا يتذكّرون ويُقدّرون ذكريات الصفات الإيجابية لطليقيهم. صرّح الدكتور هوبر قائلاً:

"في الوقت الذي ذكروا فيه شكواهم، كان المطلقون يتحدثون بسهولة عن جوانب إيجابية في زواجهم. كانوا يحبون وجود شخص في المنزل، شخص يتحدثون معه عن يومهم. وصفوا رحلات التخييم والعطلات وأعياد الميلاد... مشاعر الأمان والسلامة والراحة."[277]

وأشار الدكتور هوبر أيضًا إلى أنه بين كل هؤلاء الأزواج الذين انفصلوا، كان من الممكن تجنب الطلاق لأن الأزواج استطاعوا رؤية الصفات الجيدة لدى

[277] Hopper, Joseph (1993) “The Rhetoric of Motives in Divorce” *Journal of Marriage and the Family* Vol. 55, Issue 4: pp. 801-813.

أزواجهم: "بدا الأمر وكأن العديد من النتائج كانت ممكنة في كل زواج تقريبًا تعلمت عنه".[278]

وبعد كل هذا، فإن أساس بقاء الزواج ونجاحه هو الرحمة والرعاية والمعاشرة بالمعروف، لا مجرد المشاعر العابرة. فلو كان الحب هو الركيزة الوحيدة، لانهارت أكثر الأسر عند أول اختبار. لكن الإسلام – بحكمته – جعل الزواج قائمًا على الالتزام بالحقوق والواجبات، كما أوصى النبي ﷺ الأزواج خاصةً بمعاشرة الزوجات بالمعروف، لعلّ ذلك لكونهم أصحاب القوامة. فتذكّر وصية الرسول ﷺ الجامعة:

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" (الترمذي)[279]

---

[278] المرجع نفسه.

[279] أخرجه الترمذي (3895) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (1977)، وابن حبان في "صحيحه" (4177). وصحح إسناده ابن جرير الطبري في "مسند عمر" (1/ 408).

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: **"اسْتَوصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً"** (بخاري ومسلم)[280]

فهذه الوصايا النبوية تذكير بأن الزواج مسؤولية شرعية قبل أن يكون علاقة عاطفية، وأن التزام المرء بمعاشرة زوجه بالمعروف – حتى في لحظات فتور المشاعر – هو علامة الإيمان الكامل.

[280] أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم 5186)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم 1468)

الخاتمة

أبرز النتائج

1. الزواج سنّةٌ مُؤكَّدة ووسيلةٌ لحفظ الدين والنفس والنسل، وقد أمر اللهُ بتيسيره ووعد بالإغناء مع القيام بأسبابه، وجاءت نصوص تحضّ على المبادرة إليه .
2. تأخير الزواج بلا مسوّغٍ شرعي يفتح أبوابًا من المفسدة (التعارف المحرَّم/ المواعدة/ الإباحية...)، وقد رصد الكتاب أدبياتٍ اجتماعية تُظهر آثاره السلبية الممتدّة .
3. وتمَّ ترجيحُ القول باعتبار الطلاق المكرر في مجلس واحد طلقةً واحدة. وهو قول مختلف فيه، وقالت به طائفة من السلف والعلماء، ورجحه جمع منهم وله أدلته. ثم تم بيان سبب تشديد سيدنا عمر رضي الله عنه في إلزام القول الآخر (بأنه ثلاث).

4. وتمَّ تحريم الطلاق في حالتي الغضب الشديد المزيل للتمييز والحيض؛ لما فيهما من آثار بيولوجية ونفسية على صاحبيهما تمنع الاختيار الواعي وتدفع إلى القرار المتسرع. ففي حالة الغضب، تؤثر التغيرات الفسيولوجية في الدماغ على القدرة على التفكير المنطقي وتمنع "النية" الشرعية. وفي حالة الحيض، تؤثر التقلبات الهرمونية والعوامل النفسية المصاحبة على استقرار المرأة وقابليتها للتفاوض (PMS)، كما تحرم الزوج من وسيلة المصالحة الجسدية ("جماع المصالحة") التي أظهر العلم الحديث دورها الحاسم في إصلاح العلاقات.

5. أبرزت دراساتٌ معتبرة أن الطلاق لا يجعل الناس سُعداء في الجملة، بل تتحسّن زيجاتٌ غيرُ سعيدةٍ مع مرور الوقت لدى من صبروا وعملوا على إصلاحها.

6. نفعُ الطلاق يتركّز في الزّيجات عاليةِ النزاع المستمرّ؛ أما الزيجات غير السعيدة منخفضة النزاع فالغالب أن إصلاحَها أنفع من حلِّها .

7. نسبةُ الزيجات التعيسة عاليةِ النزاع أقلّ من الثلث، كما قرّر أماتو وبوث؛ ما يعني أنّ كثيرًا من حالات الطلاق اليوم تُنهي زيجاتٍ كان يمكن إنقاذُها .

8. ممَّا يُعيدُ البيوتَ إلى الاستقرار: الانتظارُ الواعي، وبَرامِجُ دَعْمٍ أُسَريٍّ، وخَفْضُ التوتُّرِ الزَّوْجِيِّ.

9. طلاقُ الوالدين يترك آثارًا سلبيةً عميقةً في الأبناء (صحة نفسية، سلوك، تحصيلٌ دراسي، تخرّج)، ويقترن بارتفاع مؤشّراتٍ مقلقةٍ في الجريمة ومحاولات الانتحار .

10. إتباع الزوجين لتعاليم الإسلام ومنها مخافة الله مما يؤدي إلى حياة زوجية سعيدة و مستقرة.

التوصيات:

تقسيمٌ موجَّهٌ لأصحاب القرار الشرعي والأسري والمجتمعي:

1. المبادرة إلى تزويج الأبناء والبنات متى وُجد الكُفء، مع تيسير المهور والنفقات .
2. تجنّب "التعارف العاطفي" والمواعدة قبل الزواج، واستبدال ذلك بخِطبةٍ شرعيةٍ واضحة المعالم .
3. اعتماد "ميثاقٍ منزليّ" لإدارة الغضب والنزاع: إرجاء النقاش الحادّ، منعُ الألفاظ المُطلِّقة، والالتزام بقاعدة "لا قرارَ في الحيض ولا في الغضب المُغْلِق" .
4. تثقيف الأزواج بتأثيرات الدورة الشهرية (PMS) ووضع جدول تواصلٍ أرفق في تلك الأيام .
5. إحياء خُلُق "المعاشرة بالمعروف" عمليًّا: لغة تقديرٍ يومية، تقسيم أعباء، ومجالسُ شكرٍ أسبوعية .

6. تبنّي "خطّة إنقاذ الأسرة" قبل أي فتوى بطلاق: جلسات صُلحٍ مُلزمة، مهلةُ تهدئةٍ، إحالةٌ إلى مرشدٍ أسريّ، ثم النظر في الحكم .

7. إعداد حقيبة خطابيّة ودروسٍ حول: "خطر الغضب"، "التسامح المبني على التقوى"، "هل يجعل الطلاق غير السعداء أكثر سعادة؟" مع أمثلةٍ واقعية .

8. إقامة وتفعيل دورات تأهيلية قبل الزواج، تُركز على مهارات التواصل بين الزوجين بعد الزواج، وكيفية إدارة المال، وفهم الفروق البيولوجية والنفسية بين الجنسين.

9. إقامة مراكز وساطة وشفاعة أسرية أهلية اجتماعية، تتدخل مبكرًا في النزاعات بين الأزواج؛ حتى لا تؤدي إلى الطلاق.

10. تنفيذُ حملاتٍ توعويةٍ موجَّهةٍ للآباء بخطورةِ تأخير تزويج الأبناء بلا مسوِّغٍ شرعي، تتولّاها وزارة الأوقاف/ الشؤون الإسلامية بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم والجامعات والجمعيات الأهلية المعنيّة بالأسرة،

ويشارك فيها الأئمّة والدعاة والاختصاصيون الاجتماعيون عبر خطبٍ موحّدة، وندواتٍ مدرسية وجامعية، ورسائلَ إعلامية قصيرة.

11. ضرورة تنبُّه وزارة العدل ومحاكم الأحوال الشخصية وإدارات التوثيق: سنُّ تعليماتٍ تنظيميّةٍ تُقرّ فترة "تبريد الغضب" قبل توثيق الطلاق (مثلاً 20–30 يومًا) مع جلسات إصلاحٍ أسريّ مهنيّةٍ إلزامية (جلستان على الأقل) لدى مراكز/ وحدات معتمَدة، على أن يُستثنى من ذلك حالات الضرر البَيِّن أو العنف الأسري أو الخطر؛ ويُراعى أن التأجيل تنظيمي للتوثيق لا لإبطال الوقوع الشرعي إن وقع اللفظ، وأن تُحفظ السرية وتتاح مسارات حماية عاجلة للمُتضرِّر/ ة.

12. تخفيف كلفة الزواج من خلال اختيار القاعات المجتمعية، ووضع سقوف استرشادية للمهور والهدايا، وتقديم حوافز للمقبلين على الزواج

أود أن أختم هذا الكتاب بنصيحة الباحثتين الأمريكيتين في شؤون الأسرة، ليندا وايت وماغي غالاغر، حول تحسين استقرار الزواج:

"على خبراء الأسرة - بعبارة أخرى - واجب إعلام المجتمع بأن: نعم التدخين قاتل، ولكن الطلاق كذلك قاتل. صحيح أن التعليم الجامعي يزيد دخل الرجل، ولكن الزواج واستمراره يزيدانه أيضًا. وبالتأكيد يحتاج الأطفال لرعاية الوالدين، لكنهم يزدهرون أكثر عندما يحصلون عليها من أب وأم معًا [وليس من أبوين مطلقين أو منفصلين]." (281)

281 Waite, Lida J., & Gallagher, Marrie (2000). *The Case for Marriage*. New York, Doubleday Publishers.

تشجيعُ الزواجِ و ردعُ الطلاق

الدكتور جوهر مشتاق

- يُعد هذا الكتاب مصدراً ممتازاً للإلهام والمعلومات للشباب المسلم وكبار السن على حد سواء.
- يُبرز الكتاب فوائد الزواج، ويوضح أن الزواج ليس مجرد عيش مشترك؛ بل له فوائد شرعية وطبّية واجتماعية عميقة.
- هل تعلم أنَّ الرجال غير المتزوجين أكثر عرضة للإصابة بأمراض القلب والموت المبكر مقارنةً بالمتزوجين؟
- هل تعلم أنَّ الأطفال الذين ينشؤون في أسر مفككة بسبب الطلاق يعانون من ضعف التحصيل الدراسي واضطرابات نفسية أكثر من غيرهم؟
- هل تعلم أنَّ معدلات الاكتئاب والوحدة تتضاعف عند المُطَلَّقِين مقارنةً بغيرهم؟
- هذا الكتاب يُقَدِّمُ بطريقة علمية فريدة، أَدِلَّةً مُعَمَّقَةً على الأضرار المُرعبة للطلاق على الأفراد والأطفال والمجتمع ككل، كما يُقدم اقتراحات عمليّة للأزواج المسلمين عموماً والشباب خصوصاً لتجنب الخلافات في حياتهم الزوجية، والعيش في حياة زوجية سعيدة.
- وقد استعان المؤلف بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وإحصاءات غزيرة، وتفسيرات منطقية سليمة، وأدلة من مئات الدراسات العلمية المنشورة، ليُقدم أدلة علمية عملية تُشجع على الزواج وتردع الطلاق.